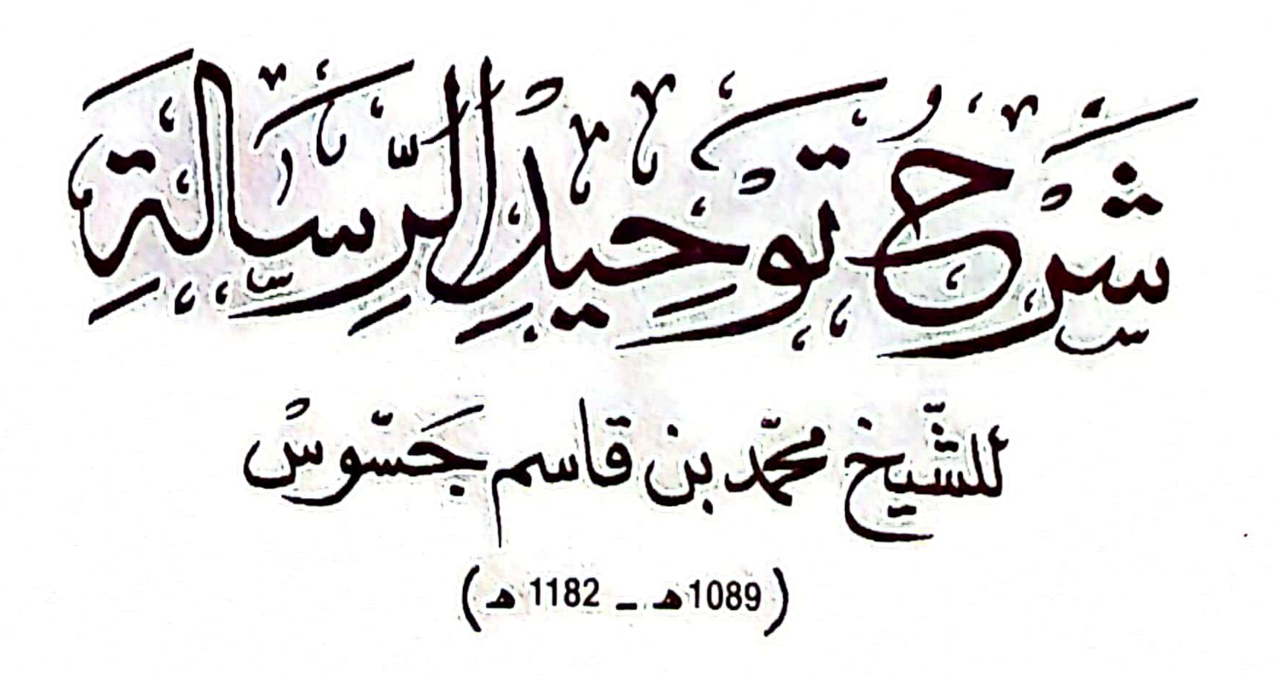
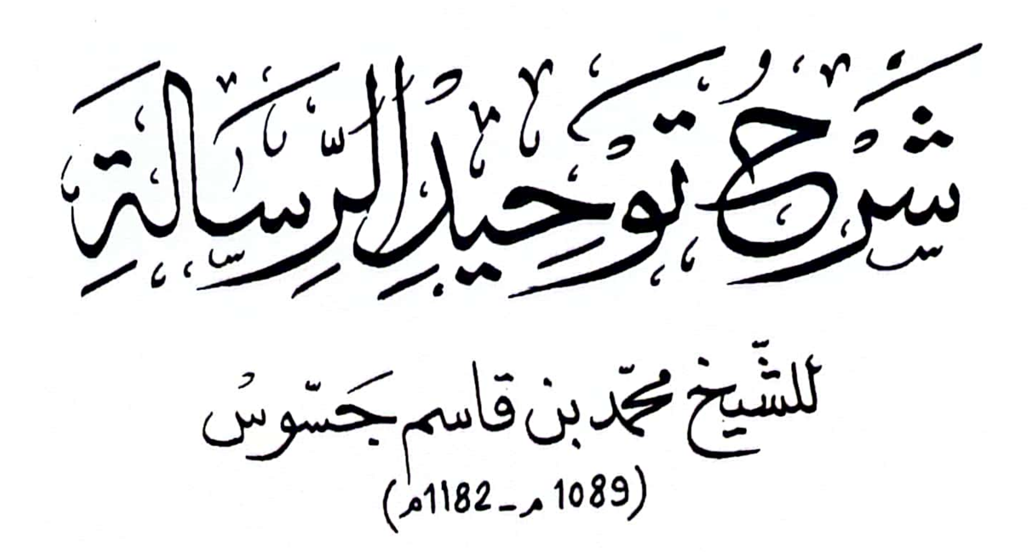


الجزء الثالث

دراسة وتحقيق
الأستاذة إحسان النقوطي

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية



دراسة وتحقيق

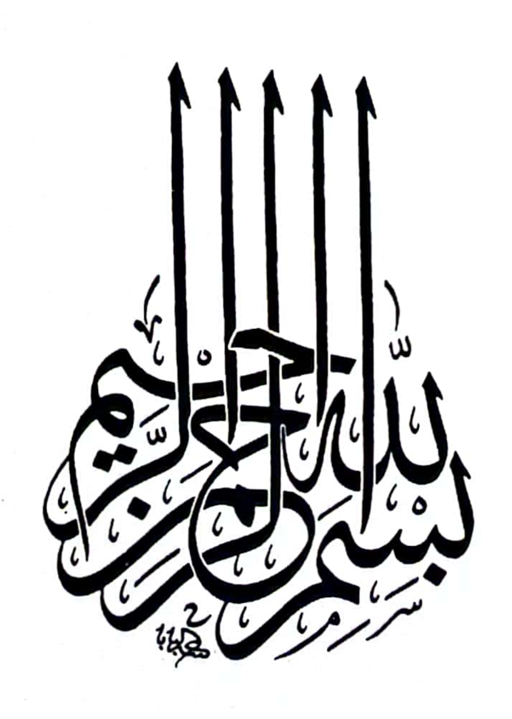
الأستاذة إحسان النقوطي

الجزء الثالث

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية

الكتـــــاب : شرح توحيد الرسالة للشيخ محمد بن قاسم جسوس
دراسةوتحقيق : الأستاذة إحسان النقوطي
مـنشـــورات : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية
الطبـعـــــة : الأولى 1429هـ/2008م

الـطـبـــــع : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
الإيـــــداع : 2008 MO 1790
ردمـــــك : 978-9954-0-5144-9


بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه[1]، وبهذا الكلام القول بأن الجنة التي أهبط منها آدم ليست هي الجنة التي هي دار الخلود والثواب ، وإنما هي جنة في الدنيا بأرض عدن ، أو في السماء السابعة على اختلاف في ذلك ما ذكره المصنف هو قول الجمهور ، ومقابله نسب للمعتزلة ولأبي حنيفة وأصحابه ، وإليه ذهب منذر بن سعيد البلوطي[2]، واحتجوا على ذلك بأن دار الثواب وصفها الله بدار الخلود والقرار والمقامة ، ولا حزن فيها ولا نصب ولا لغو ولا تأثيم ولا كذب ولا حسد ، وهذه الصفات منفية عن جنة آدم لأنه أخرج[أ] منها وكذب فيها إبليس وأثم وتكبر وحسد، وأجيب بأن صفات[ب] الجنة ليست ذاتية لها وإنما هي بفعل الله فجاز وصفها بذلك[ج] في وقت دون وقت ، أو يكون وصفها بتلك الصفات موقوفا على شرط فلا توصف بها قبل الشرط، ورد بقوله **نبيه وخليفته** القول بأن الذي أهبط من الجنة غير آدم أبي البشر وإنما هو رجل تسمى باسمه كان في حديقة على ربوة فأهبط منها، نقل ذلك الفاكهاني[3] وأبو الحسن[4] والقلشاني والأجهوري[5] وغيرهم، وأشار بقوله : **بما سبق في سابق علمه** إلى سبب هبوطه وهو أن أكله

أ-في "هـ": خرج.
ب-في "أ": صفة.
ج-في "ب": بتلك.

---

(1) متن الرسالة ص: 9.
(2) هو منذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم الأندلسي قاضي الجماعة بقرطبة ، كان فقيها محققا من تصانيفه كتاب الإنباه عن الأحكام في كتاب الله وغيرها، ولد سنة 265 وتوفي سنة 355 هج، ترجمته في تاريخ علماء الأندلس 142/2 والسير 173/16-178 وشذرات الذهب 17/3.
(3) شرح الرسالة للفاكهاني ص: 59.
(4) كفاية الطالب الرباني 107/1.
(5) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 116.

من الشجرة التي نهي عن أكلها إنما كان بسبب حكمه النافذ وقضائه السابق، واعلم أن أكل آدم من الشجرة صورته صورة المخالفة وليس بمخالفة شرعا، لأن المعصية شرعا هي المخالفة عمدا مع العلم بالتحريم دون تأويل ، والمخالفة بهذه الصفة لم تقع من آدم لأنه أكل من الشجرة إما ناسيا للنهي كما قال تعالى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾[6] وهذا[أ] وإن اقتصر عليه الشيخ زروق[7] رضي الله عنه غير مرتضى لأن المعتقد الحق أن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوءة وبعدها عمدا أو سهوا ، ولأن الظاهر من آية ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة﴾[8]، عدم السهو ، ولذلك قال محلي في تفسيره للآية: ﴿فنسي﴾ (265) ترك عهدنا ولم نجد له عزما حزما وصبرا عن ما نهيناه عنه"[9]، [وقول[ب] ابن العربي : "أكل معتمداً للأكل ناسيا للعهد ، فمتعلق العمد[ج] غير متعلق النسيان ، وقد قال تعالى في تعمده ﴿وعصى آدم [ربه فغوى][د]﴾[10]، وقال في بيان عذره ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾[11]"[12] ، انتهى فيه ما تقدم ، وقد نقله في شرح صغرى

أ-ساقط من "ب".
ب-في "هـ": وقال.
ج-في "ع" و"ه": العهد.
د-ساقط من "أ" و"ب" و"ج".

(6) سورة طه آية 115.
(7) شرح زروق على الرسالة 53/1.
(8) سورة الأعراف آية 20.
(9) تفسير المحلي ص: 339.
(10) سورة طه آية 121.
(11) سورة طه آية 115.
(12) أحكام القرآن لابن العربي 1261/3.

الصغرى[13] وأقره][أ]، وإما متأولا ولا ظنا منه أنها غير التي نهي عنها ، وهذا أيضا بعيد للوجه الثاني، وإنما تناول متأولا تأويلا آخر لأنه قيل له ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾[14]، فلحبه في الله وشغفه به أحب ما يؤديه إلى الخلود في جواره والبقاء عنده في داره، وأما ما يؤيده إلى الملكية لأن آدم عاين قرب الملائكة من الله فأكل من الشجرة لينال الملكية التي هي أفضل والتي هي في ظنه كذلك[ب] على اختلاف أهل العلم أيهما أفضل الملائكة والأنبياء ولا سيما وقد قال الله سبحانه ﴿وقاسمهما إني لكما لَمِنَ الناصحين﴾[15] قال آدم " ما ظننت أن أحدا يحلف بالله كاذبا كما قال الله سبحانه ﴿فدلاهما بغرور﴾[16]، ولم يكن أكله عنادا ولا خلافا ، قال شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي نفعنا الله به وببركاته :" المعتقد والمرتضى أن الأنبياء معصومون من القصد إلى إتيان [الصغائر كما أنهم معصومون من القصد إلى إتيان][ج] الكبائر، إلا أنهم يؤاخذون لمكانتهم ومنزلتهم بما ليس بكبائر ولا صغائر في حق من سواهم"[17]، قال البكي :"كل من وجبت له العصمة فجميع ما يصدر عنه موافق لأمر الله وكل ما هو موافق لأمر الله فهو طاعة، ومحال أن يكون غيرها إلا بالوجه الذي يقال فيها ، وإن أطلق عليه الرب جل وعلا خلاف ذلك فهو من حيث مرتبة ما ومقام ما إبقاء

أ–ساقط من "د" و"ط".
ب–في "هـ": كذاك.
ج–ساقط من "ب".

(13) شرح صغرى الصغرى ص: 209.
(14) سورة الأعراف آية 19.
(15) سورة الأعراف آية 20.
(16) سورة الأعراف آية 21.
(17) أجوبة عبد القادر الفاسي الورقة 52.

لوصف البشرية وإظهارا لجلالة الربوبية"[18]، وهذا من حيث هذه الحيثية التي ذكر البكي محمل[أ] ما ورد من الألفاظ الموهمة في حقهم وأن ذلك الذنب أو العصيان إنما هو باعتبار ما في مقام من مقاماتهم العلية[ب] التي لم يحم أحد حول حماها ، وليس هو على حسب الذنب أو العصيان المتعارف فإن ذلك مما يتنزهون عنه ويستحيل في حقهم ، وحين كان الأمر بهذا الاعتبار فليس لنا أن نطلق هذا اللفظ في جانبهم أصلا لأنه لفظ موهم فيجب اجتنابه بالكلية ، نعم إن ورد في الآي القرآنية أو الأحاديث الصحيحة النبوية فلا يذكر ذلك إلا حالة التلاوة لا غير، اتباعا للفظ الشارع أما في غير ذلك فلا والله أعلم، وإنما ساغ الإطلاق في حالة التلاوة فقط، لأن للسيد أن يقول لعبده ما شاء، وعلينا أن نتأدب مع العبد لأنا مأمورون بذلك في قوله تعال ﴿وتعزروه وتوقروه ...﴾[19]، وهل الشجرة التي نهى عنها التين أو الحنطة أو الكرم أو التمر؟ أقوال/(266)، فقوله وهي أي الجنة التي أعدها دار الخلود لأوليائه وأهبط بالبناء للفاعل أو للمفعول ، وآدم فاعل أو نائب عن الفاعل ، والهبوط معنوي وحسي، فالمعنوي مستحيل في حق الأنبياء؛ ويجب على كل مومن أن يعتقد أن النبي والرسول لا ينتقلان من حالة إلا لما هو أكمل منها وأعلى ، والحسي جائز عليهم، عليهم[ج] الصلاة[د] والسلام، وهو الانتقال من محل إلى آخر وهو الواقع لآدم عليه السلام ، فهو هبوط لا نزول في الصورة، وعلو وشرف في المعنى لأنه زاد

أ-في "ب" و"د": يحمل.

ب-في "هـ": الحمية.

ج-ساقط من "ع".

د-ساقط من "ع" و"هـ".

---

(18) شرح الحاجبية للبكي الورقة 76.

(19) سورة الفتح آية 9.

به درجة النبوءة والخلافة والإمامة كما أخبر الله تعالى به ملائكته بقوله ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[20] ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :" والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه وإنما أهبطه إلى الأرض ليكمله"، لأن أهل الخصوص مع الله تعالى حالا ليست لمن سواهم ولله فيهم تدبير لا يتوجه به[أ] لمن عداهم ، وقد بين تاج الدين بن عطاء الله في كتابه التنوير بعض الفوائد والخصائص والمعارف التي منحها آدم عليه السلام في قضية أكله من الشجرة وهبوطه للأرض، وهي من جملة المزايا والكمالات التي لا يعرف قدرها وعزتها إلا من له نصيب وحظ وافر من معرفة الله تعالى ، فذكر :"إن[ب] من الفوائد أن آدم وحواء عليهما السلام كانا في الجنة متعرفا إليهما بالرزق والعطاء والإحسان والنعماء ، فأراد الحق سبحانه من خفي لطفه في تدبيره أن يأكلا من الشجرة ليتعرف إليهما بالحلم والستر والاجتبائية ، أما الحلم فلأنه لم يعاجلهما بالعقوبة حين فعلا والحليم لا يعاجلك بالعقوبة على ما صنعت، بل يمهلك إما إلى عفوه وإنعامه وإما إلى سطوته[ج] وانتقامه ، وأما الستر فلأنهما لما أكلا منها وبدت لهما سوءاتهما بزوال ملابس الجنة سترهما بورقها، كما[د] قال تعالى ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[21] فكان ذلك من وجود ستره . وأما الاجتبائية فلأنه[هـ] سبحانه بعد أن قضى عليه بالأكل من

أ–ساقط من "د" و"ط" و"ع".
ب–ساقط من "هـ".
ج–في "أ": سوطته.
د–ساقط من "أ".
هـ–في "هـ": فإنه.

(20) سورة البقرة آية 29.
(21) سورة الأعراف آية 21 وسورة طه آية 118.

الشجرة لم يجعل أكله إياها سببا لإعراضه سبحانه ولا لقطع مدده عنه، بل كان في ذلك إظهار لوده سبحانه فيه وعنايته به كما قالوا : من سبقت له العناية لا تضره الجناية، ورب ود تقطعه المخالفة ، والود الحقيقي هو الذي يدوم لك من الواد[أ] لك موافقا كنت أو مخالفا، وينشأ عن الاجتبائية مقامان التوبة إليه والهداية من عنده، فصار في قوله سبحانه /267/ ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾[22]، أي أظهر أثر اجتبائيته له [وعنايته به][ب] بتيسيره[ج] التوبة عليه ، تعريفات ثلاث الاجتبائية والتوبة التي هي نتيجتها والهدى الذي هو نتيجة التوبة فافهم"[23]. ثم أنزله إلى الأرض فتعرّف إليه فيها بحكمته كما تعرّف إليه في الجنة بباهر قدرته ، وذلك لأن الدنيا محل الوسائط والأسباب ، فلما نزل آدم إلى الأرض علم الحراثة والزراعة وما يحتاج إليه من أسباب عيشه ليحققه الله بما أعلمه به من قبل أن ينزله بقوله ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾[24] أي تتعب أي فيحتاج أن يأكل من كد يمينه وعرق جبينه بعد أن كان لا يجوع ولا يظمأ ولا يعرى ولا يتعب، ثم قال في التنوير :"ترتيب وبيان : اعلم أن الله تعرف لآدم بالإيجاد فناداه يا قديم، ثم تعرف له بتخصيص الإرادة فناداه يا مريد، ثم تعرف له بحكمه في نهيه لما نهاه عن الأكل من الشجرة فناداه يا حاكم، ثم قضى عليه بأكلها فناداه يا قاهر، ثم لم يعاجله بالعقوبة إذ أكل منها فناداه يا حليم، ثم لم يفضحه في ذلك فناداه يا ستار، ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه يا تواب ، ثم

أ–في "ب": الوداد وفي "ع": الود.
ب– ساقط من "ب".
ج–في "ج": تسييره.

(22) سورة طه آية 122.
(23) التنوير ص: 13.
(24) سورة طه آية 117.

أشهده أن أكله من الشجرة لم يكن ليقطع عنه وده فيه فناداه يا ودود، ثم أنزله إلى الأرض ويسر له أسباب المعيشة فناداه يا لطيف ، ثم قواه على ما اقتضاه فناداه يا معين ، ثم أشهده سر النهي والأكل والنزول فناداه يا حكيم ، ثم نصره على العدو والمكايد له فناداه يا نصير ، ثم ساعده على أعباء تكاليف العبودية فناداه يا ظهير ، فما أنزله إلى الأرض إلا ليكمل له وجود التعريف ويقيمه بوظائف التكليف ، فتكملت في آدم صلوات الله عليه وسلامه العبوديتان عبودية التعريف وعبودية التكليف ، فعظمت منة الله عليه وتوفر إحسانه لديه فافهم"(25) . وفي حاشية السيوطي على مسلم قال ابن العربي في الأحوذي(أ) : "خروج آدم من الجنة هو سبب الذرية وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء و لم يخرج منها طردا بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها". وقد نبه المصنف على مزية آدم وجلالة قدره حتى لا يتوهم شيء من النقص في أكله ونزوله بقوله نبيه وخليفته ، فإن النبي معصوم من العصيان الموجب للإثم والخلافة ثابتة له /(268) بقوله تعالى قبل أن يخلقه ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾(26) فكيف يقيمه خليفة على عباده ويجعله محل النقص والعصيان، هذا محال. وقوله آدم سمي بذلك لأنه خلق من أديم الأرض ورد عنه صلى الله عليه وسلم" خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الأبيض والأحمر والأسود والسهل والحزن والطيب والخبيث"(27).

أ–ساقط من "ع".

---

(25) التنوير ص: 14.

(26) سورة البقرة آية 30.

(27) أخرجه الحاكم في المستدرك 288/2 رقم 3037والبيهقي في السنن الكبرى 3/9 رقم 17485.

الناس كالأرض ومنها هم من خشين الطبع[أ] ومن لين
فجلمد[ب] يدمي به أرجل وأثمد يجعل في الأعين[28]

وقيل لأن لونه الأدمة وهي حمرة تميل إلى السواد ومذهب الجمهور أنه خلق في جنات عدن ، وقيل في الأرض ورد إليها وكان بين دخوله الجنة وخروجه منها ستة أيام ، وخلق يوم الجمعة وفيه أخرج منها ونزل إلى الأرض ، وفيه تيب عليه وفيه مات بعد أن عاش ألف سنة ، وولد له من حواء أربعون بطنا في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج ذكر هذا البطن بأنثى البطن الآخر إلا شيت ولد وحده كرامة له، وهو الذي ولي عهد آدم بعده وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة ، وكانت هناك خيمة لآدم نزلت من الجنة. وبلغت ذريته قبل موته مائة ألف فماتوا كلهم إلا شيت ، وخرج من شيت أيضا ذرية فماتوا كلهم إلا نوحا، وولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث ، كذا في ابن عمر[29]، قال الأجهوري وعبارة غيره: "لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا فماتوا كلهم إلا شيت وولده ، ومات شيت وولده إلا نوحا ومن نجا معه في السفينة"[30]. ودفنه ولده شيت بغار أبي قبيس فكان به إلى زمن الطوفان فاستخرجه نوح وجعله في تابوت وحمله معه في السفينة ، فلما ارتفع الماء وظهرت الأرض رده نوح إلى مكانه. وروي عن ابن عباس "لما هبط نوح من السفينة ليعمر الأرض نام ذات يوم فبدت عورته فنظر إليها حام فضحك ولم يستر عليه يافت ثم رأى ذلك سام فأعرض بوجهه وغطى عورة أبيه ،

أ-في "أ" "ط": اللمس.
ب-في "ع": فجندل.

(28) شرح الحكم لابن زكري الورقة 249.
(29) شرح الأنفاسي على الرسالة ص: 50.
(30) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 117.

فلما استيقظ أخبر بذلك فدعا ولده حام فقال له : يا بني ! غيّر الله ماء صلبك"، وفي نوادر الأصول للحكيم الترمذي[31] عن سعيد بن المسيب قال: "ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافت، فولد سام العرب وفارس والروم، وفي هؤلاء خير، وولد حام السودان /(269) والبربر والقبط، وولد يافت الترك والصقالبة وياجوج وماجوج، وأراه قال وليس في هؤلاء خير"[32]، ولبعضهم:

عـرب وفـارس وروم فـاعـلـمـن	أولاد سام فـيـهـم الخير ركـن[أ]
والـقـبـط والبربر والسـودان	أولاد حام دونك الـبـيـان
يـاجـوج والـترك مع الصقـالـبـة	لـيـافت لا خير فـيـهـم قـاطـبـة

وذكر الترمذي قبل ما تقدم عنه:" إن ساما هو أبو العرب والعجم المجاورين للعرب ، وإن حاما هو أبو الحبشة والهند والسند[ب] وإن يافت هو أبو الترك والصقالبة ، قال : فكان هؤلاء الثلاثة ممن ركب السفينة معه، وامتنع كنعان الابن الرابع، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين"[33]. ويحكى أنه لما حضر نوحا الوفاة دعا ابنه ساما وكان بكره فوصاه وقسم بينه وبين اخوته الأرض ، فجعل لسام وسط الأرض الحرم وما حوله واليمن إلى حضرموت وعمان إلى البحرين وإلى عالج ، وجعل لأخويه أطراف الأرض ، وما جعله لسام كان أخصب الأرض وأحسنها. وقوله

أ–في "ج" و"هـ":سكن.
ب–ساقط من "د".

(31) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي ، له حكم ومواعظ هجر لتصنيفه كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة، قدم نيسابور عام 285 هج، وعاش حوالي ثمانين سنة، ترجمته في طبقات الصوفية ص: 217-220 والحلية 10/233-235 والسير 13/439-442.
(32) نوادر الأصول ص: 406-407.
(33) نوادر الأصول ص: 406.

نبيه وخليفته أشار بالجمع بينهما إلى أنه كان نبيا رسولا ، وانظر قول التتائي[34] والقلشاني[35]، والخليفة الحاكم بأمره وكل نبي خليفة بهذا الاعتبار ، وقوله إلى أرضه متعلق بأهبط لا بخليفة ، وقوله بما سبق في سابق علمه أي ليكون خليفة الله في أرضه، وفي القلشاني :"قوله بما سبق في سابق علمه إشارة لآية ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[36]" [37]. تنبيه : في البخاري " [تحاج آدم][ا] وموسى ، فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى ثلاثا[ب]"[38]، أي قطعه بالحجة واستشكل بأن سبق القضاء بالمخالفة لا يمنع من ترتب اللوم عليها والاعتذار بذلك فيه التمسك بالحقيقة دون الشريعة وأحسن الأجوبة ، كما قال أبو العباس القرطبي أن موسى عليه لسلام علم بتوبة الله عليه والعلم بالتوبة يدفع اللوم، أو يقال هذا الاحتجاج لم يكن في دار التكليف. وقد سئل الشيخ الإمام العارف بالله [أبو عبد الله][ج] سيدي محمد بن/(270) عباد عن قول القائل لمن يعذله

أ-ساقط من "ب".
ب-ساقط من "ج".
ج-ساقط من "هـ".

(34) تنوير المقالة للتتائي ص:45
(35) تحرير المقالة للقلشاني 50/1.
(36) سورة البقرة آية 30.
(37) تحرير المقالة 50/1.
(38) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل 2439/6 رقم 6240 ومسلم في الصحيح كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام 2043/4 رقم 2652 والترمذي في السنن كتاب القدر باب ما جاء من حجاج آدم وموسى عليهما السلام 444/4 رقم 2134وابن ماجة في السنن المقدمة باب في القدر 31/1 رقم 80 ومالك في الموطأ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر 89 /8 2: رقم 1592.

ويلومه على التفريط وترك العمل بأعمال البر ما وقفت لذلك وهل هذا القول خطأ أو صواب فأجاب: "اعلموا أن هذا القول في حال يكون خطأ وفي حال يكون صوابا ، فأما الحال التي يكون فيها خطأ فهو إذا قاله صاحبه منتصرا النفسه ومحتجا لها من غير ظهور افتقار ولا غلبة ولا انكسار، لأن العبد من حيث هو عبد لا ينبغي أن ينتصر لنفسه ولا يحتج لها، وإن كان في كلامه ذلك ينطق بالحكمة ويتكلم بمحض الحق وذلك من أعظم الجنايات التي لا انتعاش له منها عند سيده ، و لم يعذر الله تعالى[أ] الكافرين حين قالوا ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾[39] ﴿ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾[40] وما أشبه ذلك ، وهو كلام صحيح يجب على كل أحد اعتقاد مضمنه كما يجب أن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له، ولكن كان كلامهم ذلك مدخولا لإرادتهم الانتصار والاحتجاج لأنفسهم[ب]، وشأن العبيد مباين لهذا كله ، وأما الحال الذي يكون فيه صوابا فهو إذا قاله قائله غير منتصر لنفسه ولا محتج لها ، وإنما قاله إخبارا منه عن قدرة الله تعالى فيه ونفوذ تقديره عليه مع شدة افتقار ودوام انكسار ، وخذ هذا المعنى من [قول النبي][ج] صلى الله عليه وسلم " فحج آدم موسى "أي غلبه بالحجة والحديث صحيح مشهور" انتهى بلفظه رضي الله عنه ونفعنا به.

قوله: وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله[41]، هذا أيضا مما يجب اعتقاده وهو أن النار حق وأنها مخلوقة الآن وأن كل

أ-ساقط من"أ".

ب-في "ط": لنفسهم.

ج-في "هـ": من قوله.

---

(39) سورة الأنعام آية 148.

(40) سورة النحل آية 35.

(41) متن الرسالة ص: 9.

كافر مخلد فيها كما سبق في الجنة ، يدل على ذلك أيضا الكتاب والسنة والإجماع، فقوله تعالى ﴿أعدت للكافرين﴾[42]، وأما السنة فما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم " اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء"، وحديث "اشتكت النار إلى ربها"[43]، وسيأتي ، والأحاديث والآيات في ذلك كثيرة ، والإجماع على إجرائها على ظواهرها ، وقد ورد في صفتها جملة وتفصيلا آيات وأحاديث كثيرة ، [قال تعالى﴿كلا إنها لظى نزاعة للشوى﴾[44] أي جلدة الرأس، وقال ﴿وما أدراك ما سقر﴾[45]، وقال ﴿وما أدراك ما هيه نار حامية﴾[46]، وقال ﴿لينبذن في الحطمة﴾[47]، وقال ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾[48]، وقال ﴿وسيصلون سعيرا﴾[49] وقال ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم ...﴾[50] الآية، إلى آيات كثيرة][أ] ، ولنذكر بعض ذلك ليعلم المومن قدر ما أنعم الله به عليه من الإيمان الذي هو بفضل الله

أ-ساقط من "ب" و"د" "ط".

(42) سورة البقرة آية 24.

(43) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة 1190/3 رقم 3087 ومسلم في الصحيح كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه 431/1 رقم 617 والترمذي في السنن كتاب صفة جهنم باب ما جاء في أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد 711/4 رقم 2592 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب صفة النار 1444/2 رقم 4319 والدارمي في الرقاق باب في نفس جهنم 438/2 رقم 2845 ومالك في الموطأ كتاب وقوت الصلاة باب النهي عن الصلاة بالهاجرة 16/1 رقم 28.

(44) سورة المعارج آية 15-16.

(45) سورة المدثر آية 27.

(46) سورة القارعة آية 9-10.

(47) سورة الهمزة آية 4.

(48) سورة التكوير آية 12.

(49) سورة النساء آية 15.

(50) سورة فاطر آية 36.

سبب النجاة من عظيم الخسران في دار الغضب والهوان ، فأما أبوابها فسبعة كما قال تعالى ﴿لها سبعة أبواب﴾[51] على عدد جوارح الإنسان السبعة، وكذلك طبقاتها سبعة أعلاها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، وهي مقر المنافقين، ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾[52] قال الشيخ زروق :"وليس في المسألة قاطع يرجع إليه غير ذلك الأسماء ، فقيل هي طبقاتها وقيل هي اسم لجملتها وليس في ذلك توفيق"[53]. وأما لونها وشدة حرها وبردها فورد" أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة مدلهمة"[54]، ولا نسبة لحرها وزمهريرها بحر نار الدنيا وبردها ، وقد ورد اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب ! أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف"، فحر الصيف وزمهرير الشتاء من نفسها ، وقال عليه السلام "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء"[55]، وقال أنس :"يوتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال: اغمسوه في النار غمسة، ثم يقال: له هل رأيت نعيما قط؟ فيقول لا ، ويوتى بأشد الناس ضرا في الدنيا فيقال: اغمسوه في الجنة

(51) سورة الحجر آية 44.

(52) سورة النساء آية 144.

(53) شرح الرسالة لزروق 57/1.

(54) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة جهنم باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم 710/4 رقم 2591 وقال: حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شريك عن عاصم عن أبي صالح أو رجل آخر عن أبي هريرة نحوه و لم يرفعه، قال أبو عيسى حديث أبي هريرة في هذا موقوفا أصح ولا أعلم أحدا رفعه غير يحي بن أبي بكر عن شريك، والطبراني في المعجم الأوسط 90/3 رقم 2583.

(55) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة 1191/3 رقم 3091 ومسلم في الصحيح كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي 1731/4 رقم 2209 والترمذي في السنن كتاب الطب ما جاء في تبريد الحمى بالماء 404/4 رقم 2073.

غمسة ، فيقال: هل رأيت ضرا قط؟ فيقول: لا"(56)، وقال أبو هريرة :"لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا"(57)، وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال: فضلت عليها تسعة وستين جزءا كلها(أ) مثل حرها"(58)، وفي الكتاب العزيز ﴿إنها ترمي بشرر ...﴾(59) الآية، وأما ما أوديتها وشعابها فورد" إن في جهنم سبعون ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف عقرب وسبعون ألف ثعبان لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله"(60)، وورد "تعوذوا بالله من جب الحزن، أو واد الحزن قيل : يا رسول الله وما جب الحزن أو واد الحزن ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقراء المرائين".(61) وأما طعامها وشرابها فالزقوم والضريع وصديد أبدانهم والحميم والغسلين وهو الصديد أو شجر في النار، والزقوم شجر مر،

أ-في "ب": كلهن.

---

(56) أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب صفة النار 1145/2 رقم 3421.

(57) رواه المنذري في الترغيب والترهيب 250/4 رقم 5547 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 10 391/ : رجاله رجال الصحيح.

(58) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة 1191/3 رقم 3092 ومسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين 2184/4 رقم 2842 والترمذي في السنن كتاب صفة جهنم باب ما جاء في أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم 709/4 رقم 2589 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب صفة النار 1444/2 رقم 4318.

(59) سورة المرسلات آية 32.

(60) أورده المنذري في الترغيب والترهيب 2544 والذهبي في ميزان الاعتدال 238/3.

(61) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة 593/4 رقم 2583 وابن ماجة في السنن المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به 94/1 رقم 256.

والضريع نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه، وفي القرآن العظيم ﴿إن جهنم كانت مرصادا ...﴾[62] وقد ورد "يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد /(272) فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت أمعاءهم قطعت أمعاءهم في بطونهم"[63]. وأما حياتها وعقاربها فورد "إن في النار لحيات مثل أعناق البخت، يلسعن اللسعة فتوجد حمتها أربعين خريفا، وإن فيها لعقارب مثل البغال يلسعن اللسعة فتوجد حمتها أربعين خريفا"[64]، وهذه العقارب والحيات إنما تتسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وأذى الناس، وأما زبانيتها فعددهم كما قال تعالى ﴿عليها تسعة عشر﴾[65] أي هم رؤساء الموكلين بها، وصفتهم كما قال تعالى ﴿غلاظ شداد﴾[66]، قال الثعلبي :" غلاظ في أخذهم أهل النار شداد عليهم ، قال : ويقال غلاظ في الأخلاق شداد في القول فظاظ أقوياء لم يخلق الله فيهم الرحمة". وقال عمر[أ] بن دنيا " إن الواحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر". وورد "كأن في أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون شعورهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته حبل فيرميهم في النار ويرمي

أ–في "ع": عمرو.

(62) سورة النبأ آية 21.
(63) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة طعام أهل النار 4/707 رقم 2586 وابن أبي شيبة في المصنف 7/53 رقم 34157.
(64) أخرجه أحمد في المسند 4/191 رقم 17749.
(65) سورة المدثر آية 30.
(66) سورة التحريم آية 6.

الحبل عليهم"[67]، ورئيسهم مالك وهو المذكور في القرآن ﴿ونادوا يا مالك﴾[68]، وبين كل واحد منهم مسيرة سنة . وأما صفات أهلها فورد "ضرس الكافر في النار مثل أحد"[69]، "وغلظ جلده مسيرة ثلاث ليال"، وورد "إن شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه"[70]، وورد "إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطؤه الناس"[71]، وقال الحسن في قوله تعالى ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا ...﴾[72] الآية، "تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم : عودوا فيعودون كما كانوا"[73] وورد "يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى ترى خدودهم كهيئة الأخدود ، ولو أجريت فيها السفن لجرت ، وما دام يوذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور، فلهم في ذلك مستراح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك"[74]، قال محمد بن كعب :"لأهل النار خمس دعوات فيجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا فيقولون لمالك : يا مالك ليقض علينا ربك، فيجيبهم إنكم ماكثون"[75]، قال

(67) رواه القرطبي في التفسير 79/19.
(68) سورة الزخرف آية 77.
(69) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء 2189/4 رقم 2851 والترمذي في السنن كتاب صفة جهنم باب ما جاء في عظم أهل النار 703/4 رقم 2578.
(70) أخرجه الحاكم في المستدرك 269/2 رقم 297 وقال : هذا حديث صحيح من إسناد المصريين، والترمذي في السنن كتاب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في صفة طعام أهل النار 708/4 رقم 2587 وقال: هذا حديث صحيح غريب.
(71) أورده ابن رجب في كتاب التخويف من النار 124/1.
(72) سورة النساء آية 56.
(73) الدر المنثور 311/2.
(74) أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب صفة النار 1446/2 رقم 4324.
(75) رواه القرطبي في التفسير 378/9.

الأعمش[76] : "أنبئت أن ما بين الإجابة والسؤال ألف عام"، ثم يقولون ﴿ربنا أمتنا اثنتين...﴾[77] الآية فيقول الله تعالى مجيبا لهم ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ...﴾[78] الآية، ثم يقولون ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ...﴾[79] الآية فيجيبهم الله تعالى ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾[80]، ثم يقولون ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل﴾[81] فيجيبهم الله تعالى ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ...﴾[82] الآية، ثم يقولون ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾[83] فيجيبهم الله تعالى ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[84]، فلا يتكلمون بعدها أبدا ، وذلك هو غاية شدة العذاب وقد ورد أنه تسود وجوههم فتكون أشد سوادا من الحمم وتعمى أبصارهم وتبكم ألسنتهم وتجذع أنوفهم وآذانهم وتغل أيديهم إلى أعناقهم ، وأنهم يمشون على النار بوجوههم ، قال مالك بن أنس : قال زيد بن أسلم[85] في

---

(76) هو سليمان بن مهران شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي اصله من نواحي الري ، وثقه النسائي وغيره ، ترجمته في تهذيب الكمال 106/8 وتهذيب التهذيب 222/4 وميزان الاعتدال 224/2.

(77) سورة غافر آية 10.

(78) سورة غافر آية 11.

(79) سورة إبراهيم آية 44.

(80) سورة إبراهيم آية 44.

(81) سورة فاطر آية 37.

(82) سورة فاطر آية 37.

(83) سورة المومنون آية 108.

(84) سورة المومنون آية 109.

(85) هو زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي المعمّر المدني الفقيه كان من العلماء العاملين ، حدث عن أبيه أسلم مولى عمر وعن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وغيرهم ، له تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن ، توفي سنة 136 هج، ترجمته في حلية الأولياء 221/3-229 والسير 316/5-317 وشذرات الذهب 194/1.

قوله تعالى ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ...﴾[86] الآية : "صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا ﴿فسواء علينا أجزعنا أم صبرنا ...﴾ الآية، واعلم أن تناول النار لهم متفاوت ولكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه ، إلا أن أدناهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه كما في كتاب [الله عز وجل][أ]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أدنى أهل النار عذابا لمن ينتعل بنعلين من النار يغلي دماغه من حرارة نعليه"[87]، انظر الإحياء لأبي حامد الغزالي[88] رضي الله عنه. قوله: وخلق النار عطف على قوله خلق الجنة فهو خبر أن ، وأطلق النار هنا على دار العقاب ، وقوله دار خلود أي بقاء مؤبد ، [فلا نصيب لهم في الجنة ، قال تعالى ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾[89]، وقال ﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾[90]][ب]، قوله لمن كفر به، الكفر لغة التغطية والكافر غطى الإيمان بالكفر ، وسمي الزارع كافرا لتغطيته البذر بالتراب ﴿أعجب الكفار نباته﴾[91] وسمي الليل كافرا لتغطيته ما فيه ، وقوله ألحد بمعنى الإلحاد الزيغ والجحد ، وقوله في آياته أي المجلوة وهي مخلوقاته الدالة على وجوده ووحدانيته وصفاته والمتلوة وهي المشار إليها بقوله وكتبه، والإلحاد في الكتب التكذيب بها أو تأويلها وحملها على غير محملها، قال تعالى ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾

أ-في "أ": العزيز.
ب-ساقط من "ب" و"د" "ط".

(86) سورة إبراهيم آية 23.
(87) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذابا 195/1 رقم 211.
(88) إحياء علوم الدين 568/4.
(89) سورة الأعراف آية 39.
(90) سورة الجاثية آية 55.
(91) سورة الحديد آية 19.

إلى قوله ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾[92]، وقوله ورسله الإلحاد فيهم تكذيبهم أو بغضهم أو اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

قوله: **وجعلهم محجوبين عن رؤيته**[93]، هذا مما ورد في القرآن العظيم قال تعالى ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾[94]، لأن رؤية الملك كرامة فلا تكون إلا لأهل ولايته، والحجب من لوازم الطرد والإبعاد، وقيل عن كرامته وأنهم يرونه رؤية غضب وعذاب وهو أشد من الحجب، قال الشيخ زروق :"ولا نص في ذلك من الشارع فالصواب الوقف"[95]، وقد تقدم كلام السيوطي والأبي ./(274) وأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة، إذ لم يبيعوها إلا بشهوات حقيرة في أيام قصيرة، وكانت مع ذلك غير صافية بل كانت مكدرة منغصة . بشارة : في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري[96] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يقول الله عز وجل يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير كله في يديك، قال يقول أخرج بعث النار، قال وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، قال فذلك حين يشيب الصغير ﴿وتضع كل ذات حمل حملها ...﴾[97] الآية، قال فاشتد ذلك

---

(92) سورة فصلت آية 39-40.

(93) متن الرسالة ص: 9.

(94) سورة المطففين آية 15.

(95) شرح الرسالة لزروق 54/1.

(96) هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد أبو سعيد الخدري الأنصاري، وهو من الحفاظ المكثرين ومن العلماء الفضلاء، خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق وهو ابن خمس عشرة سنة، توفي سنة 74 هج، ترجمته في الاستيعاب 1671/4-1672 وأسد الغابة 142/5 والإصابة 174/7.

(97) سورة الحج آية 2.

عليهم، قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟ قال: أبشروا فإن من ياجوج وماجوج ألفا ومنكم واحدا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالرقمة في ذراع الحمار"[98]، وفي البخاري في تفسير سورة الحج "من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحدا"[99]، وحديث "أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم"[100] يدل على أن ثلثي أهل الجنة من هذه الأمة ، وإنما اشتد الأمر على الصحابة لأنهم توهموا أن ذلك العدد لا يكمل إلا بهم، لأن نسبة الناجي إلى الهالك كنسبة الواحد إلى الألف ، عشر عشر العشر، فنفس النبي صلى الله عليه وسلم عنهم الخناق بأنه لا غرابة في دخول ذلك العدد النار وإن كان كثيرا، أو نجاة غيره لقلة هذه الأمة بالنسبة لياجوج وماجوج ، لأن نسبة هذه الأمة لهم كنسبة الواحد من الألف بل نسبتهم لسائر الأمم أقل من ذلك كله ولذلك قال "مثلكم في الأمم الخ "، وفي رواية " وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر".

---

(98) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب أحاديث الأنبياء باب قصة ياجوج وماجوج 1221/3 رقم 3170 ومسلم في الصحيح كتاب الايمان باب قول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين 201/1 رقم 222.

(99) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة الحج 1767/4 رقم 4464.

(100) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 403/10 وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه سويد بن عبد العزيز وهو ضعيف جدا.

قوله: وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة(101)، هذا أيضا مما يجب اعتقاده لوروده في الكتاب، قال تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾(102)، وإسناد المجيء إلى الملائكة في هذه الآية، وفي آية ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾(103)، والملائكة /(275) على ظاهره وأما إسناده إليه تعالى فهو من المتشابه، وقد علم مذهب السلف فيه فإنهم يقولون مثل هذا بعد صرفهم له عن الظاهر المستحيل: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وأما مذهب الخلف فمنهم من قال: إن مجيئه تعالى ظهوره أي تجليه لفصل القضاء لأن الظهور في العادة لا يكون غالبا إلا بمجيء وانتقال فعبر عن المسبب باسم السبب، ومنهم من قال هو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي أمر ربك أي عذابه كقوله ﴿أو يأتي أمر ربك﴾(104)، وعلى احتمال الأول فليس في كلام المصنف الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ المجيء، لأن المجيء إذا كان يعني الظهور تناول المعطوف والمعطوف عليه حقيقة بخلافه على الثاني والله أعلم.

وقوله يوم القيامة سمي بذلك لقيام الخلق كلهم من قبورهم فيه وقيامهم بين يدي خالقهم يوم يقوم الناس لرب العالمين، وقيام الحجة لهم وعليهم، وأوله من النفخة الثانية إلى استقرار الخلق في الدارين الجنة والنار، وأما مقداره ففي القرآن العظيم من سورة السجدة [﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾(105)][1] بناء

1- ساقط من"T".

---

(101) متن الرسالة ص: 9.

(102) سورة الفجر آية 24.

(103) سورة البقرة آية 208.

(104) سورة النحل آية 33.

(105) سورة السجدة آية 4.

على أن المراد بقوله يعرج إليه [يرجع الأمر والتدبير إليه بعد انقضاء الدنيا وفنايها في يوم الخ. وفي السنة "يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم وهو خمسمائة عام"[106]، وذلك كالمعارض لقوله تعالى في سورة المعارج ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[107]] بناء على أن المراد يوم القيامة كما قاله المحلي[108] أو صفة لعذاب كما في ابن جزي[109]، ولحديث قاسم بن أصبغ[110] عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[111] قلت يا رسول الله ما أطول هذا، فقال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المومن حتى يكون أخف من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا"[112] واختلف أهل العلم في تأويل ذلك فمنهم من وكل العلم إلى الله، قال ابن عباس لما سئل عن ذلك:" أيام سماها الله تعالى لا أدري أن أقول ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم"[113]، ومنهم من أجاب بحمل آية خمسين ألف سنة على الكافر، وأما المومن فاليوم في حقه أقل من ذلك ، بل منهم من يخفف عنه حتى يكون أخف من قدر/(276) صلاة صلاها في الدنيا كما في الحديث السابق، وبأن

(106) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الزهد باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم 578/4 رقم 2353 وابن ماجة في السنن واللفظ له كتاب الزهد باب منزلة الفقراء 1380/2 رقم 4122.

(107) سورة المعارج آية 4.

(108) تفسير المحلي ص: 618.

(109) التسهيل لابن جزي 146/4.

(110) هو قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح وقيل واضح، الإمام الحافظ أبو محمد القرطبي ، أخذ عن عدد من علماء الأندلس وأثنى عليه عدد منهم، توفي سنة 340 هج، ترجمته في تاريخ علماء الأندلس 4061 وبغية الملتمس ص: 433 والسير 472/15.

(111) سورة المعارج آية 4.

(112) رواه أبو يعلى في المسند 527/2 رقم 1390.

(113) تفسير الطبري 72/14.

في يوم القيامة خمسين موطنا في كل موطن ألف سنة وبأن هذا إخبار عن شدة هوله لأن العرب تصف المكروه بالطول وأيام السرور بالقصر ، ومنهم من أجاب بحمل الآيتين على غير يوم القيامة ، فقال المراد بآية ألف سنة أن الله تعالى ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يصعد في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة خمسمائة نزولا ومثلها صعودا، أي لو سار أحد من بني آدم لم يسره إلا في ألف سنة ، والمراد بآية خمسين ألف سنة من أسفل الأرضين إلى سدرة المنتهى بحيث لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش لساروا خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه، ويحتمل أن آية السجدة في غير يوم القيامة وآية المعارج في يوم القيامة فلا معارضة .

قوله : **والملك صفا صفا**[114]، عطف على الضمير المستتر في يجيء ، ومعنى صفا صفا ذوي صفوف كثيرة ، فالمراد بالملك اسم الجنس، قال بعضهم: يكونون ثمانين صفا محدقين بالخلائق بحيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وقال التتائي :" قيل إذا كان يوم القيامة تبدل الأرض غير الأرض ويأمرها الله تعالى فتمتد كالأديم فيكون فيها مسيرة خمسمائة عام، ثم ينزل ملائكة سماء الدنيا فيصفون بالخلائق صفا ، ثم تنزل ملائكة السماء الثانية فيصفون بالجميع ثم [ملائكة السماء الثالثة فيصفون بالجميع][أ] إلى سبع سماوات ثم يقول الله تعالى ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾[115] أي بحجة"[116]، وهذا قول المصنف صفا صفا، قال

أ-ساقط من"أ".

---

(114) متن الرسالة ص: 9 وآية 24 من سورة الفجر .

(115) سورة الرحمن آية 33 .

(116) تنوير المقالة ص: 47.

الشيخ زروق : "والجمهور على أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة شأنهم الخير والقدرة على الأعمال الشاقة ، لا يوصفون بأنوثة إجماعا ولا بالذكورة على التحقيق ، ولا هم آباء ولا أبناء ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون﴾[117]، ولا يصح منهم الجهل بالله ولا بصفة من صفاته"[118] ، [وتمام الآية﴿ وجيء يومئذ بجهنم﴾[119]، في مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يوتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"[120]، قال القرطبي[أ] في التذكرة :" يوتى بها أي من المحل الذي خلقها الله فيه فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى إلى الجنة طريق إلا الصراط، والزمام ما تشد به وتربط ليمنعها من أرض المحشر فلا يخرج منها إليها[ب] إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله بأخذه"[121]، وسيأتي ذلك][ج] . وقوله **لعرض الأمم**[122]، العرض قيل هو الحساب اليسير وهو عرض عمل العبد عليه، في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من حوسب يوم القيامة عذب ،

أ-في "ب": الذهبي .
ب-ساقط من "هـ".
ج-ساقط من "د" "ط".

---

(117) سورة التحريم آية 6.
(118) شرح الرسالة لزروق 55/1.
(119) سورة الفجر آية 25.
(120) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في شدة حر جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين 2184/4 رقم 2842 والترمذي في السنن كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة النار 701/4 رقم 2573.
(121) التذكرة للقرطبي ص: 388.
(122) متن الرسالة ص: 9.

فقلت: أليس قد قال الله تعالى ﴿يحاسب حسابا يسيرا﴾[123] ؟ قال : ليس ذلك الحساب وإنما ذلك العرض من نوقش الحساب عُذِّبَ[124]، وعليه فقوله/(277) : **وحسابها** أي مناقشتها وقيل العرض تمييز المعروضين والنظر في أحوالهم والحساب أن يعدد عليه كل ما فعل من حسنة ومن سيئة فهو تعريف العبد بكل ما عمل منذ كلف إلى أن مات ، فأما العرض فلقوله تعالى ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[125] وقوله ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾[126] وقوله ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾[127] وهل المراد صفا واحدا أو صفوفا أو قياما كقوله تعالى ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾[128] أي قائمة، احتمالات، وأما الحساب والسؤال فلقوله تعالى ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾[129]، وقوله ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾[130]، وقوله ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم [بما عملوا][أ]﴾[131]، وقوله ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾[132]، ولا يعارض هذا قوله ﴿فيومئذ لا يسال عن ذنبه إنس ولا

أ–في "ب": بما كانوا يعملون.

(123) سورة الانشقاق آية 8.
(124) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب العلم باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه 51/1 رقم 103 ومسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب إثبات الحساب 2204/4 رقم 2876 والترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة إذا السماء انشقت 435/5 رقم 3338.
(125) سورة الحاقة آية 17.
(126) سورة هود آية 18.
(127) سورة الكهف 47.
(128) سورة الحج آية 34.
(129) سورة الغاشية آية 25-26
(130) سورة الرعد آية 40.
(131) سورة المجادلة آية 6.
(132) سورة الأعراف آية 5.

جان﴾[133]، إما لأن المراد سؤال استفهام لأنه تعالى عالم بأحوالهم أو أنهم يسألون في موطن دون موطن نظير قوله تعالى ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون﴾[134] مع قوله ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾[135]، ويحاسب المومن بالفضل والمنافق والكافر بالعدل والحجة ، فالمومن يخلو بربه فيعدد عليه أعماله، والمنافق والكافر يحاسب على رؤوس الأشهاد وينادى بهم ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾[136]، ثم إن من المومنين المحاسبين من ينفذ فيهم الوعيد ومنهم من يقال له "سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم"، ففي البخاري في حديث النجوى عن ابن عمر "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرها ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم"، ومنهم من تبدل سيئاته حسنات ، في البخاري عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها ، فيقال عملت كذا يوم كذا وكذا يوم كذا ؟ وهو مقر لا ينكر، مشفق من كبارها ، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة ، فيقول : إن لي ذنوبا ما أراها هاهنا ، قال أبو ذر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجده"[137] وفي الإحياء للغزالي حديث طويل عن أنس وفيه "إن الأعرابي قال : يا رسول/(278) الله من يلي حساب الخلق ، فقال: الله تعالى هو بنفسه؟ قال: نعم، فتبسم الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم : ألا لا كريم

---

(133) سورة الرحمن آية 39.
(134) سورة المرسلات آية 35-36.
(135) سورة الزمر آية 30.
(136) سورة هود آية 18.
(137) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة 177/1 رقم 190.

أكرم من الله وهو أكرم الأكرمين"[138]، ومن المومنين من لا يحاسب من لا يحاسب أصلا ، في مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "يدخل من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال اللهم اجعله منهم ، ثم قام آخر وقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة"، وقد تقدم من هذا الباب عند قول المصنف : **إن الله لا يغفر أن يشرك به فراجعه**[139]، وفي الثعلبي في تفسير آخر سورة السجدة عن أسماء بنت يزيد[140]، قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد بصوت يسمع الخلائق كلهم : سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع فيقول: ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فيقول : ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل ، فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس"[141]، [وفي الحديث " إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در، ثم ينادي مناد أين الفقهاء والمؤذنون والأئمة اجعلوا على هذه المنابر فلا روع عليكم ولا جزع حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب"[142]، وفي الحديث أيضا" مسألة واحدة يتعلمها المومن خير من عبادة سنة وخير له من عتق

(138) رواه الغزالي في إحياء علوم الدين 154/4 ، وقال العراقي : لم أجد له أصلا.

(139) متن الرسالة ص: 9.

(140) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية إحدى نساء بني عبد الأشهل وهي من المبايعات، وهي ابنة عمة معاذ بن جبل تكنى أم سلمة وقيل أم عامر، كانت من ذوات العقل والدين، ترجمتها في الاستيعاب 1787/4 – 1788 وأسد الغابة 18/6-19 والإصابة 498/7.

(141) رواه ابن كثير في تفسيره 461/3.

(142) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 255/1.

رقبة ولد إسماعيل وإن طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب"، انظر تذكرة القرطبي(143)][أ]، كما أن من الكفار من تلتقطه النار من المحشر في تفسير مكي في آخر سورة الفجر من حديث ابن عباس "إنه يخرج عنق من النار في المحشر فيشرف على الخلائق له عينان يبصران ولسان فصيح فيقول إني وكلت منكم بثلاثة بكل جبار عنيد فيلقطهم بين الصفوف لقط الطير حب السمسم فتخنس بهم في جهنم [ثم يخرج ثانية ثم يقول إني وكلت منكم بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم لقط الطير حب السمسم فيخنس بهم في جهنم"(144)][ب]، قال شهر بن حوشب(145) وأحسب ابن عباس ذكر في الثالثة أهل التصاوير فيلقطهم كذلك ثم بعد ذلك نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب [وعند المجيء بالنار يجثو كل من في الموقف حتى المرسلون وكل واحد يقول نفسي نفسي إلا محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه يقول : أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي ، ومن شدة حنقها لو وصلت إلى الموقف لأحرقت من فيه ، قال تعالى ﴿وترى كل أمة جاثية﴾(146) أي ليس فيهم من تحمله ركبتاه ، وقال تعالى ﴿إذا

أ-ساقط من "ب" و"د" "ط".
ب-ساقط من "ع".

(143) التذكرة للقرطبي ص: 376.
(144) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة النار 701/4 رقم 2574 وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح.
(145) هو أبو سعيد بن الأشعري الشامي شهر بن حوشب مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية كان من كبار علماء التابعين حدث عن مولاته أسماء وأبي هريرة وعدد من الصحابة وعنه قتادة ومقاتل وخلق كثير ، وثقه ابن حنبل ، اختلف في تاريخ وفاته قيل سنة 100 وقيل 98 وقيل 111 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 369/4 والسير 372/4-378.
(146) سورة الجاثية 27.

رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾[147] وقال ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾[148] أي تنشق نصفين حتى يأتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تمشي على أربع قوائم فيأخذ بخطامها ويقول ارجعي إلى خلفك حتى يأتيك أفواجك، فتقول يا محمد خلي سبيلي فإنك حرام علي، فينادي مناد اسمعي له وأطيعي، ثم تجذب وتجعل على شمال العرش وهو قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[149]، باختصار من تذكرة القرطبي][أ]، وقد علمت من هذا أن قول المصنف وحسابها عام مخصوص، وفي الفاكهاني :" انظر هل تعرض الأمم كلها أو لا يعرض إلا من يحاسب"[150]، قال التتائي:" وقد يقال على القول بأن العرض الحساب أن السبعين ألفا لا يعرضون"[151]. /(279) تتمة: في مقدار زمن الحساب قال الزمخشري في قوله تعالى ﴿إن الله سريع الحساب﴾[152]"وصف سبحانه نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه"[153]، وروي أنه تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة ، وروي في مقدار لمحة بصر[154]، وقال ابن عطية:" قيل لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه : كيف يحاسب الله الخلائق ؟ فقال كما

أ-ساقط من "ب" و"د" "ط".

(147) سورة الفرقان آية 12.
(148) سورة الملك آية 8.
(149) سورة الأنبياء آية 106.
(150) شرح الفاكهاني للرسالة ص: 62.
(151) تنوير المقالة للتتائي ص: 47.
(152) سورة آل عمران آية 199.
(153) الكشاف للزمخشري 420/3.
(154) تفسير القرطبي 435/2.

يرزقهم في يوم"(155)، [وانظر تذكرة القرطبي فقد ذكر:" أن أول من يحاسب هذه الأمة(156)، وفي رواية ابن عباس: فتفرح لنا الأمم فنمضي غرا محجلين من آثار الوضوء، فتقول الأمم كادت هذه الأمة أن يكونوا كلهم أنبياء(157) ، وأن أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء"(158)، وفي البخاري عن علي رضي الله عنه "أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة"(159) يعني في قصة مبارزته](أ).

قوله: **وعقوبتها وثوابها**(160)، هذه ثمرة الحساب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم "ليس بعد الدنيا إلا الجنة أو النار"، قال التتائي تبعا لابن عمر" وينبغي للعبد أن يحاسب نفسه قبل [أن يحاسب](ب) فإذا أمسى نظر فيما عمل في نهاره، فإن وجد من حسنة حمد الله عليها ومن سيئة استغفر الله وتاب منها ، فمن كان هذا حاله كان حسابه عرضا ، وأحسن من هذا أن لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه فإن كان جائزا أقدم عليه وإن كان حراما تركه وكف عنه"(161). وفي الحديث "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها

أ-ساقط من "ب" و"د" "ط".

ب-في "هـ": يوم الحساب.

---

(155) المحرر الوجيز 414/12 وتفسير القرطبي 435/2.

(156) سورة آل عمران آية 199.

(157) الكشاف للزمخشري 420/3.

(156) سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم 1434/2 رقم 4290.

(157) رواه أبو يعلى في المسند 216/4.

(158) التذكرة للقرطبي ص: 297.

(159) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب قتل أبي جهل 1458/4 رقم 3747.

(160) متن الرسالة ص: 9.

(161) تنوير المقالة للتتائي ص: 47.

وتمنى على الله"[162]، ومعنى دان نفسه عاملها معاملة المدين والله أعلم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتجهزوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"[163].

قوله : وتوضع الموازين[164] الخ، هذا أيضا مما يجب اعتقاده قال تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾[165]، ومعنى وضع الموازين نصبها وظاهر المصنف والآية تعدد الميزان ، وقال به الحسن بن الحسن البصري قائلا "إن لكل أحد ميزانا"، وقال الإمام الفخر الأظهر إثبات موازين لا ميزان واحد"، ولم يرتض ابن عطية قول الحسن [وقال : "إن][أ] الناس مجمعون على خلافه وإنما لكل أحد وزن مختص به والميزان واحد"، ولا يستشكل بكثرة من[ب] يوزن عمله لأن أحوال يوم القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا ، وقد قالوا في حديث : "ما من مسلم يسلّم عليّ إلا رد الله عليّ روحي – أي نطقي – حتى أرد عليه السلام"[166] أن أحوال البرزخ أشبه شيء بأحوال الآخرة [فلا يكيف بالدنيا][ج] حتى يقال كيف يتصور

أ–ساقط من "ج".

ب–في"أ": ما.

ج–في "ج" و"هـ": فلا تكيف بأحوال الدنيا.

(162) أخرجه الحاكم في المستدرك 125/1 رقم 191 وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه، والترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة أواني الحوض 638/4 رقم 2459 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له 1423/2 رقم 4260.

(163) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة أواني الحوض 638/4 رقم 2459 وابن كثير في التفسير 26/1.

(164) متن الرسالة ص: 9.

(165) سورة الأنبياء آية 47.

(166) رواه البيهقي في شعب الإيمان 217/2 رقم 1581.

الرد على كل فرد فرد في آن واحد فإنه يكثر المسلمون عليه في آن واحد، [وقد تقدم أنه تعالى يحاسب الخلق في يوم واحد كما يرزقهم في يوم واحد][أ]،/(280) وعلى أنه واحد فجمعه إما باعتبار تعدد أجزائه إذ هو كفتان ولسان كما قاله الحسن[167] ، وإما باعتبار تعدد الأعمال الموزونة أو باعتبار الأشخاص لكثرة من توزن أعمالهم ولقصد التفخيم ، نقل الإمام الفخر في سورة الأعراف عن عبد الله بن سلام :"إن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والإنس يستقبل به العرش إحدى كفتيه على الجنة والأخرى على جهنم ، لو وضعت السماوات والأرض في إحداهما لوسعتهن[ب] وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه"[168] . ونقل الفاكهاني[169] عن الغزالي :"أن صفته في العظم مثل طبقات السماوات والأرض ، وقد جاء أن كفة الحسنات من نور والأخرى من ظلام ، والكفة النيرة للحسنات والمظلمة للسيئات"[170]. وقال التفتزاني : "الميزان عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال ، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته"[171] .

وقوله: **لوزن أعمال العباد**[172]، يحتمل أن الموزون صحائف الأعمال ويدل له حديث السجلات الآتي وغيره ، فكلام المصنف على حذف مضاف أي لوزن صحائف أعمال العباد ، ويحتمل أنها تجسم وتوزن

أ–ساقط من "ط".
ب–في "هـ":لوسعتهما.

---

(167) الدر المنثور 129/3.
(168) تفسير الرازي 267/4.
(169) إحياء علوم الدين للغزالي 110/1.
(170) شرح الفاكهاني للرسالة ص: 62.
(171) شرح العقائد النسفية ص: 115.
(172) متن الرسالة ص: 9.

فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة وأعمال المسيئين في صور قبيحة، فاندفعت شبهة المعتزلة إن الأعمال أعراض لا توصف بثقل ولا بخفة فكيف توزن ؟ وصحح هذا الاحتمال ابن حجر[173] ويشهد لهذا أحاديث منها مسلم عن أبي مالك الأشعري[174] رضي الله عنه مرفوعا "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[175]، ومنها حديث أبي الدرداء رفعه "أثقل شيء في الميزان خلق حسن"[176]، ومنها عن غير واحد من الصحابة " بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده"[177]، ومنها حديث أبي هريرة " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ... الحديث"، ومنها حديث إبراهيم النخعي[178] في قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾[179] قال :"يجاء بعمل

---

(173) فتح الباري 522/15-523.

(174) هو أبو مالك الأشعري صحابي جليل قدم في السفينة مع الأشعريين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، اختلف في اسمه قيل كعب بن مالك وقيل كعب بن عاصم وقيل الحارث، ترجمته في أسد الغابة 272/5 والإصابة 356/7.

(175) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الطهارة باب فضل الوضوء 203/1 رقم 223 والترمذي في السنن كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد 535/5 رقم 3517 وابن ماجة في السنن كتاب الطهارة باب الوضوء شطر الإيمان 102/1 رقم 280 والدارمي في السنن كتاب الطهارة باب ما جاء في الطهور 174/1 رقم 653.

(176) أخرجه الترمذي في السنن كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق 363/4 رقم 2003 وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب في حسن الخلق 253/4 رقم 4799.

(177) أخرجه أحمد في المسند 443/3 رقم 15700 والبيهقي في شعب الإيمان 136/7 رقم 9755

(178) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني فقيه العراق روى عن مسروق وعلقمة وجماعة و لم يثبت له سماع من الصحابة، ترجمته في تهذيب التهذيب 177/1 والسير 520/4-529 ووفيات الأعيان 25/1.

(179) سورة الأنبياء آية 47.

رجل فيوضع في كفة ميزانه فيرجح ويقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا، فيقال: هذا العلم الذي تعلمته وعلمته الناس وتعلموه وعلموه بعدك، ويحتمل الموزون العامل مع عمله[أ]، في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله رفعه "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة"[180]، وفي رواية يأتي الرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها "، وفي مسند احمد "إن عبد /(281) الله بن مسعود رضي الله عنه كان يجني سواكا وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تلقيه فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون ؟ قالوا: يا رسول الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد"[181]. وظاهر قوله العباد العموم فيتناول المومنين طائعهم وعاصيهم والكافرين، ويدل على وزن أعمال الكفار قوله تعالى ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ...﴾[182] الآية، فإن هذه الآية في الكفار خاصة بدليل قوله في آخرها ﴿فكنتم بها تكذبون﴾[183]، وأما قوله ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾[184] فلا دليل فيه للقائلين بعدم وزن أعمال الكفار لأن المنفي هو إقامة الوزن لا الوزن، قال مكي في تفسيره: "أي لا أثقل لهم ميزان فعل صالح "، وعليه فلا محوج لتأويلها بأن المراد وزنا نافعا، وقد تقدم أن من المومنين من لا يحاسب وأن من أهل الكفر من تلتقطه النار من المحشر قبل أخذ الصحف

أ-في "ب": علمه.

---

(180) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب تفسير القرآن باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾ الآية 9571/4 رقم 4452.

(181) رواه أحمد في المسند 420/1 رقم 3991 وأبو يعلى في المسند 209/9 رقم 5310.

(182) سورة الأعراف آية 8.

(183) سورة المومنون آية 106.

(184) سورة الكهف آية 100.

والحساب ونصب[أ] الميزان ، وعليه فلا يعم الوزن كل مكلف ، فقول المصنف العباد ليس المراد به جميعهم والله أعلم.

قوله: **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**[185]، يحتمل أن يقال أن الإيمان يوزن وعليه فكل مومن يثقل ميزانه لأن الإيمان لا يثقل عليه شيء، قاله في شرح الجزائرية[186] وكذا قال ابن جزي :"لا يخف ميزان مومن خفة موبقة"[187]، كما أن كل كافر يخف ميزانه . قال [علي الأجهوري][ب] :" وهذا هو الذي عليه القرآن وتتم به المقابلة فيكون معنى ﴿فأولئك هم المفلحون﴾[188] إما ابتداء أو في ثاني حال بعد تعذيبهم على ما أراد الله"[189]، أي لأن مذهب أهل الحق أن من عمل كبيرة و لم يتب منها ثم أتى بحسنات أمثال الجبال فهو مرتهن في الآخرة بتلك الكبيرة لا ينجيه من العذاب عليها إلا محض عفو الله تعالى وقد تقدم ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[190]، وعلى هذا فيكون ثقل ميزان المومن بشارة له على حسن العاقبة والسلامة من الخلود في العذاب ، قاله في شرح القصيد.[191] وقد نقل المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص[ج] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يوتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان ويوتى له بتسعة

أ–ساقط من "ج".
ب–في "ب": قاله الشيخ علي.
ج–في "ع" و"هـ".

(185) متن الرسالة ص: 9 ، وآية 103 من سورة المومنون .
(186) شرح الجزائرية للسنوسي ص: 991.
(187) التسهيل لابن جزي 215/4.
(188) سورة المومنون آية 103.
(189) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 122.
(190) سورة النساء آية 47 و115.
(191) نحوه في شرح الجزائرية ص: 200.

وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه ، فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتوضع في الأخرى فترجح"(192) ، [قال القرطبي في التذكرة :"ليست هذه الشهادة شهادة التوحيد بل هي شهادة بعد شهادة التوحيد ، فإن النطق بها بعد شهادة التوحيد حسنة توضع في الميزان ويجوز أن تكون هذه الكلمة آخر كلامه في الدنيا لحديث "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة"(193)، وأما القول بأن كل مومن يثقل ميزانه بمعنى أن ذلك[أ] علامة على سلامته من الخلود ، فهو تأويل بعيد يحتاج إلى نص من خارج والذي تدل عليه الآي والأخبار أن من ثقل ميزانه لا يعذب أصلا"(194) . وفي تفسير الثعلبي في سورة القارعة عن أنس "أن ملكا من ملائكة الله عز وجل يوكل يوم القيامة بميزان ابن آدم فيوتى[ب] به حتى /(282) يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت تسمعه جميع الخلائق باسم الرجل الأسعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خفت موازينه نادى الملك الأشقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا". ويحتمل أن يقال أن الأعمال هي التي توزن وعليه فلا تنكر خفة ميزان[ج] المومن ، وقد أشار بعض المفسرين إلى ذلك

أ–في "هـ": ذاك.
ب–في "ع": فيدنى به.
ج–في"أ": الميزان.

(192) أخرجه الحاكم في المستدرك 710/1 رقم 1937 والترمذي في السنن كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله 24/5 رقم 2639 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة 1437/2 رقم 4300.

(193) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله 4171 وأبو داود في السنن كتاب الجنائز باب في التلقين 190/3 رقم 3116.

(194) مختصر من التذكرة ص: 316.

وجعله الشيخ السنوسي في شرح القصيد بعد أن صدر بالأول احتمالا، فقال : "ويحتمل أن تكون الخفة والثقل الموجودين في حسنات المومن ويكون ثقلها إمارة على عدم المؤاخذة بسيئاته لوجود مكفر لها في حسناته من توبة أو حج أو جهاد مقبولين أو بمجرد عفو الله تعالى، وخفتها إمارة على المؤاخذة بالسيئة من غير أن يسقط من ثواب الحسنات بسبب خفتها شيء أصلا، بل هي مدخرة له يجد ثوابها بعد خروجه من النار ونفوذ الوعيد فيه والله سبحانه أعلم بمراده من ذلك[أ]"[195] . وقد نقل الواحدي[196] في بسيطه "إذا خفت حسنات المومن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجع فيقول ذلك[ب] العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك من أنت؟ فيقول أنا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صلواتك التي كنت تصليها علي وقد وفيتكها أحوج ما كنت إليها"، وفي الحديث "من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت"[197] ، نقله في التذكرة ، وبالجملة ما الذي[ج] يجب على المومن كما قال الشيخ السنوسي في جواب له في

أ–في "هـ": ذاك.

ب–في "هـ": ذاك.

ج–في "ج" و"د": فالذي.

(195) شرح الجزائرية ص: 199—200.

(196) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي المنوي صاحب التفاسير المشهورة ، كان أستاذ عصره في النحو والتفسير ، من مصنفاته البسيط والوسيط وأسماء النزول وغيرها، توفي سنة 468 هج، ترجمته في طبقات المفسرين 1/387-396 وبغية الوعاة 2/145 والسير 18/339-342.

(197) أورده أبو نعيم في الحلية 6/353 وقال غريب من حديث مالك تفرد به الغفاري ونقله القرطبي في التذكرة ص: 311.

المسألة : "أن لا يعتقد في[أ] وزن الأعمال ما قاله أبو علي الجبائي من الإحباط المحض، وهو إسقاط الأكثر حسنات كان أو سيئات الأقل من مقابله من غير أن يسقط من الأكثر شيء أصلا ولا ما قاله ابنه أبو هاشم في الموازنة وهي سقوط[ب] الأقل مع ما يقابله من الأكثر ، وإذا كان الواجب عدم اعتقاد هذا فلا يجب عليه التعرض لما وراء ذلك بل له أن يترك الخوض فيه ويكل علم ذلك إلى الله تعالى ، وفي مثل هذا يقال سنزد فتعلم"[198]. قال الشيخ زروق رضي الله عنه: "وثقل الموازين على الوجه المعروف في الخفة والثقل لأن الأشياء لا تعرف على ما لا يعرف ولا تؤول على خلاف ما لا يعرف ولا تؤول على خلاف ما يعرف إذا كان المعروف ممكنا من غير معارض ولا دافع خلافا لمن يقول أنه مخالف لميزان الدنيا /(283) بارتفاع كفة الثقل إلى فوق والصواب في هذا كله الوقف بعد إثبات الميزان"[199] . تنبيهات، الأول: قد يكون من الحكمة في الوزن مع أن الله تعالى عالم بجميع أحوال العبد ما ذكره السنوسي[200] في الاحتمال الأول والثاني وقد تكون حكمة ذلك ما قاله ابن دهاق[ج] في شرح الإرشاد: "وهي معرفة مقادير ثواب الحسنات ومقادير عقاب السيئات ، قال ولهذا جعل الحساب وأخذ الصحف ووزن أعمال هذه الثلاث مرتبة، فالحساب هو الأول وحقيقته تعريف العبد بكل ما عمل في عمره منذ كلف إلى أن مات بخلق علم ضروري له بجميع[د] ذلك ، فلما علم بالحساب جميع

أ-ساقط من "ب".

ب-في "هـ": إسقاط.

ج-في "أ": ابن دهان.

د-في "أ" و"ب" و"ج": لجميع.

---

(198) نحوه في شرح الجزائرية ص: 199.

(199) شرح زروق على الرسالة 56/1.

(200) نحوه في شرح الجزائرية ص: 200.

أعماله وقع الجهل بما هو منها حسنة مقبولة وبما هو منها سيئة مؤاخذ بها فيبين له هذا في صحيفة عمله التي يقرأها ، ولما عرف من الصحيفة المقبول من الحسنات والمردود منها وعرف المغفور من السيئات والمؤاخذ به منها جهل مقدار ثواب المقبول من الحسنات ومقدار عقاب المؤاخذ به من السيئات فبين له ذلك في وزن الأعمال"، وعليه اقتصر شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي كان الله له في جواب له عن هذا السؤال ولا يبعد أن يكون من الحكمة أيضا إظهار شرف المومن على رؤوس الأشهاد [والتنويه بسعادته زيادة في مسرته وإظهار شقاوة الكافر على رؤوس الأشهاد][أ] زيادة في مساءته كما أشار له بعضهم ، ويدل له حديث نداء الملك السابق ، وقد يكون من حكمة ذلك أيضا إقامة الحجة لهم أو عليهم نظير قوله تعالى ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[201] فأخبر بنسخ الأعمال مع علمه بها والله أعلم. الثاني : على ما تقدم من تعدد الوزن فهو أقسام، الأول وزن يظهر عنه الإيمان والكفران وهو علامة الخلود في الجنة أو النار ﴿فمن ثقلت موازينه ...﴾[202] الآية الثاني وزن بين العباد في المظالم والحقوق فإن فنيت حسنات الظالم من قبل أن يفرغ ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه فطرح في النار"[203] كما في الحديث، وهذا إذا مات وهو قادر على وإلا فلا يطرح عليه من سيئاته شيء، حكى ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام[204] ، ولا

أ–ساقط من "ب".

---

(201) سورة الجاثية آية 28.

(202) سورة المومنون آية 103.

(203) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم 1997/4 رقم 2581 والترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص 613/4 رقم 2418.

يعارضه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[205] لأنه في شخصين لا حق لواحد منهما عند الآخر ، فإن لم يكن للمظلوم سيئة ولا للظالم حسنة فيعطى المظلوم من الثواب بقدر ما /(482) يستحقه على الظالم ويزاد في عقوبة الظالم بقدر ما كان يأخذ منه المظلوم إن لو كان المظلوم ذميا والظالم مسلما فقال بعض يسقط حقه كالحربي ، وقال آخرون صار حقا للنبي صلى الله عليه وسلم يطلب به لقول النبي صلى الله عليه وسلم "من آذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة"[206]، الثالث فيما بين العبد وربه ، فيعلم هل هو مؤاخذ أم لا وقد تقدم قول عائشة رضي الله عنها "الدواوين ثلاثة"، انظر القلشاني[207] وابن ناجي[208] والتتائي[209]. التنبيه الثالث : قد علمت مما تقدم وجوب الإيمان بالميزان وهل هو متعدد أو واحد وما قيل في كيفيته، والموزون ما هو وهل هو خاص بالمومنين أو عام، ومن الموكل به وأنه بعد الحساب ، وفائدة الوزن وحكمته فيحق على كل مومن أن يزن أفعاله وأقواله بميزان الشرع رجاء أن يثقل ميزانه ، وقد جمع هذه الفصول في جزء لطيف الإمام الحافظ أبو الخير محمد السخاوي[210] فانظره.

---

(204) قواعد الأحكام لابن عبد السلام 135/1.

(205) سورة الأنعام آية 166.

(206) ذكره العجلوني فيكشف الخفاء 285/2 وقال: لا بأس به وفي لسان الميزان 236/3 رقم 1046.

(207) تحرير المقالة للقلشاني 42/1.

(208) شرح ابن ناجي على الرسالة 46/1.

(209) تنوير المقالة للتتائي ص: 42.

(210) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الشافعي شمس الدين أبو الخير أبو عبد الله فقيه مؤرخ محدث مشارك في أنواع من العلوم ، ولد بالقاهرة سنة 831 هج، من مصنفاته الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ومناقب الإمام النووي وغيرها، توفي سنة 907 هج، ترجمته في الكواكب السائرة 53/1-54 وفهرس الفهارس 989/2 وشذرات الذهب 15/8-16.

قوله: **ويؤتون صحائفهم بأعمالهم**(211) ، هذا أيضا مما ورد به القرآن قال تعالى ﴿وإذا الصحف نشرت﴾(212) وقال سبحانه ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين ...﴾(213) الآية، وقال تعالى ﴿ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ...﴾(214) الآية، وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم وهل الشهداء الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة على المرسل إليهم إذا جحدوا والذين استشهدوا في طاعة أو الحفظة، احتمالات ذكرها المفسرون، وهل الأخذ للصحف قبل الوزن أو بعده احتمالان ، انظر الشيخ زروق(215) ، [وبالأول جزم ابن دهاق وقد تقدم نصه][أ]، والضمير في قوله يوتون يحتمل أن يكون لجميع الأمم فلا يدخل إنسان إحدى الدارين حتى يوتى صحيفته ، ويحتمل أن يكون لبعضهم لأنه جاء "عن قوما من قبورهم إلى قصورهم"، قال الفاكهاني(216) ، وهذا الثاني هو الظاهر لقول المصنف **فسوف يحاسب حسابا يسيرا**، وقد تقدم أن من الناس من لا يحاسب، انظر التتائي(217)، والصحائف جمع صحيفة وهي الكتب التي كتبت الملائكة فيها أعمالهم ، وقيل صحف يكتبها العبيد في قبورهم ، وإن كان منهم من لا يكتب في الدنيا لحديث ابن عباس قال "قلت يا رسول الله ما أول ما يلقى الميت في قبره ؟ قال: يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول له يا عبد الله اكتب عملك ، فيقول ليس معي

أ-ساقط من "ب" و"د" "ط".

---

(211) متن الرسالة ص: 9.
(212) سورة التكوير آية 10.
(213) سورة الكهف آية 48.
(214) سورة الزمر آية 66.
(215) شرح زروق على الرسالة 56/1.
(216) شرح الفاكهاني على الرسالة ص: 36-64.
(217) تنوير المقالة ص: 49.

قرطاس ولا دواة، فيقول هيهات هيهات كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك إصبعك فيقطع له قطعة /(285) من كفنه فيكتب وإن كان غير كاتب في الدنيا ويتذكر حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوي الملك تلك الرقعة ويعلقها في عنقه ثم تلا عليه الصلاة والسلام ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾"(218) [طائره عمله][أ]، قال الشيخ زروق بعد ذكر الوجهين: "كل محتمل جائز ولم يرد به قاطع فالصواب الوقف بعد الإيمان بإيتاء الصحف"(219)، والباء في قوله بأعمالهم للمصاحبة لأعمالهم.

قوله : **فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا**(219) ، ﴿وينقلب إلى أهله مسرورا﴾(220) أشار رحمه الله إلى أن أخذ الصحف بالأيدي وأن الناس في ذلك مختلفون وهذا طرف من آية أتى بها المصنف دليلا على ذلك[ب] ، ويدل على ذلك آيات أخرى[ج] قوله تعالى ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا﴾(222) وهو ما يكون في شق النواة ، وقوله تعالى ﴿وأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه[د] ...﴾(223) الآية، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم "أول من يوتى كتابه من هذه الأمة بيمينه عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع

أ-ساقط من "ج".
ب-في "هـ": ذاك.
ج-في "ع": أخر.
د-ساقط من"أ" و"ب" و"د".

---

(218) سورة الإسراء آية 13.
(219) شرح زروق على الرسالة 56/1.
(220) متن الرسالة ص: 9 وآية 7 من سورة الانشقاق .
(221) سورة الانشقاق آية 8.
(222) سورة الإسراء آية 71.
(223) سورة الحاقة آية 18.

الشمس ، قيل : فأين أبو بكر يا رسول الله ؟ فقال : هيهات زفت به الملائكة إلى الجنة"[224]، حكاه الأفقهسي عن ابن عباس مرفوعا، وروى أبو سلمة بن عبد الأسد[225] وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة "وأول من يأخذ كتابه بشماله الأسود بن عبد الأسد" أخو أبي سلمة المذكور، روي أنه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره"، وتقدم أن الحساب اليسير هو العرض ، وفي تفسير مكي عن عائشة رضي الله عنها قالت " يا نبي الله كيف يحاسب حسابا يسيرا قال يعطى العبد كتابا بيمينه فيقرأ سيئاته، ويقرأ الناس حسناته، ثم يحول صحيفته، فيحول الله سيئاته حسنا،ت فيقول الناس: ما كان لهذا العبد سيئة"، وقوله إلى أهله قال المفسرون : أهله الذين ينقلب إليهم هم أهله في الجنة، وفي حديث عليّ رفعه "إذا حان[أ] الانصراف من بين يدي الله تلقت الملائكة المومنين بنوق بيض رحالها وأزمتها الذهب[ب] على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا ، فيلبس كل مومن حلته ثم يستوون على مراكبهم فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين".

أ-ساقط من "ب" وفي "ع": خان.
ب-ساقط من "ط".

---

(224) تفسير القرطبي 269/18.
(225) هو هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو سلمة بن عبد الأسد، أمه برة بنت عبد المطلب فهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان من المسلمين الأوائل هاجر مع زوجه أم سلمة ثم عاد وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وجرح بأحد كانت وفاته بسببه سنة 3 هج، ترجمته في الاستيعاب 1682/4 وأسد الغابة 152/5 والإصابة 187/7.

قوله : **ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا**[226] ، التلاوة ﴿فسوف يدعو ثبورا﴾[227] أي ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه/(286) والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾[228] قيل بإدخال يد الكافر اليسرى في صدره بعد ثقبه وإخراجها من وراء ظهره ، وقيل تغل يده اليمنى إلى عنقه وتلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه ، قال الشيخ زروق : "يكلف بأن يقرأه في هذه الحالة زيادة في عذابه"[229]. واعلم أن المومن الطائع يأخذ كتابه بيمينه إجماعا ، والكافر بشماله كذلك وأما العاصي فالأكثر على أنه يأخذه بيمينه وتوقف بعضهم في ذلك[أ]" قاله[ب] ابن ناجي[230] ، وقال سيدي أحمد المقري في إضاءة الدجنة :

والأخذ للكتب به النص أتى — والخلق في العاصي لديهم ثبتا
هل بيمين أو شمال يعطى — كتابه ومن يقف ما أخطا
إذ لم يرد فيه صريح يعمل — عليه والوارد فيه مجمل[231]

تنبيه: يحتمل أن الكتاب[ج] مرفوع إليهم من أيدي الملائكة ويحتمل غير ذلك في حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله ريحا فتطيرها بالأيمان والشمائل

أ-في "هـ": ذاك.
ب-في "هـ": قال.
ج-في "هـ": الكتب.

(226) متن الرسالة ص: 9.
(227) سورة الانشقاق آية 11.
(228) سورة الحاقة آية 24.
(229) شرح زروق على الرسالة 57/1.
(230) شرح ابن ناجي للرسالة 57/1.
(231) إضاءة الدجنة ص: 75.

وأول خط فيها ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾[232]، "والإصلاء الاحتراق أي يذوقون حرها وهذا على ضم ياء يصلون ومن قرأ بفتحها فهو بمعنى الإشواء كقولهم شاة مصلية أي مشوية والسعير هو الجمر المتوقد" قاله التتائي.[233]

قوله: **وأن الصراط حق**[234]، هذا مما يجب الإيمان به، قال تعالى ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم ...﴾[235] الآية، وورد به الحديث وهو أحد الأقوال في قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[236] في مسلم "ينصب الصراط على متن جهنم فيكون أول من يجوزه[أ] أنا وأمتي، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ... الحديث"[237]، وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت "يا رسول الله أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ قال على الجسر"[238]، وفي الصحيحين "قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة"، والضحد والمزلة بمعنى أن يضحد فيه ويزل ويزلق ، والضحد أيضا الماء يكون

أ–في"أ" و"ب" و"د" و"هـ": يجوز.

(232) سورة الإسراء آية 14.

(233) تنوير المقالة ص: 49.

(234) متن الرسالة ص: 9.

(235) سورة الصافات آية 23.

(236) سورة مريم آية 71.

(237) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب صفة الصلاة باب فضل السجود 278/1 رقم 773 ومسلم في الصحيح كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية 165/1 رقم 182.

(238) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب صفة القيامة باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة 2150/4 رقم 2791 والترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة إبراهيم 296/5 رقم 3121 والدارمي في السنن كتاب الرقاق باب قول الله تعالى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ 324/2 رقم 2809.

منه الزلق[أ] والكلاليب هي الخطاطيف ، وفي الجوهري : "ومخاليب السباخ خطاطيفها"[239] ، قال الأفقهسي :"في بعض الأحاديث مسيرته[ب] ثلاثة آلاف سنة ألف سنة صعودا وألف سنة استواء وألف سنة هبوط". وأما عرضه ففي صحيح مسلم قال أبو سعيد الخدري " بلغنا أنه أرق من الشعر /(287) وأحَدَّ من السيف"[240]، وقوله بلغنا يحتمل أن يكون عن النبي [صلى الله عليه وسلم][ج] أو عن أهل الكتاب الذين أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم ، وفي القلشاني قال عليه السلام "هو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعر وأحَدَّ من السيف يرده الأولون والآخرون"[241]، [قال في التذكرة :"القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المومنين فيجريه أو يمشيه"[242] [د]، واقتصر الجلال المحلي في جمع الجوامع على أنه أرق من الشعر وأحَدّ من السيف[243] ، قال الكمال :" أجراه أكثر أهل السنة على ظاهره وقال بعضهم يؤول ليوافق الحديث الآخر في قيام الملائكة على جنبيه وكون الكلاليب والحسك فيه وإعطاء المار عليه من النور قدر[هـ] موضع قدميه ، فأول كونه أرق من الشعر بأن ذلك يضرب مثلا للخفي الغامض، والمعنى أن يسر الجواز عليه وعسره على قدر

أ- في "د" : الزلل.
ب- في "هـ" : مسيرة.
ج- ساقط من "أ".
د- ساقط من "ط".
هـ- في "هـ" بقدر.

---

(239) الصحاح للجوهري 1352/4.
(240) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية 170/1 رقم 183.
(241) تحرير المقالة ورقة 27.
(242) التذكرة للقرطبي ص: 333.
(243) شرح المحلي على جمع الجوامع 288/4.

الطاعات والمعاصي[أ] وإن دق كل من القسمين ، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله وأول كونه أحد من السيف بسرعة إنفاذ الملائكة أمر الله تعالى بإجازة الناس عليه"[244] ، ويعني ببعضهم الزركشي وقال القرافي :"لم يصح في الصراط أنه أرق من الشعر وأحد من السيف شيء والصحيح أنه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ[ب] إلى طبقة من طبقات جهنم ، وجهنم بين الخلائق والجنة والجسر على متنها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[245] على أحد الأقوال"، وتعقب ابن ناجي[246] ما قاله القرافي بحديث مسلم وتبعه في إضاءة الدجنة فقال :

وما يـــــــقال أنه أرق … مـن شعـر صدقـه فـهـو حـق
وفي صـحـيـح مسـلـم مـا ارشـدا … إلـيـه والضريـر فـيـه أنشـدا
والرب لا يـعـجـز إمشـاؤهـم … عـلـيـه إذ لم يـعـيـه إنشـاؤهـم
ولـلـقرافي هنـا كـلام … نـيـط به من أجلـه مـلام[247]

قال الأجهوري :"وفي تعقبه بحديث مسلم نظر إذ ليس فيه الجزم بأنه أرق من الشعر وأحد من السيف ، وأيضا الظواهر تدل لما قاله القرافي فلا يعدل عنها، ومن الظواهر قوله عليه السلام الناس حين تبدل الأرض غير الأرض يكونون عليه"[248]. وقال الشيخ زروق بعد تعقب نقل ابن ناجي

أ-ساقط من "ب".
ب-في "هـ": ينفذ.

(244) حاشية ابن أبي شريف على حاشية المحلي على جمع الجوامع ص: 565.
(245) سورة مريم آية 71.
(246) شرح ابن ناجي على الرسالة 57/1.
(247) إضاءة الدجنة ص: 75-76.
(248) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 421.

المتقدم: "قلت لكنه أعل بالإرسال يعني حديث مسلم ، وقد خرج الحاكم من حديث سلمان الفارسي(أ) رضي الله /(288) عنه : إن الصراط مثل حد الموسى(249) "(250) .

قوله: **يجزوه العباد**(251)، ظاهره مومنهم وكافرهم، وسئل السيوطي هل يمر إبليس وكفار الإنس والجن على الصراط فأجاب بقوله : "صرح [ابن حبان](ب) في الإرشاد بأن الكفار لا يمرون على الصراط وفي الأحاديث ما يشهد له وفي أحاديث أخر ما يقتضي خلافه وأنهم يمرون ، فحملت على المنافقين لدلالة بعض الروايات على ذلك، ثم رأيت القرطبي صرح بأن في الآخرة صراطين صراطا لعموم الخلق إلا من يدخل الجنة بغير حساب ومن تلتقطهم عنق من النار(252)، وصراط للمومنين خاصة وهذا جمع حسن وعرف منه أن من تلتقطهم النار عنق النار وهم طوائف مخصوصة من الكفار لا يمرون على الصراط أصلا، وكذلك بعث النار الذي يخرج من الخلق إليها قبل نصب الصراط دلت الأحاديث على أنهم لا يمرون على الصراط أصلا وهم أيضا طوائف من الكفار والظاهر أنه لا يمر على الصراط من الكفار إلا المنافقون وأهل الكتابين اليهود والنصارى فإن هؤلاء الفرق الثلاث(ج) ورد في الحديث أنهم "يحملون عليه فيسقطون منه في النار ، وكذلك من ينصب له الميزان من الكفار وهم طائفة مخصوصة

أ-ساقط من "ج" .
ب-في "ط": ابن برجان وفي "ج" و"هـ": ابن برهان .
ج-في "هـ": الثلاثة .

(249) أخرجه الحاكم في المستدرك 629/4 رقم 8740
(250) شرح زروق على الرسالة 58/1.
(251) متن الرسالة ص.9 :
(252) التذكرة للقرطبي ص : 338-339 .

منهم يمرون عليه فيحضروا وزنهم فإن الميزان إنما هو على الصراط" بنقل الأجهوري[253] ونقله في شرح المراصد وقال قبل ذلك :"وقد ذكر في المواهب اللدنية تعدد الصراط أيضا"، قال علي الأجهوري: "وانظر تمام ما ذكره القرطبي هل يمر المومنون على الصراط الذي لعموم الناس أيضا أو على الصراط المختص بالمومنين، والظاهر من كلامه الأول وعليه فيقال ما فائدة مرورهم على الخاص بعد العام ولعل أن العام يمر عليه من المومنين من يدخل النار والخاص يمر عليه منهم من يدخل الجنة وهو خلاف ظاهر العبارة فتأمله"[254].

قوله: **بقدر أعمالهم**، أي على قدرها ثم بين ذلك بقوله : **فناجون** أي فقوم ناجون **متفاوتون في سرعة النجاة عليه**[255] أي المرور عليه ، في مسلم "يمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاوير الخيل فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكردس[أ] في نار جهنم[256]، وفي[ب] القلشاني "وجريا ومشيا وحبوا وعلى البطن"، وقد جاء"إن الله تعالى يأمر جبريل فيقف في أول الصراط وميكائيل في وسطه يسألان الخلق فيسألان من يمر بهما عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن عمله ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه/ (289) وأين أنفقه"، وفي حديث أبي داود أن عائشة ذكرت النار فبكت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك؟ قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال النبي

أ–في "ج" "اد": مكروس وفي "أ" و"ط": مكدوس.
ب–في "أ": ففي.

---

(253) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 124.
(254) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 125.
(255) متن الرسالة ص : 9.
(256) تحرير المقالة ورقة26 .

صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد فيها إلا نفسه لعظم هولها وشدة روعها ، عند الميزان إذا وضع حتى يعلم أيخف أم يثقل، وعند الكتاب أيقع في يمينه أم شماله، وعند الصراط إذا وضع حتى يجاوزه"[257]، نقله القلشاني.[258] بشارة : قال القرطبي في التذكرة :" قال صلى الله عليه وسلم : إذا عصف الصراط بأمتي نادوا وامحمداه فأبادر من شدة إشفاقي عليهم وجبريل آخذ بحجزتي فأنادي رافعا صوتي : ربي أمتي رب أمتي لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي"[259] .

وقوله: **من نار جهنم**[260] متعلق بناجون مؤخر من تقديم قوله: **وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم** أي حصلتهم وأهلكتهم أعمالهم السيئة في جهنم وهم متفاوتون في الهلاك، فأما الموحدون ففي مسلم عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أما أهل النار الذين هم اهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون لكن أناس أصابهم الله بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن الله في الشفاعة فيجيء بهم ضبائر ضبائر يعني جماعة جماعة فيبثوا[أ] على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل"، وهل المراد بهذه الأمانة الموت حقيقة أو الغشيان ليلا يحسوا بالألم أو النوم احتمالات. وعن سمرة أنه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن منهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه "وفي طريق آخر

أ-في "أ": فبثوا.

---

(257) أخرجه الحاكم في المستدرك 622/4 رقم 8722 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب ذكر الميزان 240/4 رقم 4755.

(258) تحرير المقالة 32/1.

(259) التذكرة للقرطبي ص:332

(260) متن الرسالة ص : 9 .

"منهم من تأخذه إلى كعبيه[أ] ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته"[261]، ومقدار مكثهم قال في الإحياء:" ينقسمون إلى من يعذب قليلا وإلى من يعذب إلى ألف سنة قال ذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وأما الكفار فلا يموتون فيها ولا يحيون وهم منقسمون على طبقاتها"[262]، حكى الزمخشري والثعلبي والإمام الفخر أن أصحاب الطبقة الأولى أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ويخرجون، والثانية لليهود، والثالثة للنصارى، والرابعة للصابين، والخامسة للمجوس، والسادسة للمشركين، والسابعة للمنافقين ، وفيها /(290) ثوابيت من حديد تطبق[ب] عليهم". [وقال القرطبي في التذكرة : "لم يرد هذا الترتيب في خبر صحيح وقد ذكر أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحارا وصهاريج وحياضا وآبارا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا وقصورا وأرحى ونواعير وعقارب وحيات"[263]، ثم نقل ما يشهد لذلك كله][ج].

قوله: **والإيمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم**[264] أي من الواجبات لأن أحاديثه وإن كانت آحادا لكن مجموعها يفيد العلم ، قيل وروى أحاديثه خمس وخمسون من الصحابة ، وفي القلشاني :" قد تواترت الأخبار به وخرج أحاديثه أهل الصحة وأجمع عليه السلف الصالح

أ-في "أ": كفيه.
ب-في "هـ": تنطبق.
ج-ساقط من "أ" و"ب" "اد" و"ط".

(261) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في شدة حر نار جهنم 2185/4 رقم 2845 وابن أبي شيبة في المصنف 56/7 رقم 3479.
(262) إحياء علوم الدين 26/4.
(263) التذكرة للقرطبي ص : 400.
(264) متن الرسالة ص : 9.

وأطبقوا على الابتهال إلى الله تعالى أن يسقيهم منه"[265]، وهو أحد الأقوال في الكوثر ، قال التتائي :" ومن كذب به فهو مبتدع عند أهل السنة أي ولا يكفر"[266] . وجملة ما قيل في وصفه أن مسيرته شهرا وشهران أو ثلاثة وفي رواية "كما بين عدن وعمان وعرضه كطوله"[267]، وحافتاه من الزبرجد وطينه المسك وحصباؤه الدر، وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء، وروي : "أكثر من نجوم السماء فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق ماؤه أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك"[268]، ذكر السهيلي في الروض الأنف عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنّ الله أعطاني نهرا يقال له الكوثر، لا يشاء أحد من أمتي يسمع خريره إلا سمعه ، قلت: يا رسول الله وكيف؟ قال: أدخلي أصبعيك في أذنيك وشدي، قالت: ففعلت، قال: هذا الذي تسمعين من خرير الكوثر"، نقله القلشاني[269] والتتائي[270] ، وكلام المصنف مشعر باختصاص الحوض به صلى الله عليه وسلم ، وقيل لكل نبي حوض ، وقيل إلا صالح فحوضه ضرع ناقته.

---

(265) تحرير المقالة 34/1.
(266) تنوير المقالة ص : 51 .
(267) أخرجه الحاكم في المستدرك 204/4 رقم 7374 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.
(268) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته 1798/4 رقم 2300 والترمذي في السنن كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة الحوض 628/4 رقم 2442.
(269) تحرير المقالة للقلشاني 27/1.
(270) تنوير المقالة ص :51 .

قوله: **ترده أمته**[271]، قال أبو الحسن : "أي تأتيه أمته أي أتباعه حين خروجهم من قبورهم عطاشا يشربون منه"[272]، وظاهره أن وروده قبل الميزان والصراط والحساب وهو المختار، بل قال الغزالي[أ] :"القول بأن الحوض بعد الصراط خطأ"[273]، قال شارح القصيد : "لو كان بعد الصراط لما صح أن يذاد عنه أحد إلى النار ، فإن من جاوز الصراط لا رجوع له في النار أبدا ، ثم قال : وقيل أن له صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما قبل الصراط والآخر بعده فالأول هو الذي يذاد عنه من بدَّل وغيَّر والثاني لا يذاد عنه أحد لأن لا يجتاز [ب] عليه إلا من يخلص من العذاب"[274]، ثم إنه لا حصر في قول المصنف أمته فيحتمل أن يشرب منه غير هذه الأمة .

قوله: **لا يظمأ من يشرب منه**[275] أي لا يعطش من شرب منه بعد ذلك لأن شراب أهل الجنة وكذا أكلهم إنما هو عن تلذذ صرف وشهوة لا عن جوع وعطش ولا نوم فيها ولا بول ولا غائط وإنما رشحهم المسك قاله التتائي.[276] /(291) قوله : ويذاد بمعجمة فمهملة أي يطرد ويبعد **عنه من بدل وغير**[277] ، مترادفان وذلك إما بالاعتقاد كقدري وجبري ورافضي أو بالكفر والارتداد، وأما من بدل وغير بالمعاصي الجوارحية فقال الأجهوري بعد نقول مقتضى ما ذكره التتائي : "إن في أهل الكبائر قولين

أ–في "ب": الحرالي.

ب–في "أ" يختار.

(271) متن الرسالة ص : 9 .

(272) كفاية الطالب الرباني 122/1.

(273) الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ص : 109.

(274) شرح الجزائرية ص : 204.

(275) متن الرسالة ص : 9 .

(276) تنوير المقالة ص : 51 .

(277) متن الرسالة ص : 9 .

أحدهما أنهم لا يذادون إن غفر لهم ويذادون إن لم يغفر لهم"[278] ، وكلام شارح القصيد يفيد القول الأول واقتصر القرطبي على الثاني ، قال في التذكرة : "قال علماؤنا فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله و لم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون[أ] بالكبائر المتسخفون بالمعاصي"[279] . ودليل ما قاله المصنف أحاديث كثيرة منها حديث مسلم قالت أسماء بنت أبي بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم وسيوخذ أناس دوني فأقول مني ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم"[280]. فائدة: قيل الأمين عليه علي بن أبي طالب قاله التتائي، وفي الثعلبي عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لحوضي أربعة أركان: ركن منه في يد أبي بكر، والثاني في يد عمر، والثالث في يد عثمان، والرابع في يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو برك ومن أحب عمر وابغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان، وأبغض عليا لم يسقه عثمان، ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه

أ-في "أ": المعلقون.

(278) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 126.

(279) التذكرة للقرطبي ص : 306 –307 .

(280) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرقاق باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ 2409/5 رقم 6220 ومسلم في الصحيح كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفته 1794/4 رقم 2293.

علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد استضاء بنور الله، ومن أحسن القول في عليّ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مومن، ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق".

قوله: **وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح**(281)، اتفق الشيوخ على أن هذا لم يأت به المصنف على أنه مما يجب اعتقاده وإن أوهم كلامه ذلك لعطفه على ما يجب اعتقاده لأن الإجماع كما في/(292) أبي الحسن (282) على أن من آمن بقلبِه ونطق بلسانه وعمل بجوارحه، و لم يعتقد أن الإيمان مجموع هذه الثلاثة أو أنه بعضها أنه مومن بل وغير آثم ، أي وكذا إذا لم يعتقد أنها إيمان كما في الأجهوري(283)، وإنما أتى به توطئة لذكر فوائد لم يذكرها فيما سبق وإشارة إلى أن الإيمان المنجي لصاحبه من أهوال يوم القيامة والافتتان بفتن الدنيا هو الإيمان القوي الكامل، وأما الضعيف الناقص فصاحبه على خطر عظيم في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فواضح وأما في الدنيا فلأنه مغلوب لأعدائه [نفسه وشيطانه](أ) ودنياه، فلا يخشى لموت ولا يستعد لها ولا يرهب النار ولا يفر منها ولا يرغب في الجنة ولا يطلبها ولا يظهر له عيب دنياه فيزهد فيها ، فصار مضحكة للشيطان يتلاعب بدينه بمنزلة مقعد في أرض فلاة كلما مر به عدو سلبه ما معه وأشمت به وهو ينظر وليست له جارحة سالمة ولا سلاح يدفع به ولا يستطيع التحول عن موضعه إلى غيره فهو

أ-في "ج":شيطانه ونفسه.

(281) متن الرسالة ص : 10.
(282) كفاية الطالب الرباني 32/1.
(283) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 127.

كالمشرف على الموت لا غناء عنه ولا نفع به يطلق عليه اسم الحياة وحياته كلا حياة ، وأما كامل الإيمان فكما قال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾(284) إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون(285)، فلا تخوفهم المخاوف ولا تزعجهم المصايب.بمنزلة شجاع له في الحرب قوة وسياسة ومعه سلاح وعدة إن مر به عدو قتله وإن طرقه لص طرده فصار ملكه عن عدوه ممنوعا وإن خرج في بعد كان رأيه متبوعا وانظر إلى قوله تعالى ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم...﴾(286) الآية، وقوله ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾(287) وقوله لما رأى المومنون الأحزاب ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ...﴾(288) الآية، وقوله ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ...﴾(289) الآية، وقد تقدم في أول الكتاب(أ) الكلام على هذه الأمور التي فسر الإيمان بها هنا وإن التصديق بالقلب أي الإذعان لحكم المخبر وقبوله وجعله صادقا وهو مراده بالإخلاص هنا دون حقيقته هو الإيمان أو النطق شرط على أحد الأقوال وأن عمل باقي الجوارح معتبر في الإيمان على وجه الكمال عند أهل السنة وعليه مشى المصنف بدليل قوله : **يزيد بزيادة الأعمال** الخ، وقوله: **ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل** ، وقوله : **لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة**(290)، وحاصل هذا كما قال عليّ الأجهوري :" إن

أ–في "ط": الباب .

---

(284) سورة الحجر آية 42.
(285) سورة الأعراف آية 201.
(286) سورة الأعراف آية 173.
(287) سورة التوبة آية 51.
(288) سورة الأحزاب آية 22.
(289) سورة الحديد آية 21.
(290) متن الرسالة ص: 10 .

الأعمال جزء من الإيمان الكامل وليست/ (293) جزءا من مطلق الإيمان"[291]، فقول المصنف وأن الإيمان أي الكامل.

قوله: **يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها فيكون فيها النقص وبها الزيادة**[292]، في هذا دفع لما يتوهم مما قبله من أن الأعمال جزء من الإيمان وأنه لا يصح إيمان بدون عمل . وتنبيه على مسألة وقع فيها خلاف بين الأئمة وهي أن الإيمان يزيد وينقص وبيان معنى[أ] ذلك وأنه المختار عنده من الأقوال التي في المسألة ، واعلم أولا أنه اختلف في زيادة الإيمان ونقصانه على ثلاثة أقوال أشار لها في المراصد بقوله:

قال الأشاعرة والإيمان لا زيد ولا نقصان فيه حصل
وقيل فيه وهو قول السلف والفقهاء وذوي التصوف
وكم محقق على هذا عمل وقيل بالزيد فلا نقص نقل
عن الإمام مالك وفي السماع عنه الثلاثة أتت بلا نزاع[293]

أي في رواية العتبية ، "فأما أهل القول الأول فتمسكوا بأن الإيمان يرجع إلى معنى بسيط قلبي فإن حصل فهو الإيمان وإن لم يحصل لم يحصل الإيمان"، قاله البكي[ب][294]، وعبارة غيره لأنه متى قبل الزيادة كان شكا وكفرا وأما أهل القول الثاني فمنهم من قال أن مرجع الزيادة والنقص إلى ثمرات الإيمان لا إلى نفس التصديق وعليه درج المصنف رحمه الله تعالى

أ-ساقط من "هـ".
ب-في "هـ": السبكي.

(291) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 129.
(292) الرسالة ص : 10 .
(293) المراصد ص : 337.
(294) شرح الحاجبية للبكي الورقة 12.

قال الشيخ زروق :"قال بعضهم الإيمان مثل السراج له آنية هي القول وزيت هو العمل وفتيلة مع نارها[أ] ونورها هو الاعتقاد وما يتبعه من أنواره وآثاره ، فالقول لا يزيد ولا ينقص والعمل يزيد وينقص والفتيلة يزيد نورها بحسب حسن الزيت وكثرة المناسبة ولا ينقص أصلها لأنها لو نقصت جمرتها طفيت، وهذا هو المناسب لكلام الشيخ إذ جعل النقص في العمل وبه الزيادة لأن عين العمل يلحقه نقض في ذاته ، قال أبو حامد: معنى كون الإيمان يزيد وينقص أن ثمرته تزيد وفيض نوره على ماهيته(295)"(296)، وعلى هذا فالخلاف لفظي لأنه فرع تفسير الإيمان كما قال الإمام الرازي، فإن قلنا هو الأعمال وحدها أو مع التصديق فيقبلها، ووجه الزيادة والنقصان ظاهر لأن الأكثر عملا أكثر إيمانا حينئذ ، وإن قلنا هو التصديق القلبي فقط فلا يقبلها [إذ التصديق الجازم لا يقبلها][ب]وعلى ذلك قول ابن زكري/ (294) :

من فسر الإيمان بالتصديق	لا زيد ولا نقص على التحقيق
ومن يرى إضافة الأعمال	وأنها فيه على الكمال
صح دخول الزيد والنقصان	فيما ترى من جملة الإيمان(297)

ومنهم من قال أن مرجعها إلى نفس التصديق وعليه فالخلاف حقيقي ، قال النووي في جواب له نقله في المعيار :" والمختار أن نفس التصديق يزيد وينقص لا نقص تردد وشك بل زيادته بمعنى نفي قبول الشك والتزلزل

أ-ساقط من "ب".
ب-ساقط من "هـ".

(295) نحوه في الإحياء 3/143-144.
(296) شرح زروق على الرسالة 1/60.
(297) نظم ابن زكري في العقيدة ص : 110-111 .
أ-في "هـ": ذاك.

والشبه ، ونقصه بمعنى تطرق ذلك[أ] إليه ولا يشك عاقل في أن إيمان أبي بكر رضي الله عنه كان أرسخ من إيمان آحاد الناس ولهذا قال ليلة الإسراء ما قال وقال يوم الحديبية ما قال"[298]، وقال[ب] في شرحه لمسلم:" ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم فليسوا كذلك ، ثم قال ولهذا قال البخاري في صحيحه قال ابن أبي مليكة[299] : أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول أنه على إيمان جبريل وميكائيل"[300]، وفي شرح المقاصد[ج] :" ولقائل أن يقول لا نسلم أن التصديق لا يتفاوت بل يتفاوت قوة وضعفا ، كيف واليقين مراتب من أجلى[د] البديهيات إلى أخفى النظريات وكفاك قول الخليل ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾"[301]، وعن علي :"لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا"[302]، ونحوه في شرح المواقف قائلا:" وما ذكرتموه يقتضي أن يكون إيمان النبي صلى الله عليه وسلم وآحاد الناس

أ- في "هـ" : ذاك.

ب-ساقط من "ع".

ج-في "د" العقائد.

د-في "أ": أجل.

---

(298) المعيار للونشريسي 377/12.

(299) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة الحافظ الحجة حدث عن عائشة رضي الله عنها وابن عباس وعدد من الصحابة كان عالما صاحب حديث وإتقان، ترجمته في تهذيب الكمال 338/6 وتهذيب التهذيب 306/5-307 والسير 88/5-90.

(300) شرح النووي على صحيح مسلم 148/1-149.

(301) سورة البقرة آية 259.

(302) رواه في لطائف المنن ص : 298 وقال : قال بعض السلف دون إسناده لعلي رضي الله عنه.

سواء وهو باطل إجماعا"(303). وقد لخص سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي في حاشيته على البخاري : " أنه تصور الزيادة والنقص من وجوه أحدها من حيث حقيقته بالشدة والضعف لأنه من الكيفيات المتفاوتة قوة وضعفا ولا يلزم احتمال النقص مع الضعف ، ثانيها من حيث أنه يكون تقليدا ثم يكون علما يقينا ، ثالثها يكون علما ثم يصير عيانا وهو ترق من علم اليقين إلى عين اليقين ، ثم إلى حقه وهو ما كان بطريق الوجدان وفيها تقع العيان حتى لو كشف عن صاحبها ما ازداد يقينا لكون المشهود كرأي العين"(304) انظر بقيتها فيه،/(295) وتكون زيادته أيضا بكثرة الأدلة كما قال النووي(305)، قال الشيخ زروق(أ) : "لأن ذلك(ب) يقتضي تمكنه في القلب وانشراحه به حتى يخالط بشاشة القلوب فلا يمكن(ج) الرجوع عنه ولا يحتاج إلى برهان عليه"(306)، وقد عد ابن الفرس(د) ونقلها في شرح المراصد فانظرها إن شئت، وأما صاحب القول الثالث فوقف مع الإطلاق الشرعي إذ لم ينص الله تعالى إلا على الزيادة دون النقصان ، قال الله تعالى ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾(307) ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾(308) ﴿وما زادهم إلا إيمانا﴾(309).

أ-ساقط من "ج".
ب-في "هـ": ذاك.
ج-في "هـ": يمكنه.
د-في "ج": ابن العرب وفي "ط" ابن الغرس وفي "هـ": ابن العربي.

---

(303) شرح الجرجاني على المواقف للإيجي 331/8.
(304) حاشية عبد الرحمن الفاسي على صحيح البخاري ص : 102 .
(305) شرح النووي على مسلم 148/1.
(306) شرح زروق على الرسالة 60/1-61.
(307) سورة الفتح آية 4.
(308) سورة المدثر آية 31.
(309) سورة الأحزاب آية 22.

﴿فزادتهم إيمانا﴾ (310). تنبيه : قال شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي أبقى الله تعالى(أ) علينا من بركاتهما في جواب له في هذه المسألة:" قال الولي العارف المحقق أبو العباس زروق رضي الله عنه بعد ذكر الخلاف وأنه قيل لا يخاض في ذلك وقيل يخاض، وعليه فهل يزيد وينقص أو لا، أو يزيد ولا ينقص ، وعن مالك التوقف في نقصه ما نصه: وقال بعض شيوخنا لا يدخل الخلاف في أهل العصمة من الأنبياء والملائكة إذ لا يصح نقص إيمانهم وهو تنبيه حسن ولكن حكم الحقيقة خلاف حكم التحقيق بها ، فلنا أن نذكر الخلاف في الحقيقة مجردا وينسب أعلاها لأعلى المراتب وعلى هذا يفهم إطلاق من أطلق(311) والله أعلم"، وانظر تتمة ذكرها التتائي(312) هنا.

قوله: **ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل**(313)، هذا توطئة لما بعده وزيادة تأكيد وبيان لما يفهم مما قبله من أن عمل البر إنما هو كمال الإيمان وأن أصل الإيمان ثابت بدون عمل ، ولكنه إيمان ناقص، والمراد بقول الإيمان النطق بالشهادتين أو ما يقوم مقامه الدال على التصديق القائم بالقلب والمراد بالعمل الطاعات. تنبيه : قال ابن حجر في فتح الباري على حديث سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام بعد أن قال إن ظاهر الحديث تغايرهما وجزم به الإمام أحمد وأن المزني(314) صاحب الشافعي

أ-ساقط من "أ" و"ب".

---

(310) سورة التوبة آية 124.

(311) ترتيب المدارك لعياض 43/2.

(312) تنوير المقالة ص : 52 .

(313) متن الرسالة ص : 10 .

(314) هو إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري الشافعي صاحب الإمام الشافعي وناصر مذهبه ، من مصنفاته الجامع الصغير والجامع الكبير ومختصر الترغيب في العلم، ولد سنة 175 وتوفي سنة 264 هج، ترجمته في طبقات السبكي 93/2-109 والسير 492/12-497 ووفيات الأعيان 71/21.

جزم بترادفهما[315] وهو رأي البخاري ما نصه:" والذي يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية كما أن لكل منهما حقيقة لغوية لكن كل منهما يستلزم الآخر بمعنى التكملة له، فكما أن العمل لا يكون مسلما كاملا إلا إذا اعتقد ، فكذلك المعتقد لا يكون مومنا كاملا إلا إذا عمل ، وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام أو بالعكس أو يطلق أحدهما على إرادتهما معا فهو على /(296) سبيل المجاز ويتبين المراد بالسياق"[316]، فمن إطلاق الإيمان[أ] في موضع الإسلام قوله عليه الصلاة[ب] والسلام لقوم وفدوا عليه " أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس"[317]، وقوله "الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"[318]، ومن إطلاق الإسلام موضع الايمان قوله تعالى ﴿فأخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾[319]، قيل

أ-في "ب": إلا بيان.
ب-ساقط من "ط" و"هـ".

---

(315) سئل المزني عن الايمان والإسلام فقال : هما والله واحد، مسند أبي عوانة 53/1.
(316) فتح الباري 158/1.
(317) أخرجه البخاري في الصحيح كتب الايمان باب أداء الخمس من الايمان 29/1 رقم 53 والترمذي في السنن كتاب الايماد، باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الايمان 8/5 رقم 2611 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في رد الرجاء 219/4 رقم 4677.
(318) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الايمان باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الايمان 63/1 رقم 35 والترمذي في السنن كتاب الايمان باب ما جاء في استكمال الايمان وزيادته ونقصانه 10/5 رقم 2614 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب الإرجاء 219/4 رقم 4676 وابن ماجة في السنن المقدمة باب في الايمان 22/1 رقم 57.
(319) سورة الذاريات آية 35-36.

ومن إطلاق اسم الإيمان عليهما قوله تعالى ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[320] أي صلاتكم فأطلق الإيمان على التصديق والعمل إذ من المعلوم أن الصلاة التي لا يضيعها الله هي التي صدرت من مومن ، قلت ومن هذا قول المصنف : وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح. ومن إطلاق اسم الإسلام عليهما قوله تعالى ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[321]، ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾[322]، قلت وأما ما ذكره في شرح العقائد[323] ونقله التتائي[324] من اتخاذ الإيمان والإسلام مفهوما مؤيدا له بالاستثناء بقوله تعالى ﴿فأخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير .بيت من المسلمين﴾[325] أي لأنه لولا الاتحاد في المفهوم الذي هو المطلوب لم يستقم الاستثناء فغير مسلم لأن الآية إنما تدل على الاتحاد بحسب الماصدق وهو مسلم لكنه لا يستلزم الاتحاد في المفهوم الذي هو المطلوب ، وأما قوله بالجملة لا يصح أن يحكم على أحد في الشرع بأنه مومن وليس بمسلم أو مسلم وليس بمومن ، ولا نعني بوحدتهما سوى هذا. فقال الكمال :"هو رجوع عن دعوى الاتحاد بحسب المفهوم إلى دعوى الاتحاد بحسب الماصدق لآن الإيمان بمعنى التصديق والإذعان بالقلب شرط لصحة الإسلام والاعتداد به شرعا بحيث يكون معتبرا عند الله تعالى ، والانقياد بالظاهر شرط لإثبات[أ] الوصف بالإيمان وإجراء الأحكام حتى أن من صدق بقلبه وكذب بلسانه

أ-في "هـ": إثبات.

(320) سورة البقرة آية 142.

(321) سورة المائدة آية 3.

(322) سورة آل عمران آية 84.

(323) شرح العقائد النسفية ص : 130.

(324) تنوير المقالة ص : 53 .

(325) سورة الذاريات آية 35-36.

عنادا كافر ، ولا ينفك الإيمان المعتبر عن الإسلام المعتبر وكذا العكس، وقد ذكر الشارح أن ذلك ظاهر كلام المشايخ من الحنفية ، وحينئذ فالنزاع بين الفريقين لفظي لا معنوي إذ لم يتواردا على معنى واحد يثبته أحدهما وينفيه الآخر"[326].

قوله : **ولا قول ولا عمل إلا بنية**[327]، أشار بهذا إلى فائدتين عظيمتين وهما قاعدتان من قواعد الشريعة وهما أن العمل الذي يكون كمالا للإيمان مشروط بشرطين أحدهما أن يكون بنية موافقة للسنة لحديث "إنما الأعمال بالنيات"، والثاني أن يكون ذلك[أ] العمل المصاحب للنية موافقا للسنة لما يأتي وبهذا تعلم أن المومن الكامل هو الذي آمن بقلبه ونطق بلسانه وعمل بجوارحه بنية وكان في عمله ونيته موافقا للسنة ، وهذا هو الإيمان المنجي بفضل الله تعالى من النار فضلا عن الخلود فيها ، وأما من لم يكن كذلك فهو إما كافر إن لم يوجد تصديق ولا عمل ، أو منافق إن وجد العمل دون التصديق وهما من أهل الخلود في النار ، أو مومن فاسق إن وجد التصديق دون العمل تكاسلا ، وقد نبه المصنف على ذلك بقوله: **ولا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة** ، فقوله **ولا قول ولا عمل** أي ولا يكمل أي لا يصح قول ولا عمل إلا بالنية ، لأن النية من شروط صحة العبادة لا من مكملاتها ، فقوله **لا يكمل قول الإيمان** الخ من باب استعمال اللفظ في حقيقته بالنسبة للمعطوف عليه ، ومجازه بالنسبة للمعطوف وهو قوله : **ولا قول ولا عمل إلا بنية**، قال الشيخ زروق رضي الله عنه :"قوله ولا قول ولا عمل إلا بنية الخ يعني أن النية شرط كمال الأعمال يعني كانت مما

أ-في "هـ": ذاك.

(326) حاشية ابن أبي شريف على حاشية المحلي على جمع الجوامع ص : 559 .
(327) متن الرسالة ص : 10.

تجب فيه أو لا تجب فالنية إكسير الأعمال تقلب أعيانها إلى الحسن وتزيدها في الثواب"[328]، فظاهر قوله كانت مما تجب فيه أو لا تجب أن المصنف استعمل الكمال في حقيقته بالنسبة للمعطوف عليه ومجازه بالنسبة للمعطوف والله أعلم. وحاصله أن من الأعمال ما النية شرط في صحته ومنها ما النية شرط في كماله أي في ترتيب الثواب عليه أو كثرته وهذا وإن أمكن في هذا المعطوف لا يمكن في قوله : **ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة**[329]، إذ معناه لا يصح قول الخ كما هو ظاهر وقوه قول ولا عمل يعني من الأقوال والأعمال التي تفتقر للنية فهو عام مراد به الخصوص لأن من كل منهما ما لا يفتقر لنية فمن الأقوال المفتقرة للنية الأذان على ما ذكره سند، قال الأجهوري :"لم نر من نقل غيره وعده التتائي[330] فيما لا يفتقر للنية، وقد ذكر الشاذلي ما ذكره التتائي عن قواعد عز الدين الشافعي[331] ولم ينقله عن المالكية"[332]. ومنها ما يجب مرة في العمر كالتهليل والاستغفار للسلف كذا[أ] قالوا ، ولكن النية هنا ليست شرطا في صحة هذه العبادات بل في الخروج من عهدة وجوبها والله أعلم. ومن الأقوال التي لا تفتقر/(298) للنية[ب] الذكر والقراءة ومن الأفعال المفتقرة لها الصلاة والطهارة وكثير من العبادات ، ومما لا يفتقر إليها في الخروج من عهدته رد الغصوبات والودائع وإقامة الحدود والتعازير وإزالة النجاسة وغير ذلك مما هو متكلم عليه في محله، وأما الثواب فلا يترتب إلا على النية ولا يحصل

أ–في "أ": كما.

ب–في "ج": إلى النية.

---

(328) شرح زروق على الرسالة 61/1.

(329) متن الرسالة ص: 10.

(330) تنوير المقالة ص : 52.

(331) قواعد الأحكام لعز الدين بن عبد السلام 198/1.

(332) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 137.

دونها كما أن النواهي لا يحل الثواب على تركها إلا إن نوى تركها لله تعالى ، وإن كان الترك كافيا في الخروج من عهدتها وكذا المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك لا يترتب عليها الثواب إلا بنية تصيرها قربات[أ] ، مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة وبالجماع التعفف عن الحرام ، وقد علمت بما ذكرناه أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومنهيات ومباحات وأن نية القربة نافعة في جميعها ، وإنما قلنا أن من الأقوال والأفعال ما لا يفتقر إلى نية في صحته لأن الحكمة في مشروعية النية تمييز العبادات عن العادات لتميز ما هو لله عما ليس له ، أو تمييز مراتب العبادات في أنفسها ولما كانت هذه الحكمة كانت القرب التي لا لبس فيها لانصرافها بصورتها لله تعالى لا تحتاج إلى نية كالإيمان بالله تعالى والخوف والرجاء والمحبة والقراءة وسائر الأذكار إذا لم يقصد بها ما لا يجوز قصده كالمدح[ب] بأن لم يقصد بها شيئا أو قصد بها وجه الله تعالى أو كانت الأوامر التي صوره فعلها كافية في تحصيل مصلحتها كأداء الديون ورد الودائع لا تفتقر إلى نية أيضا لأن المقصود منها انتفاع أربابها وذلك لا يتوقف على قصد الفاعل ، انظر الحطاب عند الكلام على نية الوضوء[333].

قوله: **ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة**[334]، أي لا يصح شيء من ذلك إلا بموافقة الشريعة [وإذا كان لا يصح شيء من ذلك إلا إذا كان موافقا للشرع فلا بد من معرفته فلا يعبد الله تعالى إلا بالعلم][ج]، فالمراد بالسنة

أ-في "ب" ضربات.

ب-في "أ" العدم.

ج-ساقط من "أ" و"ب" "اد" و"ط".

---

(333) مواهب الجليل 183/1.

(334) متن الرسالة ص : 10.

هنا الطريقة أي شرعه صلى الله عليه وسلم لا ما قابل الكتب وشرعه كل ما دلت عليه الأدلة الشرعية التي هي أصول الأحكام وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها كعمل أحد من الصحابة ، وقد نبه المصنف عليها في آخر الرسالة يقول: **واللجأ إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه واتباع سبيل المومنين وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس نجاة**[335]، إلى أن قال : **وهم القدوة في تأويل ما تأولوه واستخراج ما استنبطوه**[336]، قال القلشاني: " فالسنة شرط في صحة النية والعمل فثبت بهذا أن القول والعمل يجب أن [يكون معروضا][أ] على السنة فما وافقها فهو المطلوب وما خالفها لم يلتفت إليه وكان[ب] معصية أو قريبا منها /(299)، وبهذا الذي قررناه تعرف مزية علم السنة ، اللهم وفقنا للعلم[ج] والعمل آمين. وكذلك النية التي هي شرط في صحة الأعمال أو تحصيل ثوابها يجب عرضها على الشرع فما وافقه فهو المطلوب وما لم يوافقه فات به المطلوب ، ولذلك قال بعضهم أبواب الخير كلها مسدودة إلا من قصدها من باب محمد صلى الله عليه وسلم"[337]، واعلم أن العمل باعتبار النية ثلاثة أقسام : متمحض لله ومتمحض لغير الله ومشترك، فالمتمحض لله فإن قصد به وجه الله تعالى خالص مقبول، والمتمحض لغير الله مردود والمشترك فيه تفصيل ولا خلاف ، قال الإمام أبو حامد: "وإنما الشأن في النية فإنها معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال"، [وقد ترجم القرطبي في التذكرة بقوله: باب

أ-في "ع": يكونا معروضين.
ب-في "هـ": وكانت.
ج-في "أ" و"ب": للقول.

(335) متن الرسالة ص : 152 –153 .
(336) متن الرسالة ص : 153 .
(337) تحرير المقالة 1/481.

ما جاء في أول من تسعر بهم النار ، ثم قال مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أول الناس يقضى عليهم يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيما علمت ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ولكن قاتلت ليقال فلان جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك قال: كذبت ولكن تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار[338]، وخرجه الترمذي بمعناه وقال في آخره : ثم ضرب على ركبتي وقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة[339]"[340]][أ]، انتهى بلفظه. والكلام فيها طويل وقد أفرده جماعة بالتأليف وأكمله مدخل ابن الحاج[341]، فلينظر من أراد ذلك ، وقد قال المصنف في آخر الكتاب [مشيرا لحكم النية الخالصة وغير الخالصة ومفسرا لها[ب]][ج] : **وفرض على كل مومن أن يريد بكل قول**

أ-ساقط من "أ" و"ب" "اد" و"ط".
ب-في "أ": لهما.
ج-ساقط من "ط".

(338) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار 1513/3 رقم 1905.
(339) سنن الترمذي كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 591/4 رقم 2382.
(340) التذكرة للقرطبي ص: 372 .
(341) مدخل ابن الحاج 151.

وعمل من البر وجه الله الكريم ومن أراد بذلك غير الله لم يقبل عمله(342)، فقال ابن ناجي : "كلام المصنف كالنص في أن الرياء يبطل العبادة ولو طرأ في أثنائها وهو كذلك وبه أفتى غير واحد ممن أدركتهم"(343)، وكلام ابن ناجي هذا يفيد أن معنى قول المصنف لم يقبل عمله لم يصح وأنه عمل فاسد سيأتي في التتمة الثالثة ما فهمه غيره من قوله لم يقبل ولم يقل لم يصح ، وقد استفيد من كلامه حكم مسالتين المسألة الأولى أن الرياء مبطل للعمل إن وقع في ابتدائه وظاهره البطلان سواء تمحض العمل للرياء أم لا، أما إذا تمحض للرياء فقال في الذخيرة :" فغن شمل الرياء العبادة بطلت إجماعا"(344)، وقال الفاكهاني: "إن ابتدئ العمل لغير الله فسد باتفاق"(345)، وقد صرح بالبطلان فيما إذا شخص العمل لغير الله ابن المحلي (346)نقلا عن القرطبي في شرح مسلم، وصرح به القرافي في قواعده(347) وتبعه البقوري ونقله الحطاب(348) عند قول المختصر في الحج :" وصح بالحرام وعصى"(349)، وسلمه، وأما إن لم يتمحض للرياء فنقل الحطاب عن القرطبي :"أنه لو انبعث للعبادة بمجموع الباعثين باعث الدين وباعث الدنيا وباعث الدين أقوى أو مساو لحق بالقسم الأول في الحكم بإبطال العمل عند أئمة هذا الشأن وعليه يدل حديث: "من عمل عملا أشرك فيه غيري(أ) تركته

أ–في "ج": غيره وفي "هـ": غير.

---

(342) متن الرسالة ص : 140 .
(343) نحوه في شرح ابن ناجي على الرسالة 62/1.
(344) الذخيرة للقرافي 251/13.
(345) شرح الفاكهاني للرسالة ص: 71 .
(346) شرح المحلي على جمع الجوامع ص : 559 .
(347) الفروق للقرافي 51/2.
(348) مواهب الجليل 528/2-531.
(349) مختصر خليل ص: 74 .

وشريكه"[350]، فأما لو كان باعث الدين أقوى فقد حكم المحاسبي[351]، بإبطال ذلك العمل متمسكا بالحديث المتقدم وما في معناه وخالفه الجمهور وقالوا بصحة العمل وهو المفهوم من فروع مالك رضي الله عنه"[352]، فقد صرح بالبطلان فيما[أ] إذا تساوى الباعثان أو كان باعث الدنيا أقوى وبالصحة إذا كان العكس[ب] على مذهب/(300) الجمهور، ثم نقل الحطاب عن الغزالي ما يخالف ما ذكره القرطبي وقال: "إنه التحرير وحاصله أنه إذا تساوى الباعثان تساقطا فكان لا له ولا عليه وإن كان الدنيوي أقوى كان عليه بمقدار الزائد على الباعث الديني وإن كان الديني أغلب كان له بمقدار الزائد[353]"[354]، فلم يصرح ببطلان العمل بل ظاهره صحته وأن الذي بطل كلا أو بعضا إنما هو الثواب وقد جزم به البقوري[ج] تبعا للقرافي[355] ، بالبطلان ، وظاهره سواء تساوى الباعثان أو كان أحدهما أقوى قال الأجهوري في حاشيته على الرسالة :"وظاهر ما ذكر ابن عمر[356] والأقفهسي في شرحهما لقوله: **وفرض على كل مومن الخ** أن

أ–في "هـ": أن فيما.

ب–في "أ": بالعكس.

ج–في "أ" و"ب" و"ج": البغوي.

(350) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله 2289/4 رقم 2985 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب الرياء والسمعة 1405/2 رقم 40202.

(351) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي شيخ الصوفية صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة والرافضة وفي الزهد وأصول الدين، وكان الإمام أحمد قد أثنى عليه من وجه وحذر منه من وجه آخر، توفي سنة 243 هج، ترجمته في حلية الأولياء 73/10 وطبقات الصوفية ص: 56–60 والسير 110/12-112.

(352) مواهب الجليل 532/2.

(353) إحياء علوم الدين 405/4.

(354) مواهب الجليل 532/2.

(355) الفروق 23/3.

(356) شرح الرسالة للأنفاسي ص : 57 .

الاشتراك لا يبطل العمل"[357]، ثم اعلم أن الغزالي يرى أن لا فرق بين الرياء وغيره من حظوظ النفس وأن حكمها واحد[358]، وغيره كالحافظ ابن رجب[359] وابن حجر الهيثمي في شرحهما للأربعين النووية والقرافي في الفروق والبقوري[أ] في اختصارها وابن الشاط[360] في حاشيتها يرى أن الرياء مبطل للعبادة بوجهيه والمشوب بغير الرياء لا يبطل ولكن ينقص الأجر ، المسألة الثانية أن الرياء مبطل للعبادة إن وقع في أثنائها ، وقد قال في الذخيرة بعد ما تقدم عنها :"وإن شمل الرياء بعضها وهي مما يتوقف آخرها علة أولها، فقد وقع للعلماء في صحتها تردد كما حكاه المحاسبي والغزالي في الإحياء[361]"[362]، وقال الحطاب نقلا عن القرطبي بعد كلامه المتقدم ما نصه :"فأما لو انفرد باعث الدين بالعمل ثم عرض[ب] باعث

أ–في "هـ": اليغودي.
ب–ساقط من "ب".

---

(357) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 137
(358) إحياء علوم الدين 465/4.
(359) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين بن محمد بن مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب ، محدث حافظ فقيه أصولي مؤرخ من مؤلفاته أهوال يوم القيامة جامع العلوم والحكم وغيرها، ولد سنة 736 وتوفي سنة 795 هج، ترجمته في الدرر الكامنة 321/2-322 والبدر الطالع 328/1 وفهرس الفهارس 636/2-637 ورأيه في الموضوع في مصنفه:
–جامع العلوم والحكم 81/1-82.
(360) هو قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري الإشبيلي أبو القاسم ، فقيه مشارك في علوم شتى ، من مصنفاته غنية الرائض في علم الفرائض وفهرسة وغيرها، ولد سنة 643 وتوفي سنة 723 هج، ترجمته في الديباج 152/2-153 وفهرس الفهارس 1089/2 ودرة الحجال 270/3.
(361) إحياء علوم الدين 465/4.
(362) الذخيرة 251/13.

الاشتراك لا يبطل العمل"[357]، ثم اعلم أن الغزالي يرى أن لا فرق بين الرياء وغيره من حظوظ النفس وأن حكمها واحد[358]، وغيره كالحافظ ابن رجب[359] وابن حجر الهيثمي في شرحهما للأربعين النووية والقرافي في الفروق والبقوري[أ] في اختصارها وابن الشاط[360] في حاشيتها يرى أن الرياء مبطل للعبادة بوجهيه والمشوب بغير الرياء لا يبطل ولكن ينقص الأجر ، المسألة الثانية أن الرياء مبطل للعبادة إن وقع في أثنائها ، وقد قال في الذخيرة بعد ما تقدم عنها :"وإن شمل الرياء بعضها وهي مما يتوقف آخرها علة أولها، فقد وقع للعلماء في صحتها تردد كما حكاه المحاسبي والغزالي في الإحياء[361]"[362]، وقال الحطاب نقلا عن القرطبي بعد كلامه المتقدم ما نصه :"فأما لو انفرد باعث الدين بالعمل ثم عرض[ب] باعث

أ–في "هـ": اليغودي.
ب–ساقط من "ب".

(357) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 137
(358) إحياء علوم الدين 465/4.
(359) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين بن محمد بن مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب ، محدث حافظ فقيه أصولي مؤرخ من مؤلفاته أهوال يوم القيامة جامع العلوم والحكم وغيرها، ولد سنة 736 وتوفي سنة 795 هج، ترجمته في الدرر الكامنة 322-321/2 والبدر الطالع 328/1 وفهرس الفهارس 637-636/2 ورأيه في الموضوع في مصنفه:
–جامع العلوم والحكم 82-81/1.
(360) هو قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري الإشبيلي أبو القاسم ، فقيه مشارك في علوم شتى ، من مصنفاته غنية الرائض في علم الفرائض وفهرسة وغيرها، ولد سنة 643 وتوفي سنة 723 هج، ترجمته في الديباج 153-152/2 وفهرس الفهارس 1089/2 ودرة الحجال 270/3.
(361) إحياء علوم الدين 465/4.
(362) الذخيرة 251/13.

الدنيا في أثناء العمل فهي أولى بالصحة"[363]، وقد نظم الأجهوري حكم[أ] المسألة الأولى بوجهيها وحكم المسألة الثانية [في قوله][ب]:

إذا عمل من شرطه النية ابتدئ ... لغير إله العرش يبطل[ج] مطلقا
وإن يعملنه للإله وغيره ... فأبطله أيضا والقرافي في ذا انتقى
وقيل صحيح ذا وقيل إذا وهي ... سوى الباعث الشرعي عنه فحققا
وأن يبتدأ لله ثم طرأ له ... رياء ففيه الخُلْفُ أمر تحققا[د]

تتمات ، الأولى: قال في الذخيرة : " إذا حصل الرياء قبل الدخول في العبادة أمر بدفعه وعمل العبادة، فإن تعذر دفعه عليه فإن كانت مندوبة تعين تركها لتقدم المحرم على المندوب ، وإن كانت واجبة أمر بمجاهدة النفس إذ لا سبيل لترى الواجب ، ثم قال : ومما يلحق بالرياء ترك العمل خشية الرياء فإن العبد مأمور بطاعة الله وترك المفسدات لا بترك[هـ] العمل لأحد المفاسد"[364]، (301)/ الثانية: قال في البيان "قال مالك : سمعت ربيعة يسأل عن المصلي يقع في نفسه محبة أن يعلم أن ما يفعل من الخير وأن يلقى في طريق المسجد ويكره أن يلقى في غير ذلك ، ولا أدري ما أجاب به غير أني أقول : إذا كان أصل ذلك وأوله لله فلا أرى به بأسا وإن المرء يحب أن يكون صالحا وما ذكره مالك من أنه لم يدر ما أجاب به ربيعة السائل وقع في سماع أشهب"[365]، ووقع في سماع ابن القاسم أن مالكا ذكر عن ربيعة

أ–ساقط من "هـ".
ب–في "هـ": بقوله.
جـ–في "أ": فبطل.
د–في "ب" و"ج" "اد": محققا.
هـ–في "أ": ترك.

(363) مواهب الجليل 532/2.
(364) الذخيرة 251/13.
(365) البيان والتحصيل لابن رشد 498/1.

أنه أنكر ذلك(أ) على السائل و لم يعجبه أن يحب أحد أن يرى ما يفعل من الخير أو يعلم به، والذي ذهب إليه مالك من أنه لا بأس بذلك إذا كان أصل ذلك وأوله لله هو الصحيح إن شاء الله ثم قال ومراد مالك أن مجرد ميل الإنسان إلى أن يطلع على عمله لا يضره لأن مجرد حب اطلاع الناس ميل طبيعي لا معصية فيه ولكن إن عمل لأجل ذلك أو أحدث له تصنعا وتزينا فهو من الرياء يجب عليه مجاهدة النفس في صرف ما طرأ له من ذلك بعد ابتداء العمل خوفا من إحباط العمل فإن فعل ذلك فلا يضره ما ذكر[366]، وبعضه من حاشية [الشيخ(ب) علي](ج) الأجهوري[367]. الثالثة : ما تقدم عن الأقفهسي وابن عمر من أن الاشتراك لا يبطل العمل فهماه من قول المصنف لم يقبل و لم يقل لم يصح بناء على أن القبول أخص من الصحة وأنه لا ملازمة بينهما وأن الصحة عبارة عن عدم الإعادة ، ثانيا والقبول عبارة عن الثواب وهو مذهب جماعة من أهل الأصول ، ولكنه خلاف التحقيق والتحقيق أنهما متلازمان ، وقد قال الشاطبي في موافقاته: "إن الصحة في العبادات من ترتيب آثار الأعمال عليها في الآخرة"[368]، وقال شيخ شيوخنا خاتمة العارفين بالسنة سيدي عبد القادر الفاسي قدس الله سره بعد أن ذكر من كلام الأئمة ما يدل للتلازم بينهما ما نصه: "وهذا المذهب الذي عليه المحققون من أن القبول الذي هو ترتيب الثواب لازم للصحة"[369] .المراد منه ولا يشترط فيه قبول الأعمال أن لا يكون العامل من

أ-في "هـ": ذاك.
ب-ساقط من "أ" و"ج" "اد" و"ط".
ج- ساقط من "هـ".

(366) البيان والتحصيل 1/499.
(367) حاشية الأجهوري على الرسالة الورقة 137-138.
(368) الموافقات للشاطبي 2/401.
(369) أجوبة عبد القادر الفاسي الورقة 131.

العصاة ، وأما قوله تعالى ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾(370) فلا دليل فيه على بطلان ثواب أعمال العصاة ، قال ابن عطية في تفسيرها :"إجماع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها اتقاء الشرك فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق [فيها نيته](أ) مقبولة ، وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة علم ذلك من إخبار الله تعالى لأن ذلك يجب على الله عقلا"(371) انتهى بلفظه. ويحتمل أن يكون المراد بالمتقين في الآية المخلصين احترازا من العمل/(302)[رياء فإنه غير مقبول أي المتقين في أعمالهم ولا إشكال، وانظر المحلي في مسألة](ب) الصلاة في المغصوب(372)، والمواق في سنن المهتدين(373). ولعل مراد من قال أن أعمال العصاة صحيحة غير مقبولة نَفْيُ القبول الكامل كما يفهم من كلام ابن عطية المتقدم والله أعلم. الرابعة: دليل ما قاله المصنف أما ما يوافق الكتاب فقوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾(374)، وقوله تعالى ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه ...﴾(375) الآية ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾(376)، وقوله ﴿وما ينطق عن الهوى﴾(377). وأما السنة فقوله عليه السلام "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء

أ-في "ج": نية فيها.
ب-ساقط من "ط".

(370) سورة المائدة آية 29.
(371) المحرر الوجيز 78/5.
(372) حاشية المحلي على جمع الجوامع 275/1.
(373) سنن المهتدين للمواق ملزمة 6 ص: 2 .
(374) سورة النساء آية 58.
(375) سورة الحشر آية 7.
(376) سورة النساء آية 79.
(377) سورة النجم آية 3.

الراشدين من بعدي"[378]، وقوله "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"[379]، وقوله "ستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا من الواحدة يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[380]، انظر القلشاني[381] والتتائي[382]، وأما ما يوافق الإجماع فقد سئل عنه الشافعي فختم القرآن في طلبه منه ثلاث مائة ختمة فظفر بقوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾[383]، وفي الحديث "لا تجتمع أمتي على ضلالة"[384]، انظر القلشاني آخر الكتاب[385]، وسيأتي إن شاء الله عند قول المصنف : **وترك كل ما أحدثه المحدثون**[386]. مزيد بيان لهذا قوله: **وإنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة**[387]، هذا مني على ما سبق من أن الأعمال ليست جزءا من حقيقة الإيمان بل من كماله فلا منافاة بين حقيقة الإيمان الذي هو التصديق القلبي وبين الإقدام

---

(378) أخرجه الحاكم في المستدرك 1741 رقم 329 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب لزوم السنة 200/4 رقم 4607 وابن ماجة في السنن المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 15/1 رقم 42.

(379) أخرجه أبو داود في السنن كتاب السنة باب لزوم السنة 200/4 رقم 4607 وابن ماجة في السنن المقدمة باب اجتناب البدع والجدل 18/1 رقم 46 والدارمي في السنن المقدمة باب اتباع السنة 57/1 رقم 95.

(380) أخرجه الحاكم في المستدرك 477/4 رقم 8325 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب شرح السنة 198/4 رقم 4597 وابن ماجة في السنن كتاب الفتن باب افتراق الأمم 1322/2 رقم 3992.

(381) تحرير المقالة للقلشاني 58/1.

(382) تنوير المقالة ص: 53 .

(383) سورة النساء آية 114.

(384) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة 466/4 رقم 2167 وابن ماجة في السنن كتاب الفتن باب السواد الأعظم 1303/2 رقم 3950.

(385) تحرير المقالة 402/2-403.

(386) متن الرسالة ص: 11 .

(387) متن الرسالة ص : 10 .

على الكبيرة(أ) بمجرد شهوة أو حمية أو كسل خصوصا إذا اقترن به خوف العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة، نعم إذا كان بطريق الاستحلال أو الاستخفاف كان كافرا لكونه علامة التكذيب، ولا نزاع في أن من المعاصي ما جعله الشارع أمارة التكذيب(ب) وعلم كونه كذلك بالأدلة الشرعية كالسجود للصنم وإلقاء المصحف في القاذورات والتلفظ بكلمات الكفر وغير ذلك مما ثبت بالأدلة أنه كفر، وبهذا ينحل ما يقال أن الإيمان إذا كان عبارة عن التصديق والإقرار ينبغي أن لا يصير المصدق المقر كافرا بشيء من أفعال الكفر وألفاظه ما لم يتحقق منه التكذيب أو الشك وعدم التنافي المذكور وهو/(303) أحد الأدلة لما قاله المصنف، ومنها الآيات والأحاديث الناطقة بإطلاق المومن على العاصي كقوله تعالى ﴿ يا أيها الذي آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾[388]، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾[389]، وقوله ﴿وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾[390]، وهي كثيرة، ومنها إجماع الأمة من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا بالصلاة على من مات من أهل القبلة من غير توبة والدعاء والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم الكبائر مع الاتفاق بأن ذلك لا يجوز لغير المومن قاله في شرح العقائد[391]، ومنها الإجماع بصحة عبادتهم ومنها أن الذنب لو كان مزيلا للإيمان لما نصبت الحدود والعقوبات على مرتكب موجبها بل كان

أ–في "أ": كبيرة.
ب–في "ب": للتكذيب.

---

(388) سورة البقرة آية 177.
(389) سورة التحريم آية 8.
(390) سورة الحجرات آية 9.
(391) شرح العقائد النسفية ص : 118.

الواجب القتل كالردة ، قاله التتائي(392)، وفي القلشاني(393) "أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يشرب الخمر فقام رجل فقال : ما أكثر ما يوتى به لعنه الله ، فقال عليه السلام لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله"(394)، ولا يعارض ما قاله المصنف ، قوله تعالى ﴿أفمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾(395) حيث جعل المومن مقابلا للفاسق ، وقوله عليه السلام "لا يزني الزاني [حين يزني وهو مومن](أ)"(396)، و"لا إيمان لمن لا أمانة له"(397)، لأن المراد بالفاسق في الآية هو الكافر فإن الكفر هو أعظم الفسوق والحديث وارد حتى سبيل المبالغة والتغليظ في الزجر عن المعاصي ، أي فالمراد بالمومن في الحديثين المومن الكامل ولكن ترك التصريح بالقيد تغليظا ومبالغة الزجر بدليل الآيات والأحاديث الدالة على أن الفاسق مومن حتى قال عليه السلام لأبي ذر لما بالغ في السؤال "وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر"، فسقط قول المعتزلة أن الفاسق ليس بمومن ولا كافر وهو المنزلة بين المنزلتين مستدلين بما سبق ، [ولا يعارضه

أ-ساقط من "أ" و"ب".

(392) تنوير المقالة ص : 54 .
(393) تحرير المقالة 58/1.
(394) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة 2489/6 رقم 6398.
(395) سورة السجدة آية 18.
(396) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحدود باب ما يحذر من الحدود الزنى وشرب الخمر قال ابن عباس : ينزع منه نور الايمان في الزاني 2487/6 رقم 6390، ومسلم في الصحيح كتاب الايمان باب بيان نقصان الايمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله 76/1 رقم 57 والترمذي في السنن كتاب الايمان باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مومن 15/5 رقم 2625 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في الإرجاء 221/4 رقم 4689 وابن ماجة في السنن كتاب الفتن باب النهي عن النهبة 1298/2 رقم 3936.
(397) رواه أبو يعلى في المسند 247/5 رقم 2863 وابن أبي شيبة في المصنف 159/6.

قوله][أ] تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[398]، ونحو ذلك لأنها متروكة الظاهر قاله في شرح العقائد النسفية[399]، قال[ب] الكمال:" أي لأن من وإن كانت للعموم بناء على عموم الموصولات فالمراد العموم في اليهود دون هذه الأمة والمراد بما أنزل الله التوراة بدليل السياق في قوله تعالى ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ...﴾[400] الآية، وهذه الأمة غير متعبدة بحكم التوراة ". قال ابن جزي/ (304) : " وقال جماعة هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الايمان"[401]، فسقط قول الخوارج أن العاصي كافر استدلالا بهذه الآية ونحوها وقول المصنف وأنه لا يكفر أحد الخ ، قال الفاكهاني :" هو مذهب جميع أهل السنة سلفا وخلفا"[402]، قال التتائي :"فيه نظر لقول ابن حبيب وابن عبد الحكم ومن وافقهما بتكفير تارك الصلاة عمدا أو تفريطا وكذا[ج] الزكاة والصوم والحج"[403]، وقوله بذنب يشمل الذنوب الجوارحية والاعتقادية ، وفي علي الأجهوري :"المراد بالذنب في قول المصنف البدعة، قال وأتى بهذا البيان حكم أهل البدع عنده فإن في كفرهم اختلاف، وهذا لا يستفاد من قوله **وجعل من لم يتب**[404] الخ لأنه في المومن وهو يحتمل شموله

أ– في "هـ": ولا يعارضه أيضا قوله.

ب–في "أ": قاله.

ج–في "أ": كذلك.

(398) سورة المائدة آية 44.

(399) شرح العقائد النسفية ص: 11 .

(400) سورة المائدة آية 44.

(401) التسهيل لابن جزي 178/1.

(402) شرح الفاكهاني على الرسالة ص : 72.

(403) تنوير المقالة ص : 53 .

(404) متن الرسالة ص: 9 .

لأهل البدع بناء على أنهم مومنون وعدم شموله لهم بناء على كفرهم"[405].
وفي التتائي : "وقد اختلف قول مالك والشافعي ومن وافقهما في تكفير أهل البدع كالقدرية وغيرهم ، قال عياض : وأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم لكن يؤدبون[أ] ويستتابون[406]"[407]، قيل لمالك : "أكفار هم ؟ فقال من الكفر فروا". وقال الشيخ أبو بكر بن فورك"[408] :" الغلط في إدخال ألف كافر بشبهة الإسلام خير من الغلط في إخراج مسلم واحد بشبهة كفر"[409]. والقدرية الذين وقع فيهم الخلاف في كفرهم هم الذين يعتقدون الخير من الله والشر من فاعله ، وأما القدرية الذين ينكرون أن الله تعالى قدر الأشياء في الأزل، بل يقولون الأمر أنف بضم الهمزة والنون أي مستأنف لم يسبق قدر ولا علم وإنما يعلمه بعد وقوعه فهم كفار بلا خلاف كما ذكر النووي[410]، عن عياض[411]،" وهؤلاء لم يبق منهم أحد" قاله علي[ب] الأجهوري وقد جلب نصوصا في حكم أهل البدع[412]، فانظره إن شئت. وقوله : من أهل القبلة هم المومنون المصلي منهم وغيره،

أ–ساقط من "ج".
ب–في "أ": الشيخ علي.

(405) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 138.
(406) الإكمال للقاضي عياض 281/1.
(407) تنوير المقالة ص: 53 .
(408) هو محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب الواعظ الأصبهاني ، درس في مختلف البلاد الإسلامية كالعراق والري ونيسابور ، توفي سنة 406 هج مسموما وقد وصلت مصنفاته قريبا من مائة مصنف ، ترجمته في وفيات الأعيان 4/272-273 والوافي بالوفيات 344/2 وشذرات الذهب 181/3.
(409) شرح زروق على الرسالة 62/1.
(410) شرح النووي على مسلم 156/1.
(411) الإكمال للقاضي عياض 20/1.
(412) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 144.

وقيل المصلي فقط أي وأما غير المصلي فيكفر بالذنب ، وانظر ما معنى هذا الخلاف الذي ذكروه هنا فإن القول بكفر تارك الصلاة غير مقيد بارتكاب كبيرة أخرى بل ترك الصلاة بمجرده كفر عند هذا القائل ولا نعلم قولا ثالثا أي لا يكفر إلا إن ارتكب كبيرة والله أعلم.

قوله : **وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون**(413)، هذا أيضا مما يجب اعتقاده لورود النصوص الشرعية به قال تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾(414)، وقال ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾(415). والشهداء جمع/(305) شهيد وهو إذا أطلق إنما ينصرف للفرد الكامل وهو من قتل في جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله ، في البخاري عن أبي موسى قال "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى[أ] مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"(416)، وهو بمعنى مفعول أي مشهود له بشهادة الملائكة له أو شهادة دمه له يوم القيامة، وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "والذي

أ–في "أ": يرى.

---

(413) متن الرسالة ص : 10.
(414) سورة آل عمران آية 169.
(415) سورة البقرة آية 153.
(416) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا 1034/3 رقم 2655 ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله 1512/3 رقم 190/4 والترمذي في السنن كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا 1794 رقم 1646 وأبو داود في السنن كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا 14/3 رقم 2517 وابن ماجة في السنن كتاب الجهاد باب النية في القتال 931/2 رقم 2783.

نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك"[417]، أو بمعنى فاعل لأن روحه تشهد الجنة أي تحضرها فالشهيد بمعنى الحاضر. وذكر الترمذي الحكيم أن الله لما خلق الموت فزع منه الملائكة فقال : إن من عبادي من يحبه فتمنوا رؤيته فعرضت عليهم أرواح الشهداء فكل من شهد ذلك المحفل قيل فيه شهيد"[418]، فهو على الأول من الشهادة وعلى الثاني من المشاهدة كما في الروض الأنف للسهيلي[419]، وفي التوشيح للسيوطي على صحيح البخاري : "سمي شهيدا لأنه حي فكأن روحه شاهدة أي حاضرة ، وقيل لأن الله تعالى وملائكته يشهدون له بالجنة ، وقيل لأنه يشهد عند خروج روحه [ما أعد الله له من الكرامة)[أ] وقيل لأنه يشهد له بالأمان من النار وقيل لأنه يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل"[420]، انتهى بلفظه، فقيل لأنه لا يشهد عند خروج روحه][ب] إلا ملائكة الرحمة ، وقيل لأن الملائكة تشهد له بحسن نيته وإخلاصه، انظر عمدة الراوين[421]، ثم اعلم أنه قد اختلف العلماء في معنى حياة الشهداء إذ لا خفاء في موتهم وأن أجسادهم في التراب والإجماع على إرثهم وتزويج نسائهم وتنفيذ

أ–ساقط من "ب".

ب–ساقط من"هـ".

(417) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب من يخرج في سبيل الله عز وجل 1032/3 رقم 2649 ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله 1496/3 رقم 1876 والترمذي في السنن كتاب الجهاد باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله 184/4 رقم 1656 ومالك في الموطأ كتاب الجهاد باب الشهادة في سبيل الله 461/2 رقم 984.

(418) نوادر الأصول ص: 429 –430 .

(419) الروض الأنف للسهيلي 151/2.

(420) التوشيح على الجامع الصحيح الورقة 143.

(421) عمدة الراوين في أحكام الطواعين ص : 9.

وصاياهم، والصحيح الذي عليه الجمهور أن حياتهم وكذا حياة الأنبياء عليهم السلام بعد الموت غير مكيفة لنا فنومن بها من غير كيف على ما يعلمه الله ، قال في المراصد :

ثم الشهيد أي قتيل المعترك — حي ولكن دون كيف يدرك
والأنبياء هكذا أحياء — قد وردت بذلك[أ] الأنباء[422]

ولذلك قال تعالى ﴿ولكن لا تشعرون﴾[423]، وانظر بقية الأقوال في القلشاني[424] والتتائي[425]، وقد/(306) ذكر العلماء أن الشهيد له كرامات يختص بها فتضاف لكرامة حياته منها أكله من ثمار الجنة وتناوله من نعيمها في وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة له كما قال ابن عطية[426]، قال تعالى ﴿عند ربهم يرزقون﴾[427]، ومنها بدخول أرواحهم الجنة قبل[ب] يوم الجزاء لما ورد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا أنا أحياء في الجنة نرزق وليلا يزهدوا في الجهاد ولا يكلوا عن الحرب ؟ فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله الآية"[428]، ومنها أنه يغفر لهم

أ–في"هـ": بذاك.
ب–ساقط من"هـ".

(422) المراصد ص : 327.
(423) سورة البقرة آية 153.
(424) تحرير المقالة للقلشاني 1/59-60.
(425) تنوير المقالة للتتائي ص : 54–55 .
(426) المحرر الوجيز لابن عطية 3/293-294.
(427) سورة آل عمران آية 169.
(428) أخرجه الحاكم في المستدرك 2/97 رقم 2444 وأبو داود في السنن كتاب الجهاد باب في فضل الشهادة 3/15 رقم 2520 .

بأول الملاقاة كذا في التتائي[429]. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "للشهيد ست خصال يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين، ويشفع في تسعين من أقاربه"[430] قال الترمذي حديث حسن صحيح[أ] ، وقد تردد ابن حجر في كون الفاسق المرتكب للكبائر تحصل له درجة الشهادة وانفصل على أن وجود التباعات لا يمنع وجود الشهادة[ب] لأن الشارع رتب ثواب الشهادة على صفة معينة إذا حصلت للمومن عند موته حصل له ذلك الثواب ، وليس للشهادة معنى إلا أن الله يثيب من حصلت له ثوابا مخصوصا ويكرمه كرامة زائدة[ج] ولا يلزم من ذلك مساواته لمن عمل الصالحات لأن درجات الشهداء متفاوتة ، وثبت في الحديث الصحيح أن الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدين ، وفي معنى الدين سائر التباعات المتعلقات بالعباد وأما حديث ابن ماجة "يغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ولشهيد البحر الذنوب والدين"[432] فحديث ضعيف ، نقل جميع ذلك الإمام الحطاب وانظره فقد نقل عن ابن العربي في العارضة[د] :" إن من مات بسبب من أسباب الشهادة فهو شهيد وإن مات في معصية كمن غرق في قطع الطريق

أ–في "ج": حسن غريب وفي"هـ": صحيح غريب.
ب–في"ع": الشهادات.
ج–في "ب": مخصوصة زائدة.
د– في"هـ": المعارضة.

---

(429) تنوير المقالة ص: 55.
(430) أخرجه الترمذي في السنن كتاب باب ثواب الشهيد 187/4 رقم 1663 وابن ماجة في السنن كتاب الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله 935/2 رقم 2799.
(431) فتح الباري 193/10.
(432) أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الجهاد باب فضل غزو البحر 928/2 رقم 2778 .

فهو شهيد وعليه إثم معصيته[433][434]. ومنها أنه لا يسأل في قبره، ومنها الأرض لا تأكل جسده وهو أحد العشرة الذين لا تعدو عليهم الأرض. وقد نظم التتائي خمسة/(307) منهم في قوله:

لا تأكل الأرض جسما للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب إذ أنه للإله مجرى الفلك[435]

ونظم علي الأجهوري الخمسة الباقية في قوله:

وزيد من صار صديقا كذلك من غدا محبا لأجل الواحد الملك
ومن يموت بطعن والرباط كذا كثير وهذا أعظم النسك[436]

ومنها أنه يتمنى الرجوع للدنيا [فيقتل[أ] في سبيل الله مرة أخرى][ب] لكثرة ما يرى من الكرامة وفضل الشهادة ثبت ذلك في الصحيح، ومنها أنه يقطع له بالجنة والعندية في قوله ﴿عند ربهم يرزقون﴾[437] عندية تقريب واجتباء وشرف ومكانة لا عندية مكان. تنبيهات، الأول: عورض ما تقدم من أن أرواح الشهداء تدخل الجنة بما أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب بسند جيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية"[438]، فإنه يدل على

أ-في "أ": ليقتل.
ب-ساقط من "ب" و "ج" و"هـ".

---

(433) عارضة الأحوذي لابن العربي 7/107-108.
(434) عمدة الراوين في أحكام الطواعين ص : 103.
(435) تنوير المقالة ص : 55 .
(436) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 153.
(437) سورة آل عمران آية 169.
(438) أخرجه أحمد في المسند 1/266 رقم 2390 وابن أبي شيبة في المصنف 4/203 رقم 19321 والبيهقي في شعب الايمان 4/19 رقم 4241.

أنهم خارج الجنة ، وأجيب باحتمال أن هذا في بعض الشهداء وما تقدم في خواصهم، وباحتمال أن هذا في غير شهداء المعترك من المطعون والغريق وغيرهم انظر علي الأجهوري.(439) الثاني[أ]: قوله في الحديث في أجواف طيور خضر أنكره بعض العلماء لأنها حينئذ تكون محصورة ، ورد بأن الرواية ثابتة وتحتمل[ب] التأويل بجعل في بمعنى على ، نحو ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾(440)، فالمعنى على جوف طيور خضر ولا مانع من بقائها على ظاهرها ويوسعها الله تعالى ، وقيل أن الروح تشكل طائرا وعليه فالأشبه أن ذلك في القدرة على الطيران لا في الصورة والخلقة لأن شكل الآدمي أفضل الأشكال، صرح بذلك ابن حبان في الإرشاد وغيره، انظر علي[ج] الأجهوري(441). الثالث : الشهداء ثلاثة شهيد الدنيا والآخرة وهو الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وهو الذي لا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن في ثيابه كما يأتي [في محله][د]، وهو الذي له الخصوصية المتقدمة ، وشهيد الدنيا فقط وهو من قاتل للغنيمة أو ليقال . وشهداء الآخرة فقط وهم كثيرون الغريق والمطعون وهو الذي يموت في الطاعون ويقال فيه الطعين، وميت الهدم والمبطون والمرأة تموت بجمع بضم الجيم قيل هي التي تموت/ (308) من الولادة وولدها في بطنها ، وقيل ولو وضعت، وقيل التي تموت بكرا لم يمسها الرجال، والميت بذات

أ–في"هـ": الثالث.

ب–في"ع" و"هـ": ويحتمل .

ج–ساقط من"هـ".

د–في "أ": بمحله.

---

(439) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 152.

(440) سورة طه آية 70.

(441) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 152.

الجنب وبحرق النار ، والغريق والمسافر وبالسقوط من مركب ومن مات في الرباط ، والمتردي وقتيل الأسد ومن قتل دون أهله أو ماله أو دينه أو دمه، والذي وقص من بعير أو فرس أو حمار ، والميت في حالة نومه وبلدغ هامة والعفيف عن معشوقه خوفا من الله تعالى ، والشريف وطالب العلم والتاجر الصدوق ومن عاش مداريا للناس أو مات في سجن بغير حق، ومن ضرب بغير فسق ومن قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله . وقد نظمهم سيدي عبد الله بن عبد الرزاق العثماني(442)، في قصيدة فيها ثمانية وأربعون بيتا من الرجز مشيرا إلى من خرج أحاديثها ، ومنها مشيرا إلى هذا الأخير بقوله:

وقد روى البزار حبر الأمة ... بسند إلى أمين الأمة
فيمن أتى إلى إمام جائر ... ذكره بطش العليم القادر
فثار فيه جوره فقتله ... فهو شهيد مكرم وحق له

ومن مات بالحمى رواه الديلمي ، والمائد في البحر الذي يصيبه القيء رواه أبو داود(443)، الترمذي "من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ملكا يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في يومه مات شهيدا ، ومن قرأها حين يمسي كان بتلك المنزلة"(444). الثعالبي :" من

(442) هو عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد العظيم العثماني المكناسي المالكي الفقيه الصوفي ، ولد بالبادية سنة 945 هج ثم استوطن فاسا ، من تصانيفه سلاح أهل الإيمان في محاربة الشيطان بالصلاة وتلاوة القرآن وتنبيه الفاضل إلى مرتبة العاقل وغيرها، توفي سنة 1027 هج، ترجمته في ونشر المثاني 222/1 والتقاط الدرر 72/1وسلوة الأنفاس 329/2 .

(443) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الجهاد باب فضل الغزو في البحر 7/3 رقم 2493.

(444) أخرجه الترمذي في السنن كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر 182/5 رقم 2922 وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قرأ آخر سورة الحشر ﴿لو أنزلنا هذا القرآن...﴾[445] إلى آخرها فمات من ليلته مات شهيدا"[446]، الآجري عن أنس عنه عليه السلام أنه قال "إن استطعت أن تكون على وضوء أبدا فافعل فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب الله له شهادة"[447]. مسلم "من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه"[448]، وفي رواية "من سأل الله الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه"، وهي مفسرة للأولى قاله النووي المنذري[أ] عن حذيفة[449] عنه عليه السلام "من قال حين يمسي ويصبح اللهم إني أشهدك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب [إلا أنت][ب]، فإن قالها حين يصبح فمات من يومه ذلك قبل أن يمسي مات شهيدا/(309) وإن قالها حين يمسي فمات

أ-ساقط من"هـ".

ب-في "ب" و"ج": غيرك.

ج-في "ج": قالها يومه ذلك حين ....

(445) سورة الحشر آية 21.

(446) الجواهر الحسان للثعالبي 288/4.

(447) رواه الطبراني بلفظ آخر في المعجم الأوسط 124/6 رقم 5991.

(448) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله 1517/3 رقم 1908 والترمذي في السنن كتاب الجهاد باب ما جاء في من سأل الشهادة 183/4 رقم 1653 وابن ماجة في السنن كتاب الجهاد باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى 935/2 رقم 2797 والدارمي في السنن كتاب الجهاد باب فيمن سأل الله الشهادة 270/ 2 رقم 2407.

(449) هو حذيفة بن حسل ويقال حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة أبو عبد الله العبسي المعروف بحذيفة بن اليمان من كبار الصحابة ، توفي بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بأربعين ليلة سنة 36 هج، ترجمته في الاستيعاب 334/1 وأسد الغابة 468/1 والإصابة 44/2.

من ليلته مات شهيدا"(450). السخاوي في المقاصد الحسنة "من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر وكتب شهيدا"(451)، الحاكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾(452) "أيما مسلم دعا بهن في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برئ برئ(أ) وقد غفرت ذنوبه"(453)، ابن الجوزي "من مات عقب رمضان أو عقب عمرة أو عقب غزو أو حج مات شهيدا"، ابن ماجة "من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له"(454)، الإمام أحمد "إن شهداء الله في الأرض أمناء الله على خلقه قتلوا أو ماتوا"(455)، فمن الشهداء أيضا الأمناء انظر الحطاب في عمدة الراوين في أحكام الطواعين(456)، وقال شيخ الإسلام ابن حجر في بذل الماعون في فضل الطاعون بعد أن عد جملة من الشهداء ما نصه: "هذه الخصال ورد في كل منها أن صاحبها شهيد يعني أنه يعطى أجر الشهيد(ب) وغالب ميتات(ج) فيها شدة تفضل الله بها على

أ–ساقط من "ج".
ب–في "أ": الشهداء.
ج–في"ع": ميتة.

(450) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح 317/4 رقم 5069.
(451) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في من مات يوم الجمعة 386/3 رقم 1074 وقال : هذا حديث غريب وقال : وهذا حديث ليس إسناده بمتصل.
(452) سورة الأنبياء آية 86.
(453) أخرجه الحاكم في المستدرك 685/1 رقم 1863 والترمذي في السنن كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد 529/5 رقم 3505.
(454) أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الوصايا باب الحث على الوصية 901/2 رقم 2701.
(455) أخرجه الإمام أحمد في المسند 200/4 رقم 17821.
(456) عمدة الراوين في أحكام الطواعين ص: 96 .

الأمة المحمدية بأن جعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة في أجورهم ومراتبها في ذلك متفاوتة فيما يظهر حتى في الأشخاص"[457]، وهو كلام حسن ونحوه لابن التين[458] في شرح البخاري وللباجي في شرح الموطا[459]، وفي العراقي[460] على أحاديث الإحياء: "فالأنبياء أعلاهم في ذلك ثم الصديقون ثم القتلى في سبيل الله ثم من دونهم ممن أيس من الحياة لما نزل به كصاحب ذات الجنب وهو السل والمبطون وغير ذلك". وقال الشيخ زروق :"ما في الأحاديث من إطلاق اسم الشهيد على المبطون ونحو ذلك هو من حيث الثواب والكرامة لا أنهم مثل شهيد المعترك والله أعلم"[461]، وفي ابن ماجة : "من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة"[462]، قال السيوطي :" هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال أحمد بن حنبل إنما هو من مات مرابطا"[463]، انظر شرح المراصد. الإمام أحمد "إن أكثر شهداء أمتي

(457) أورده السيوطي في اختصاره لبذل الماعون في فضل الطاعون ص364 : كما أورد ابن حجر معناه في فتح الباري /194. 10

(458) هو أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقصي الشيخ الإمام المحدث ، له شرح على صحيح البخاري ، توفي سنة 611 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص287 : وشجرة النور الزكية 168/1.

(459) المنتقى للباجي 205/3.

(460) هو عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن بن أبي بكر المهراني الشافعي المعروف بالعراقي زين الدين أبو الفضل، حافظ محدث من مصنفاته نظم الدرر السنية في السيرة الزكية وألفية في علوم الحديث والمغني في حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، ولد سنة 725 هج وتوفي سنة 806 هج، ترجمته في الضوء اللامع 4/171-178 وحسن المحاضرة 1/360-362 وشذرات الذهب 7/55-57.

(461) شرح زروق على الرسالة 63/1.

(462) أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الجنائز باب ما جاء فيمن مات مريضا 515/1 رقم 1615 والطبراني في المعجم الأوسط 262/5 رقم 5262 .

(463) أبواب السعادة في أسباب الشهادة ص: 35.

لأصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته"(464)، وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن لله عبادا يضن(أ) بهم عن القتل يطيل أعمارهم ويحسن أرزاقهم ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في/ (310) عافية ويبعثهم في عافية فيعطيهم منازل الشهداء "أخرجه الطبراني (465) وأبو نعيم وفي سنده حفص بن سليمان(466)، وهو ضعيف ، انظر عمدة الراوين(467). ولما أخبر المصنف رحمه الله بحال الشهداء بعد الموت أخبر هنا(ب) بحال غيرهم من الأموات فقال : **وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين**(468)، هذا الكلام تضمن أمرين الأول أن من الأرواح ما هو منعم بعد الموت ومنها ما هو معذب ، ونعيمها وعذابها برؤية مقعدها في الجنة أو في النار وغير ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم "إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك إلى أن يبعثك الله"(469)،

أ-ساقط من "ج".
ب-ساقط من"هـ".

(464) أخرجه أحمد في المسند 397/1 رقم 3772.
(465) رواه الطبراني في المعجم الكبير 176/10 رقم 1071.
(466) هو حفص بن سليمان القاري أبو عمر ، سكن بغداد وروى عن كثير بن شنطير وغيره وعنه هشام بن عمار ، كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، توفي سنة 180 وقيل 190 هـ. ترجمته في المجروحين لابن حبان 255/1 وميزان الاعتدال 558/1-559.
(467) عمدة الراوين للحطاب ص: 98.
(468) متن الرسالة ص : 10 .
(469) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي 464/1 رقم 1313 ومسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه 2199/4 رقم 2866 والترمذي في السنن كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر 384/3 رقم 1072 ومالك في الموطأ كتاب الجنائز باب جامع الجنائز 239/1.

خرجه البخاري ، قال الكرماني :"إن قلت المومن العاصي ماذا يعرض عليه؟ قلت له مقعدان يراهما جميعا وفائدة العرض للمومن نوع من الفرح وللكافر نوع من الحزن"[470]. وقال تعالى ﴿النار يعرضون عليها﴾ إلى قوله ﴿أشد العذاب﴾[471]. ويدل لذلك أيضا حديث "القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"[472]، وحديث سؤال الملكين الآتي ، وفي الحديث "إنما يفسح للمومن في قبره مد بصره" وفي رواية "سبعون ذراعا"[473]، وفي رواية سبعون في سبعين ثم ينور له كالقمر ليلة البدر فيقول لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذاك"، وورد أن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره"[474]، وفي رواية "يفسح للغريب في قبره كبعده عن أهله"، وورد " أرحم ما يكون الله بالعبد إذا وضع في حفرته"، وورد "إذا مات العالم صور الله علمه في قبره يؤنسه إلى يوم القيامة ويدرأ عنه هوام الأرض". وأخرج ابن أبي دنيا[475]، عن الحسن قال:" بلغني أن المومن إذا مات و لم يحفظ القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله مع أهله يوم القيامة ، وقد سمعت القرآن من جماعة وقد رئي جماعة من الصالحين وهم يقرءون

---

(470) شرح الكرماني على صحيح البخاري 30/11.

(471) سورة غافر آية 46.

(472) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة أواني الحوض 639/4 رقم 2460 وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والطبراني في المعجم الأوسط 273/8 رقم 8613.

(473) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب صفة الجنة ونعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه 2200/4 رقم 2870 والترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب ما جاء في عذاب القبر /383 3 رقم 1071.

(475) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي مولاهم البغدادي صاحب التصانيف النافعة ، منها محاسبة النفس والتوكل وغيرها، ولد سنة 208 وتوفي سنة 281 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 6/12-13 والسير 397/13-404.

القرآن[أ] في قبورهم وفي أيديهم المصاحف من الذهب مكتوبة بالذهب". وأخرج أبو نعيم في الحلية عن جبير قال: "أنا والله الذي لا إله إلا هو الذي أدخلت ثابتا/(311) البناني[476]، في لحده ومعي حميد الطويل[477]، فلما سوينا عليه التراب سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فأعطينيها، فما كان الله يرد دعاءه"[478]. وورد أن المومنين يكسون في قبورهم وأن يفرش للمومن في قبره ، وورد "أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم في أكفانهم"[479]، لكن في المدخل : "ما يقال أن الأموات يتباهون بأكفانهم لا أصل له"[480]، وورد "إن الميت إذا وضع في لحده أتاه أهله وولده وسألوه عما خلف بعده كيف فعل فلان؟"، قال ابن القيم[ب] : "الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى[ج] جاء علم به المزور وسمع سلامه وأنس به ورد عليه ، وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنه

أ–ساقط من "ب" و"د".
ب–في "ب" و"د": أبو القيم.
ج–في "أ" و"ب": متى ما جاء.

(476) هو أبو محمد ثابت البناني الإمام القدوة ، ولد في خلافة معاوية ، وحدث عن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير وغيرهما، كان من أئمة العلم والعمل، توفي سنة 123 وقيل 127 هج، ترجمته في التاريخ الكبير 2/159-160 وتهذيب التهذيب 2/2-4 والجرح والتعديل 2/944.

(474) أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الجنائز باب ما جاء في فيمن مات غريبا 1/515 رقم 1614.

(477) هو حميد بن أبي حميد الطويل ، عرف بذلك لأنه قصير القامة وقد عرف بالتدليس ، ولد سنة 68 هج وتوفي سنة 143 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 5/235 وتهذيب التهذيب 3/38-40 وميزان الاعتدال 1/610.

(478) حلية الأولياء 2/319.

(479) بشرى الكئيب للسيوطي ص: 355.

(480) المدخل لابن الحاج ص : 277 .

لا توقيت في ذلك"[481]، انظر بشرى الكئيب.[482] وفي صحيح البخاري "خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود يعذبون في قبورهم"[483]، وفيه "أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال"[484]، وفيه "أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، ثم أخذ عودا رطبا فكسره اثنين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"[485]، ولهذا قال العلماء أكثر عذاب القبر من الغيبة والبول، وقد ورد التصريح بالغيبة بدل النميمة، وجاء في خصوصية هذه الأمة أنهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب، تمحص عنهم باستغفار المومنين لهم وأنهم عجل عذابهم في الدنيا وفي البرزخ ليوافقوا القيامة ممحصين ، الأمر الثاني أن الأرواح باقية بعد الموت

---

(481) بدائع الفوائد 2/173-174.

(482) بشرى الكئيب للسيوطي ص: 354 .

(483) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر 1/463 رقم 1309 ومسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها 4/2200 رقم 2869.

(484) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر 1/463 رقم 1311 ومسلم في الصحيح كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما استعاذ منه في الصلاة 1/412 رقم 588 وابن ماجة في السنن كتاب الدعوات باب ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم 2/1262 رقم 3838.

(485) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله 1/88 رقم 213 ومسلم في الصحيح كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه 1/240 رقم 292 والترمذي في السنن كتاب الطهارة باب ما جاء في التشديد في البول 1/102 رقم 70 وأبو داود في السنن كتاب الطهارة باب الاستبراء من البول 1/6 رقم 20 وابن ماجة في السنن كتاب الطهارة باب التشديد في البول 1/125 رقم 347 والدارمي في السنن كتاب الطهارة باب الاتقاء من البول 1/205 رقم 739.

ودليله الأحاديث الدالة على بقاء الأرواح وتصرفها ونعيمها وعذابها وسماعها وكلامها ، واختلفوا هل تبقى[أ] عند[ب] القيامة ، قال في المراصد:

والروح بعد الموت تبقى ثم في فنايها عند القيامة انتفى
تردد قال التقي السبكي بقاؤها الأظهر دون الشك[486]

قال ابن العربي :"إنما للبقاء لا للفناء فلا فناء لها بعد وجودها"/(312)، وخالفه في ذلك ابن رشد فهو يرى أن الأرواح تموت عند نفخَة الصعق . البكي : "اتفق أهل السنة والجماعة على أنها باقية حية داركة بحيث تدرك لذاتها وآلامها وإن اختلفوا في البدن هل هو مدخل في إدراك تلك اللذات وتلك الآلام أم لا"[487]. الزناتي في شرح الرسالة :"وزعم قوم أن الأرواح تفنى ولا وجود لها في البرزخ حتى يحييها الله تعالى عند إحياء جسومها وهذا مكابرة لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبذ لنصوصها المتواترات[ج] ولظاهر القرآن في قوله تعالى ﴿كأنهم يوم يرونها﴾[488] الآية، ولا يقرب البعد من الزمان إلا على لابثه لا على المعدوم فيه إذ لا علم عنده به". وفي البخاري[د] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع

أ-في"هـ": تفنى.
ب-في "أ": يوم.
ج-في "أ": المتواترة.
د-في "ج" و"هـ": السخاوي.

(486) المراصد ص: 329.
(487) شرح الحاجبية للبكي الورقة 87.
(488) سورة النازعات آية 45.

صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق"(489)، وفيه من حديث ابن عمر قال "اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على أهل القليب(أ) فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل له تدعو أمواتا ، فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون"(490). والأرواح جمع روح [والكلام عليها من وجوه ، الأول قد اختلف الناس فيه على](ب) فرقتين فرقة أمسكت عن الخوض في حقيقته و لم تتعرض له بأعم من كونه موجودا وتمسكوا بقوله تعالى عند سؤال أهل الكتاب ﴿قل الروح من أمر ربي ...﴾(491) الآية وقالوا معناه فاجعلوا الروح من الكثير الذي لم توتوه ولا تسألوا عنه فإنه من أسراري، ونقل عن الجنيد أنه قال: "الروح شيء استأثر الله به و لم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود"(492)، وفي جمع الجوامع :"حقيقته لم يتكلم فيها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها"(493)، وفرقة خاضت فيه فأجابوا عن الآية بشيئين أحدهما أن اليهود قالوا إن أجاب عنها فليس بنبي وإن لم يجب فنبي فلم يأذن الله تعالى في الجواب تأكيدا لمعجزته صلى الله عليه وسلم وتصديقا لما عندهم من أوصافه صلى الله عليه وسلم لا لعدم إمكان الكلام فيه، الثاني أن

أ-في "أ": الغائب.

ب-ساقط من "ب".

---

(489) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب حمل الرجال الجنازة دون النساء 442/1 رقم 1251 والنسائي في السنن كتاب الجنائز باب السرعة بالجنازة 41/4 رقم 1909.

(490) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر 462/1 رقن 1304 ومسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه 2202/4 رقم 2873 .

(491) سورة الإسراء آية 85.

(492) فتح الباري 404/8.

(493) جمع الجوامع ص : 199.

سؤالهم إنما كان سؤال تعجيز وذلك لأن الروح مشترك بين المقصود وبين جبريل عليه السلام وملك آخر وصنف من الملائكة والقرآن وعيسى عليه السلام، فأرادوا لعنهم الله أن يقولوا كلما أجلبهم بشيء من غير هذا/(313) نريد فأجابهم الله تعالى جوابا مجملا وهو كونه من أمره الذي يصدق بالجميع، ثم اختلف هؤلاء في حقيقته على أقوال كثيرة حتى قيل أن فيها ثلاثمائة قول. وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة : "يحكى أن في مسألة الروح سبعمائة قول"، قيل وكثرة المقالات توذن بكثرة الجهالات، قال العارف البكي : "والمتحصل من ذلك لأهل السنة والجماعة ثلاثة أقوال : الأول أن الروح جسم نوراني لطيف سار في البدن كسريان النار في العجم والماء في الورد ، أجرى الله العادة بحياة البدن باتصاله به وهذا قول المحققين منهم كإمام الحرمين(494) ونقل عن الشيخ يعني الأشعري . الثاني : أنه جسم لطيف كجسم الإنسان وعلى هيكله ذو يدين وعينين في داخل الجسم يقابل كل عضو وجزء منه نظيره من البدن، وبالجملة هو على هيكل الإنسان ينمو بموه ونقل هذا عن ابن حبيب(495). الثالث : أنه ليس بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل في البدن ولا خارج عنه، وهذا قول حجة الإسلام(496) والراغب والحليمي(أ) وجماعة الصوفية خصوصا المتأخرين والفلاسفة"(497)، وقد تعرض المتكلمون لإبطال هذا المذهب وبالجملة هو جوهر زايد على الهيكل المشهود ، وهل هو سار فيه

أ-في "ب" الحليمون.

---

(494) الإرشاد للجويني ص : 377.

(495) رواه السيوطي في الديباج دون إسناده لابن حبيب 484/4.

(496) شرح حديث النزول لابن تيمية ص: 98 .

(497) شرح الحاجبية للبكي الورقة 82.

أو باطن فيه أو متصل به ولا منفصل عنه ولا داخل ولا خارج . الثاني هل النفس والروح شيئان، وهو قول ابن حبيب فالروح هو النفس المتردد في الإنسان والنفس هي التي يقال لها جسد مجسدة لها يدان ورجلان وعينان ورأس ، وإنها هي التي تلتذ[أ] وتفرح وتألم وتحزن ، وإنها هي التي تتوفى في المنام وتخرج وتسرح وترى الرؤيا فتسر بما ترى وتفرح به وتألم وتحزن، ويبقى الجسم دونها بالروح ولا يلتذ ولا يفرح ولا يألم ولا يحزن ولا يفعل حتى تعود إليه النفس فإن أمسكها الله ولم يرجعها إلى جسدها تبعها الروح فصار معها شيئا واحدا ومات الجسم، وإن أرسلها إلى أجل مسمى وهو أجل الموت حيي الجسم واحتج بقوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها ...﴾[498] الآية، والنفس والروح شيء واحد وهو قول أكثر العلماء حكاه ابن رشد[499]، قاله ابن أمقشاب[ب] في كنز الأسرار[500]، وقال في الروض الأنف :"وإذا ثبت أن الروح سبب[ج] الحياة عادة أجراها الله /(314) فهو كالماء الجاري في عروق الشجرة صعودا حتى تحيى به عادة، فتسميه ماء باعتبار أوليته ويسمى هذا أيضا روحا باعتبار أوليته واعتبار النفخة[د] التي هي ريح فما دام الجنين في بطن أمه حيا فهو دون روح فإذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقا وأوصافا لم تكن فيه وأقبل على مصالح الجسم كلفا به وعشق مصالح الجسد ولذاته ودفع المضار عنه

أ-في"هـ": تلذ.
ب-في "ج": أمقشان.
ج-في"هـ": هو سبب.
د-ساقط من "ب".

(498) سورة الزمر آية 39.
(499) مقدمات ابن رشد ص : 169.
(500) كنز الأسرار ظهر الورقة 99.

سمي نفسا كما يكتسب الماء الصاعد في الشجرة أوصافا لم تكن فيه، فالماء في العنبة مثلا هو ماء باعتبار الأصل ففيه من الماء الميوعة والرطوبة وفيه من العنبة الحلاوة وأوصاف أخر، فتسميه مصطارا[أ] إن شئت، أو خمرا أو غير ذلك[ب] مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف فمن قال النفس هي الروح على الإطلاق من غير تقييد فلم يحسن العبارة وإنما فيها من الروح الأوصاف التي تقتضيها نفخة الملك والملك موصوف بكل خلق كريم، ولذلك قال في الحديث الذي رواه أبو عمر بن عبد البر في التمهيد "إن الله خلق آدم وجعل فيه نفسا وروحا فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاؤه، ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه"[501]، وهذا الحديث صحيح معناه وإن كان ابن عبد البر قد علله"[502]، انظر تمام كلامه وقد نقله شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر في جواب له. وقال شيخنا المحقق في شرح الحكم وغيرها: "النفس والقلب والروح والسر أسماء مترادفة لمسمى واحد هو اللطيفة الربانية التي كان بها الإنسان إنسانا، لكن مادام الإنسان في مقام الإسلام تسمى نفسا فإذا تخلص منه إلى مقام الإيمان سميت قلبا ثم إذا ارتقى إلى أول مرتبتي الإحسان وهي المراقبة المشار لها[ج] بقوله صلى الله عليه وسلم "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[503]، سميت روحا ثم إذا ترقى للمرتبة الثانية منه وهي المشاهدة المشار إليها بقوله

أ-في "ج" و"هـ": مسطارا.

ب-في "هـ": ذاك.

ج-في "أ": إليها .

---

(501) التمهيد لابن عبد البر 243/5

(502) الروض الأنف 1981.

(503) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الايمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة 27/1 رقم 50 ومسلم في الصحيح كتاب الايمان باب بيان الايمان والإسلام والإحسان 37/1 رقم 8.

صلى الله عليه وسلم "أن تعبد الله كأنك تراه "سميت سرا[504]. وقال في شرح صلاة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش نقلا عن الساحلي[505]: "إن مالت لجهة النقص سميت نفسا، فإن تخلصت من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان سميت قلبا، وإن تخلصت منه إلى مقام الإحسان ولكن بقي فيها أثر من النقص كأثر الجراحات بعد البرء سميت روحا وإن ذهب ذلك الأثر وصفت سميت سرا، وإن أشكل الأمر سميت باطنا"[506]. وقال الشيخ زروق /(315) في الحادي عشر من شروح الحكمة :" الصواب في القلب والسر والعقل والنفس والروح الوقف عند ذلك وإرجاع العلم له سبحانه، الثالث مقر الأرواح بعد الموت، قال سيدي عبد الله العبدوسي[507] في جواب له "إن الأرواح أحوالها مختلفة فبعضها في سماء الدنيا وأخرى في الثانية وهكذا إلى العرش، وبعضها في جنة المأوى وبعضها في كفالة إبراهيم عليه السلام وبعضها في حواصل طير بيض وخضر وسود وبعضها متردد بين السماء والأرض، وبعضها تخير فيقال لها جولي حيث شئت إلى غير ذلك من أحوالها المختلفة"، ونحوه[أ] عند القرطبي[508]، وزاد أحوالا أخر واستحسنه لأنه يجمع بين الأخبار ، وقال

أ–في"ع": مثله.

---

(504) شرح الحكم لابن زكري الورقة 215.

(505) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم الأنصاري الساحلي المالكي أبو عبد الله ، أديب شاعر ، ولد سنة 648 وتوفي سنة 735 هج، ترجمته في الدرر الكامنة 322/3 ونيل الابتهاج ص : 391 –392 .

(506) الإلمام والإعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام لابن زكري ص :156–157 .

(507) هو عبد الله بن محمد بن موسى المعروف بالعبدوسي التلمساني أبو محمد ، كان عالما صالحا ، توفي سنة 849 هج، ترجمته في الضوء اللامع 67/5 والتوشيح ص : 114 ونيل الابتهاج ص : 231 .

(508) التذكرة للقرطبي ص : 155–156 .

ابن حجر :"أرواح المومنين في عليين وأرواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا بل أشبه شيء به حالة النائم وإن كان هو أشد من حالة النائم اتصالا ، قال وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها في عليين أو سجين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية قبورها(509)، قال وهي مع ذلك مأذون لها في التصرف وتأوي إلى محلها في عليين أو سجين وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور يستمر وكذا إذا تفرقت الأجزاء"(510)، وفي عهود الشيخ عبد الوهاب الشعراني بعد أن نقل أن في الصور ثقبا بعدد أرواح الخلائق في كل ثقب روح محتبسة ورأسه إلى عليين وأسفله إلى سجين وأنه ورد في الأحاديث اختلاف في مقر الأرواح ما نصه:" قال العلماء وثقب[أ] الصور تلاقي هذه الأرواح كلها في أماكنها من العرش إلى السماوات إلى الأرض ، فالأرواح في هذه المواضع التي ورد الحديث بها وهي في المعنى محبوسة في الصور فإنه يضبطها إلى يوم القيامة وهذا من علوم الأولياء وهو يشهدون[ب] ذلك عيانا في عصرنا هذا ومثاله أن يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان في بغداد وفلان في مكة وفلان بالمدينة وفلان وبأصبهان وفلان بمصر إلى غير ذلك من البلدان وكلهم في ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض في الأحاديث وكل من تأمل ذلك ، علم أن للأموات برزخين برزخ في القبور إلى يوم يبعثون وبرزخ/(316)في الصور فبرزخ القبور محتبس أجسادهم وبرزخ الصور محتبس أرواحهم"، ونقل ذلك سيدي عبد القادر الفاسي في جواب له في المسألة . وقوله: **أهل**

أ–في "ب": شعب.

ب–في "أ": يشاهدون.

---

(509) التمهيد لابن عبد البر 109/14.

(510) فتح الباري 603/3 وص : 613 .

السعادة[511]، السعيد من ختم له بالإيمان لا فرق بين المحسن والمسيء ومن ينفذ فيهم[أ] الوعيد وغيره، نحو هذا في التتائي[512] وغيره ويأتي ما فيه، وقوله : **إلى يوم الدين و إلى يوم يبعثون**"[513] مترادفان، وغاير بين اللفظين تفننا وإنما غيابهما لأن المراد نعيم خاص وعذاب خاص والنعيم المطلق والعذاب المطلق لا حد لهما ولا نهاية ، انظر التتائي[514]. تنبيهات: الأول كلام التتائي وغيره من شراح هذا الكتاب يفيد أن المومن العاصي لا يعذب في قبره وهو خلاف ظاهر حديث "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير "، وغيره من الأحاديث الدالة على عذاب القبر ، والحق أن المراد بأهل السعادة الناجون من المومنين من العذاب وأما من لم ينج منهم فيعذب في قبره فإن عذاب القبر لمن أراد الله تعذيبه من المومنين ثابت بالأدلة الصحيحة ، ويكون المصنف ساكتا عن المومن العاصي ، ولا يدخل في أهل السعادة ويكون المراد أنها ناعمة إما ابتداء أو بعد العذاب لمن أراد الله تعالى تعذيبه لأن هذا إنما يتم في من ينقضي عذابه قبل البعث وإنما من يستمر عذابه إلى البعث فلا يصح دخوله في كلامه بحال ولا يدخل أيضا في أهل الشقاوة لأن العاصي قد لا يدوم عذابه في قبره إلى يوم الدين"، من علي[ب] الأجهوري باختصار[515] وتأمله مع ما تقدم من كلام الكرماني . الثاني قول المصنف **إلى يوم الدين ظاهره** أن عذاب الكفار في قبورهم لا ينقطع ، وفي ذلك خلاف قال الحافظ السيوطي : "قال ابن القيم : ثم

أ-في"هـ": فيه.

ب-في"ع": الشيخ علي الأجهوري وساقط من"هـ".

---

(511) متن الرسالة ص : 10 .

(512) تنوير المقالة ص : 55 .

(513) متن الرسالة ص : 10 .

(514) تنوير المقالة ص : 56 .

(515) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 159.

عذاب القبر قسمان دايم وعذاب وبعض العصاة ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فإنه يعذب بحسب جريمته ثم يرجع عنه وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك"[516]، قال اليافعي[517] في روض الرياحين: "بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفا لهذا الوقت ، قال ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المومنين دون الكفار"[518] وعمم النسفي[519] في بحر الكلام فقال :"إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان ، قال وأما المسلم العاصي فإنه يعذب في قبره لكن يرفع ليلة الجمعة ويومها ثم لا يعود إليه إلى يوم القيامة ، [وإذا مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة، وضغطة القبر كذلك ثم ينقطع عنه العذاب ولا(317)/ يعود إليه إلى يوم القيامة][أ] ، وهذا يدل على أن عصاة المومنين لا يعذبون سوى جمعة واحدة أو دونها وأنهم إذا وصلوا إلى يوم الجمعة انقطع ثم لا يعود وهو يحتاج إلى دليل"[520]. وقال ابن القيم في البدائع :"نقلت من خط القاضي أبي

أ-ساقط من "أ".

---

(516) شرح الصدور ص : 181.

(517) هو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي الشافعي الصوفي، شاعر مشارك في الفقه والعربية والفرائض ، من تصانيفه مرآة الجنان وعبرة اليقظان وروض الرياحين وغيرها، ولد سنة 700 وتوفي سنة 768 هج، ترجمته في الدرر الكامنة 2/247-249 والبدر الطالع 1/378 وشذرات الذهب 6/210-212.

(518) روض الرياحين لليافعي الورقة 105.

(519) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد النسفي السمرقندي نجم الدين أبو حفص ، مفسر متكلم فقيه، من تصانيفه مجمع العلوم والعقائد وتفسير القرآن الكريم وغيرها، ولد سنة 461 وتوفي سنة 537 هج، ترجمته في طبقات المفسرين 7/9 ولسان الميزان4/327 والسير 20/126-127.

(520) من غاية المرام في شرح بحر الكلام للحسن بن أبى بكر القدسي ص : 210.

يعلى"[521] في تعاليقه : لا بد من انقطاع عذاب القبر لأنه عذاب الدنيا والدنيا وما فيها منقطع فلا بد أن يلحقهم الفناء والبلا ولا يعرف مقدار مدة ذلك"[522]، قلت ويؤيد هذا ما أخرجه هناد بن السري[523] في الزهد عن مجاهد قال:"للكفار هجعة[1] يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فإذا صيح بأهل القبور يقول الكافر ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾"[524] فيقول المومن في جنبه ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[525]"[526]، ونقله تلميذه العلقمي في شرح الجامع برمته ، وزاد على ذلك فانظره. الثالث من أنواع العذاب في القبر وهو التقاء حافتي القبر على جسد الميت ، في النسائي من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "للقبر ضغطة لو نجى منها أحد لنجى منها سعد بن معاذ"، وفي رواية أنه قال "هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألف ملك لقد ضم ضمة ثم فرج الله عنه"[527] يعني سعد بن معاذ

1-في "أ": ضجعة.

(521) هو محمد بن محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد بن الفراء أبو يعلى عماد الدين، فقيه أصولي محدث ولي القضاء بواسط ، من تصانيفه التعليقة الكبرى في مسائل الخلاف وغيرها، ولد سنة 494 وتوفي سنة 560 هج، ترجمته في السير 20/353-354 وشذرات الذهب 4/190 والنجوم الزاهرة 5/370.

(522) بدائع الفوائد لابن القيم 3/105.

(523) هو هناد بن مصعب بن أبي بكر بن بشر المعروف بهناد بن السري الإمام الحجة زين الدين التميمي مصنف كتاب الزهد ، ولد سنة 152 وتوفي سنة 243 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 11/70-71 والسير 11/465-466 وشذرات الذهب 2/104.

(524) سورة يس آية 51.

(525) سورة يس آية 51.

(526) الزهد لهناد بن السري 1/398.

(527) أخرجه الحاكم في المستدرك 3/227 رقم 4923 والنسائي في السنن كتاب الجنائز باب ضمة القبر وضغطته 4/100 رقم 2055.

رضي الله عنه، وذكر السيوطي في شرح الصدور :"إن الضغطة المذكورة تكون لكل أحد حتى الأطفال إلا فاطمة بنت أسد[528] وهي أم علي رضي الله عنهما"[529]، وفي الحديث "[ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، قيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك ؟ قال ولا إبراهيم" وكان أصغرهما][أ]، رواه أبو نعيم الحافظ عن عاصم بن الأحول[530]، وقال في بشرى الكئيب :"أخرج البيهقي وابن مندة[531] عن سعيد بن المسيب أن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله إنك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وبضغطة القبر أليس ينفعني شيء ؟ قال: يا عائشة إن صوت منكر ونكير في أسماع المومنين كالأثمد في العين، وإن ضغطة القبر على المومن كالأم الشفيقة يشكو لها ابنها الصداع فتغمر رأسه غمرا رفيقا ، ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغط الصخرة على البيضة"[532]، وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال: "يقال إن ضغطة القبر إنما أصلها أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة

أ–ساقط من "ج".

(528) هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت بها ، وقد كفنها النبي صلى الله عليه وسلم في قميصه واضطجع في قبرها ، وهي أول هاشمية ولدت خليفة، ترجمتها في الاستيعاب 1891/4 وأسد الغابة 217/6 والإصابة 60/8.

(529) شرح الصدور ص : 109 .

(530) هو أبو عبد الرحمن عاصم الأحول البصري محتسب المدائن الإمام الحافظ روى عن أنس ابن مالك ورفيع بن أبي العالية وثقه ابن معين وغيره، توفي سنة 141 وقيل 142 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 295/9 والتهذيب التهذيب 42/5-43 والجرح والتعديل 343/6 .

(531) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحي بن مندة الإمام ، كانت له رحلة واسعة من مصنفاته كتاب الصفات وكتاب الكنى وغيرها ، وقد اختلط في آخر عمره، ولد سنة 310 وتوفي سنة 395 هج، ترجمته في تذكرة الحفاظ 7412 وميزان الاعتدال 4793 ولسان الميزان 705.

(532) بشرى الكئيب ص : 345.

فلما ردوا إليها ضمتهم ضم الوالدة/ (318) غاب عنها ولدها ثم قدم عليها، فمن كان مطيعا ضمته برفق ورأفة، ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا منها عليه"، ونقل ذلك أيضا في شرح الصدور، وفيه أيضا أخرج أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن الشخير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قرأ في مرضه الذي يموت فيه قل هو الله أحد لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفانه[أ]][ب] حتى يجيزوه الصراط إلى الجنة"[533].

قوله: **وأن المومنين يفتنون في قبورهم ويسألون**[534]، هذا مما بلغت الأخبار به مبلغ التواتر كما في القلشاني[535]، وشرح العقائد[536]، وهو فتنة سؤال الملكين، واستدل المصنف عليه بقوله تعالى ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[537]، لأن هذه الآية نزلت في فتنة القبر، في البخاري عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "المسلم إذا سئل في القبر ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾"[538]، [قال في التثبيت بعد أن ذكر أن الايمان بسؤال القبر واجب :

أ–ساقط من "ب".

ب–في"هـ": بأكفانها يوم القيامة.

---

(533) الحلية لأبي نعيم 213/2.

(534) متن الرسالة ص : 10.

(535) تحرير المقالة للقلشاني 62/1.

(536) شرح العقائد النسفية ص : 113.

(537) متن الرسالة ص10 : وآية من سورة إبراهيم رقم 10 و 29 .

(538) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التفسير باب ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ 1731/4 رقم 4422 ، ومسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه 2201/4 رقم 2871 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر 238/4 رقم 4750 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب ذكر القبر والبلى 1427/2 رقم 4269.

وكـــونـــنا إذا كشفـــنا الموتى [لم نـر حسـا منهـم وصـوتـا][أ]
أجاب عــنــه المالــكـي المغربـي أعـنـي أبـا بكـر هـو ابـن العـربي
فإنما[ب] الإدراك معنـى يخلـق لمن يشأ ومن يشـا يـوفـق[ج]
ولـيس بـالـطـبـع ولا بـالذات ولا بـأسبـاب ولا صـفـات
ألا تـرى جـبريـل حين أنـزلـه بالوحي تكليما كمثل الصلصلة
يسمـعـه الـنبـي ثـم يـرفـع وصحبه من حوله لم يسمعوا](539)[د]

قال في اختصار البرزلي :" قال ابن الحاج : من أنكر فتنة القبر وسؤال الملكين فهو مبتدع فإن لم يتب لم يقتل ويضرب أدبا". ونظمه الأجهوري في قوله:

ومـنـكـر فـتـنـة القبر والسـؤال مـبـتـدع ولـيس مـرتـدا بـحـال(540)

وفي التثبيت :

وإنما المنكـر لـلسؤال ذوو ابـتـداع وذوو اعـتـزال(541)

ثم لا معارضة بين ما ذكره المصنف هنا من أن الايمان بفتنة القبر واجب وقوله في التشهد وأعوذ بك من فتنة المحيى والممات ومن فتنة القبر بأن يقال كيف يستعيذ من أمر واجب لأن الفتنة المستعاذ منها عدم الثبات ، والمراد بها هنا الاختبار وأيضا فيجوز طلب عدم الاختبار ، والسؤال بأن

أ-في"هـ": لم نر منهم حسا وصوتا.
ب-في"هـ": بأن .
ج-في "أ" و"هـ": يوثق.
د-ساقط من "ب" و"د" و"ط".

(539) التثبيت في ليلة المبيت ص : 2-3 .
(540) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 126 (نسخة رقم 1187ك) إذ سقط البيت من النسخة المعتمدة رقم 2456ك.
(541) التثبيت في ليلة المبيت ص : 3.

يكون من الأصناف الذين لا يسألون والله أعلم. وصفة السؤال ورد فيها أحاديث مختلفة منها حديث البخاري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أتاه الملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المومن فإنه يقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة فيراهما جميعا ، وأما المنافق والكافر فيقولان له ما كنت/ (319) تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول له لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة يصيح منها صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين"(542)، ومنها ما أخرج الطبراني في معجمه الكبير والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن ابن مسعود قال:" إن المرء إذا مات أجلس في قبره فيقال له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، فيوسع له في قبره ويفرج له فيه ثم قرأ ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾(543)، وإن الكافر إذا أدخل قبره أجلس فقيل من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول لا أدري ، فيضيق عليه قبره ويعذب فيه ، ثم قرأ ابن مسعود ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾(544)"(545)، وفي بشرى الكئيب أخرج(أ) ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه

أ-ساقط من "ب".

(542) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر 462/1 رقم 1308 ومسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه 2200/4 رقم 2870.

(543) سورة إبراهيم آية 29.

(544) سورة طه آية 122.

(545) أخرجه الطبراني في الأوسط 107/3 رقم 2630 والبيهقي في شعب الايمان 356/1 رقم 395.

والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذي نفسي بيده إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإذا كان مومنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجليه ، فيوتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس من قبلي مدخل، فيوتى عن يمينه فتقول الزكاة ليس من قبلي مدخل، ويوتى من قبل شماله فيقول الصوم ليس من قبلي مدخل، فيقال له اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس قد قربت للغروب فيقال له : أخبرنا عما نسألك [فيقول : دعوني أصلي ، فيقال إنك ستفعل أخبرنا عما نسألك فيقول دعوني أصلي فيقول دعوني أصلي فيقال إنك ستفعل أخبرنا عما نسألك][أ]، فيقول : عم تساءلون[ب] ؟ فيقال ما تقول في هذا الرجل الذي فيكم ؟ فيقول : أشهد أنه رسول الله جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقنا واتبعنا، فيقال له صدقت على هذا حييت وعلى هذا مت وعليه تبعث إن شاء الله"[546]. وفي بعض التفاسير عن مقاتل أن قال:"إن المومن إذا مات بعث الله إليه ملكا يقال له رومان فيدخل قبره فيقول : إنه يأتيك الآن ملكان أسودان يسألانك من ربك ومن نبيك وما دينك فأجب بما كنت عليه في حياتك"، وقد رأى /(320) ذلك عيانا نصر الصائغ ، انظره في بشرى الكئيب[547]

أ-ساقط من "ج".
ب-في "أ" و"ب" و"ج": يتساءلون.

(546) أخرجه الحاكم في المستدرك 535/1 رقم 1403 وابن حبان في الصحيح 380/7 رقم 3113 وابن أبي شيبة 56/3 رقم 12062 والطبراني في الأوسط 106/3 رقم 2630 ورواه السيوطي في بشرى الكئيب ص : 346-347 .

(547) في بشرى الكئيب ص: 48 : "أخرج الحافظ أبو القاسم الالكائي في السنة بسنده عن بحر ابن نصر الصائغ قال: كان أبي مولعا بالصلاة على الجنائز فقال يا بني حضرت اليوم جنازة فلما ذهبوا بذلك ودفنوها نزل القبر نفسان ثم خرج واحد وبقي الآخر وحثا الناس=

وأشار إليه في التثبيت، [وظاهر الأحاديث أن السؤال والجواب باللغة العربية وقيل بالسريانية وهذا قول غريب، قال في التثبيت :

ومن غير ما ترى العيان أن سؤال القبر بالسرياني
أفتى بهذا شيخنا البلقيني[أ] ولم أر لغيره بعيني(548)،][ب]

وقد نقل في المعيار حديث التلقين بعد الدفن وفي آخره "فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما ويقول له : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته"(549). وصفة الملكين قال القلشاني : "ورد في الحديث أنهما أسودان أزرقان أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران شعرهما وأنيابهما كالصياصي يخرج لهيب النار من أفواههما ومناخرهما ومسامعهما يمسحان الأرض بشعورهما ويحفران الأرض بأظافرهما مع كل واحد منهما عمود حديد لو اجتمع أهل الأرض ما حركوه"(550)، واسمهما المنكر والنكير ، قال الحكيم[ج] الترمذي :" وسميا منكرا ونكيرا لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا

أ-في "ب": البلقي.
ب-ساقط من "د" و"ط".
ج-في "أ" و"ج" و"ع": الحاكم.

= التراب فقلت: يا قوم يدفن حي مع ميت ؟ فقالوا : ما ثم أحد ، فقلت: لعله شبه لي ، رجعت فقلت ما رأيت إلا اثنين خرج واحد وبقي الآخر فقلت لا أبرح حتى يكشف الله لي ما رأيته ، فقلت يا رب اكشف لي عما رأيت فإني خائف على عقلي وديني ، فانشق القبر وخرج منه شخص فولى مدبرا ، فقلت يا هذا بمعبودك إلا وقفت لي أسألك فما التفت إلي، فقلت له الثانية والثالثة فالتفت وقال : أنت نصر الصائغ ، فقلت نعم قال ما عرفتني؟ قلت لا ، قال نحن ملكان من ملائكة الرحمة وكلنا بأهل السنة إذا وضعوا في قبورهم نزلنا حتى نلقنهم الحجة وغاب عني".

(548) التثبيت في ليلة المبيت ص :8 .
(549) رواه الطبراني في المعجم الكبير 249/8 رقم 7979 والونشريسي في المعيار 313/1.
(550) تحرير المقالة للقلشاني 62/1.

خلق البهائم ولا خلق الهوام ولا خلق الطيور ، بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما، جعلهما الله تكرمة للمومنين يثبتهم وهتكا لستر المنافقين في البرزخ من قبل أن يبعثوا حتى يحل بهم العذاب"(551)، وقال الشيخ زروق :"حكى القرافي لأهل الطاعات[أ] مبشر وبشير ومنكر ونكير للعصاة"(552)، وقد حكى صاحب العلوم الفاخرة وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر عليه السلام شأن السؤال وفتنته "أيكون معي عقلي حينئذ ؟ فقال له : نعم، فقال له إذن أكفيكهما[ب] ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن عمر لموقن[ج]"(553)، وقد ذكر الجزولي وغيره أن عبد الله بن عمر رأى أباه بعد الموت ، فقال له ما كان منك ؟ فقال له: أتاني الملكان فقالا لي : من ربك ومن نبيك ؟ فقلت: ربي الله ونبيي محمد وأنتما من ربكما؟ فنظر أحدهما إلى الآخر فقال له إنه عمر ، فوليا عني ". "وفي بعض الروايات سؤال ملك واحد ولا تعارض لاحتمال أن يأتيه اثنان ويكون السائل أحدهما وإن اشتركا في الإتيان" قاله القرطبي(554)، انظر علي الأجهوري(555). قال ابن ناجي:"لا غرابة في سؤالهما مرة واحدة للجم في أقاليم متفرقة مختلفة فيخيل لكل واحد منهم أنه المخاطب دون غيره ويحجب الله سمعه عن مخاطبة

أ-في"هـ": الطاعة.
ب-في"ع" و"هـ": أكفيكما.
ج-في"ع": لمومن.

(551) نوادر الأصول ص :323 .
(552) شرح زروق على الرسالة 64/1.
(553) العلوم الفاخرة في أمور الآخرة للثعالبي الورقة 52.
(554) التذكرة للقرطبي ص : 118.
(555) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 162.

الموتى لهما[556]"[557] انتهى بنقل التتائي . وقد علمت مما سبق في حديث أنس وابن مسعود أن السؤال لا يختص بالمومنين لكن المنافق مسؤول باتفاق وأما الكافر المظهر الكفر فالذي اختاره ابن عبد البر[558] ورجحه في التثبيت[559] أنه لا يسأل ، قال علي الأجهوري :" وهو ظاهر كلام المصنف لأن مراده بالمومنين ما يشمل من حكم له بذلك ولو بحسب الظاهر بدليل قوله ﴿يثبت الله الذين آمنوا ...﴾[560]"[561]، ونحوه في التتائي[562]. وقال ابن القيم[563] والقرطبي[564] أنه لا يسأل، واستدلا بالأحاديث التي فيها التصريح بالكافر والنافق ، وظاهر قوله المومن يشمل الأطفال وفي سؤالهم قولان وهو الذي يفهم من قول المصنف من باب الدعاء للطفل بقية فتنة القبر ، وقاله القرطبي في التذكرة[565]، ويشمل الجن ويشمل غير هذه الأمة وهو أحد أقوال ثلاثة، وقيل بالوقف وقيل لا يسألون ، قيل وهو الصحيح بدليل حديث "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها"[566]، وحديث "أوحى الله إلي

(556) شرح ابن ناجي على الرسالة 64/1.
(557) تنوير المقالة للتتائي ص: 58.
(558) التمهيد لابن عبد البر 108/14-109.
(559) قال في التثبيت للسيوطي ص: 7 .

قال ابن عبد البر فيما نقلوا الكافر الصريح ليس يسأل
وإنما السؤال للمنافق منهم كما دل حديث صادق
والقرطبي خالف وابن القيم والأول الأرجح عندي فاعلم

(560) سورة إبراهيم آية 29.
(561) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 162.
(562) تنوير المقالة للتتائي ص : 57–58 .
(563) الروح لابن القيم ص : 76 –77 .
(564) التذكرة للقرطبي ص : 113.
(565) التذكرة للقرطبي ص.113 :
(566) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه 2199/4 رقم 2867 والطبراني في المعجم الأوسط 38/9 رقم 9076.

أنكم تفتنون في قبوركم"(567)، وإن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم فإذا أبو كفوا عنهم واعتزلوهم وعوجلوا[أ] بالعذاب ، فلما بعث الله النبي محمد أمسك عنهم العذاب وأعطي السيف حتى دخل في دين الله بعض من دخل خوفا، ثم منهم من رسخ الإسلام في قلبه ومنهم من لم يرسخ وأظهر الإسلام ، فلما ماتوا قيض لهم فتاني القبر فيميز الله الخبيث من الطيب. انظر علي الأجهوري(568). وعليه فقول المومنين عام أريد به الخصوص لأن المراد المومنين من هذه الأمة ، وأيضا فإن العلماء استثنوا سبعة أصناف لا يسألون شهيد المعترك ، الشيخ زروق: " سئل النبي صلى الله عليه وسلم "أيسأل الشهيد؟ فقال : كفى ببارقة السيوف[ب] شا[ج]"(569)، أي شاهدا لكنه أتى به على الترخيم[د]، رواه مسلم(570)، والمرابط الذي يموت حالة الرباط وشهيد الطاعون والصديق لكن يخدش في هذا ما ورد من سؤال عمر بن الخطاب إن ثبت وقد تقدم عن الجزولي ، والصبيان على ما جزم به النسفي(571) ومقابله مرجوح فيستثنى أطفال المسلمين بل وأطفال الكفار أيضا لأن الصحيح أنهم في الجنة ، انظر شرح المراصد، والميت في ليلة

أ-في "أ" و"ب": عجلوا.
ب-ساقط من "ز".
ج-ساقط من "ز".
د-في "د": الترقيم.

---

(567) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الكسوف باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار 624/2 رقم 905 والنسائي في السنن كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر 104/4 رقم 2064.

(568) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 162.

(569) أخرجه النسائي في السنن كتاب الجنائز باب الشهيد 99/4 .

(570) شرح زروق على الرسالة 65/1.

(571) غاية المرام في شرح بحر الكلام ص : 141 .

الجمعة أو يومها وقارئ سورة الملك كل ليلة ، وزاد بعضهم سورة السجدة وتقدم "من قرأ في مرض موته سورة الإخلاص"، بل قال الإمام أبو عبد الله القرطبي في التذكرة على حديث "ما تعدون الشهداء ؟ فقالوا: من قتل في سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : إذن شهداء أمتي قليل ... الحديث"[572]، ما نصه:" مقتضاه عدم سؤال كل من أطلق عليه اسم الشهيد"[573]، ونقله في التثبيت.[574] وقوله: **يفتنون**، قال السيوطي وغيره : "أطبق العلماء على أن المراد بفتنة القبر سؤال الملكين منكر ونكير والأحاديث صريحة فيه ولذلك سمي ملكا السؤال الفتانين"، فالمراد كما قال الشيخ زروق بالافتتان معنى الامتحان والاختبار بالسؤال، فقوله /(322) ويسألون عطف تفسير ومنه فتنت الذهب إذا أدخلته في النار لتنظر جودته ، وقد يكون بمعنى الكفر ، ومنه قوله تعالى ﴿على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم﴾[575]. وقوله في قبورهم المراد بما محل استقرارهم على قصد الدوام فيتناول من أكله السبع ، وتقدم أن قتيل الأسد من الشهداء ، وما قيل من أن الشهداء كلهم لا يسألون ويتناول أيضا من بقي على وجه الأرض فإن جعل في تابوت أياما ينقل إلى مكان آخر فلا يسأل ما لم يدفن كذا في فتاوي البرزلي[أ] ، قال علي[ب] الأجهوري :"ويستفاد منه أن من دفن في محل على أن ينقل فإنه لا يسأل حيث علم أنه[ج] ينقل فيسأل في المحل

أ–في "أ": البرزولي.
ب–ساقط من "اهـ".
ج–في "أ": أن.

(572) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب بيان الشهداء 1521/3 رقم 1915 وابن ماجة في السنن كتاب الجهاد باب ما يرجى في الشهادة 937/2 رقم 2803.
(573) التذكرة للقرطبي ص :151 .
(574) التثبيت في ليلة المبيت ص : 6 .
(575) سورة الذاريات آية 13-14.

الذي ينقل إليه ولا يسأل في المحل الذي دفن فيه أولا"[576] والله أعلم. وقوله **بالقول الثابت**[577] أي بكلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال علي الأجهوري :"وما يقوم مقام ذلك كذا ينبغي ، وقوله في الحياة الدنيا أي عند الموت جاء الشيطان يتخيل له على صورة أحد أبويه فيدعوه إلى دين النصرانية وإلى دين اليهودية وغيرهما ويقول له قد خبرت الأديان قبلك بدين كذا فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وقوله في الآخرة أي عند سؤال الملكين لأن القبر أول منزلة من منازل الآخرة"[578]، وزاد الشيخ زروق :" وعند السؤال من الله عند المواجهة"[579].

تنبيهات[أ]، الأول : الأخبار تدل على أن فتنة القبر مرة واحدة وعند بعضهم أن المومن يفتن سبعا والمنافق يفتن أربعين صباحا وانظر التثبيت.[580]

الثاني: رجح السيوطي أن[ب] الروح تعود للبدن جميعه لا نصفه الأعلى فقط، قال في التثبيت :

وكله يحيى لدى الجمهور ... لا جزأه لظاهر المأثور[581]

أ- في "أ": تنبيهات.

ب- في "اهـ": إلى.

(576)- شرح الرسالة للأجهوري الورقة 162.

(577) متن الرسالة ص : 10 .

(578) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 162.

(579) شرح زروق على الرسالة 65/1.

(580) في التثبيت ص: 9 .

وعن عبيد بن عمير وردا ... وذاك فيما ابن جريج أسندا

فإنه يفتن سبعا مومن ... وأربعين ذو النفاق يفتن

وابن جريج أول الدنيا قد ... صنفوا الكتب لنا تدوينا

(581) التثبيت للسيوطي ص : 7.

قوله: **وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم**[582]، هذا أيضا مما يجب اعتقاده لورود النصوص الشرعية ، قال تعالى ﴿وإن عليكم لحافظين﴾[583] وقال تعالى ﴿إذ يتلقى المتلقيان ...﴾[584] الآية، وقال تعالى ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾[585]، وظاهر قوله على العباد يشمل المومن والكافر والمكلف وغيره ولإنس والجن ، قال الشيخ زروق :" استواء المومن والكافر في ذلك هو الصحيح الذي لا يعول على غيره ولذا قال على العباد ولم يقل على المومنين"[586]، وجزم التتائي[587] وعلي[أ] الأجهوري[588] بأن المجنون ليس عليه حفظة وأن الصبيان تكتب لهم الحسنات فقط، قال علي[ب] الأجهوري :" والظاهر أن الكاتب/ (323) لها هو الكاتب للمكلف وهو أحد الحافظين ويحتمل غيره، وظاهر قوله حفظة الذي هو جمع حافظ ككاتب وكتبة لأن لكل واحد جماعة من الحفظة ويحتمل أن يكون من باب التوزيع ، وقد اختلف في قوله عليه الصلاة والسلام"[589] يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر هل هم الحفظة فيكونون أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وعليه فملكا الليل إثنان معينان دائما وكذلك ملكا النهار وليسوا بحفظة

أ–في "أ": الشيخ علي وساقط من "اهـ".
ب–ساقط من "اهـ".

(582) متن الرسالة ص : 10 .
(583) سورة الانفطار آية 10.
(584) سورة ق آية 17.
(585) سورة الأنعام آية 62.
(586) ورد معناه في شرحه للرسالة 58/1.
(587) تنوير المقالة للتتائي ص : 58 .
(588) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 166.
(589) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 166.

إنما هم الصاعدون بصحف الأعمال بعد قبضها من الحفظة" نقله علي[أ] الأجهوري عن بعض الشراح[590]، وقال السيوطي في حاشية الموطأ على هذا الحديث" عياض : هؤلاء هم الحفظة[591]،القرطبي : الأظهر عندي غيرهم[592] ابن حجر يقويه أنه لم ينق مفارقتهما للإنسان[593]، قال السيوطي: قلت بل نقل ذلك ثم ذكر ما يشهد لذلك[ب] عن الحسن وابن المبارك ويزيد النخعي فانظره إن شئت"[594]، ونقله في شرح المراصد. وسموا حفظة لحفظهم ما يصدر من الإنسان ولحفظهم الآدميين من الجن ولا يفارقونه مدة حياته إلا عند الجماع والخلا، وإذا مات المومن قعدا على قبره يستغفران له إلى يوم القيامة ، وأما الكافر فإنهما يجلسان على قبره يلعنانه إلى يوم القيامة . واختلفوا في موضع جلوس الملكين من الإنسان فقيل على عاتقه وقيل على ذقنه وقيل على عنفقته ، وقال أبو طالب المكي في تفسيره:" يروى أن الملك على ناب الإنسان الذي يأكل به قلم الملك لسان الإنسان ومداده وريق الإنسان ، قال هذا تمثيل في القرب والله أعلم بكيفية ذلك". وأما الذي يكتب فيه الحفظة فدواوين من رق كما قال تعالى ﴿في رق منشور﴾[595]، على أحد الأقوال فيه، وقال تعالى ﴿ونخرج[ج] له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾[596]، قال البغوي :" وفي الآثار أن الله يأمر

أ-في "ز": الشيخ علي وساقط من "اهـ".

ب-في "اهـ": لذاك.

ج-في "أ": تخرج.

(590) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 166.

(591) الإكمال للقاضي عياض 176/1.

(592) انظر فتح الباري 35/2.

(593) فتح الباري 222/2-224.

(594) تنوير الحوالك للسيوطي 141/1.

(595) سورة الطور آية 2.

(596) سورة الإسراء آية 13.

الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد[أ] فلا تنشر إلى يـوم القيامة"[597].
وقـوله : **يكتبون أعـمالهم**[598]، قال التتائي وغيره :" ملك اليمين أمين على ملك الشـمال، فإذا أراد صاحب الشمال كتب السيئة قال صاحب اليمين ترفق به إذ لعله مستغفر فينظر ست ساعات، والظاهر أن المراد بالساعات الساعات الفلكية"[599]، قال علي الأجهوري :"سئلت عن شخص ارتكب كبيرة ومات قبل مضي ثلاث ساعات و لم يتب هل يموت عاصيا ويكتب عليه ما ارتكبه أولا؟ فأجبت/ (324) : ورد في رواية أن من عمل ذنبا فإنه يمهل ست ساعات فإن استغفر فيها وتاب كتب له صاحب اليمين حسنة وإلا كتب له صاحب الشمال سيئة وفي رواية أنه ينتظر سبع ساعات، وقد ذكر الروايتين الحافظ السيوطي فإذا مات قبل مضي مدة الانتظار و لم يتب لم يكتب عليه والله أعلم"[600]. وظاهر قوله **أعمالهم** أنهم يكتبون الأعمال الجوارحية والقلبية ، وقد جاء أن من هم بحسنة فعملها كتب له عشر حسنات وإن لم يعملها كتب له حسنة وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، قال القرطبي :" سئل سفيان كيف تعلم الملائكة أن العبد هم بحسنة أو سيئة؟ فقال : إذا هم بحسنة وجدوا منه ريح المسك وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن"[601]، وقيل أن ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب مما انفرد بعلمه الله تعالى بعلمه ، واعلم أن مـا يقع في النفس من المعصية وغيرها له خمس مراتب ، الأولى

أ–كذا في معالم التنزيل وفي "أ" و"ب" و"ج": الإنسان وفي "ز": المرء.

(597) معالم التنزيل 108/1.
(598) متن الرسالة ص: 10 .
(599) تنوير المقالة ص : 58 .
(600) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 167.
(601) رواه القرطبي في التفسير 248/19.

الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يواخذ به إجماعا لأنه ليس من فعل العبد وإنما هو وارد لا يستطيع دفعه ، الثانية الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع أيضا، الثالث حديث النفس وهو تردده هل يفعل أو لا وهو مرفوع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام "إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به"(602)، الرابعة الهم وهو ترجيح قصد الفعل وهو مرفوع أيضا وفي هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فإن الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه ، فإن تركها لله كتبت له حسنة بخلاف الثلاثة الأول فإنه كما لا يترتب عليها عقاب لا يترتب عليها ثواب، أما الأولى فظاهرة وأما الأخريان فلعدم القصد، الخامسة العزم وهو قوة القصد والجزم به وهو مواخذ به على المعتمد وهو قول الأكثر ، وتكتب سيئة أي سيئة العزم وليست السيئة التي نواها لأنه لم يعملها بعد وهذا إن قطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى فإن تركها خشية الله تعالى كتبت له حسنة على ما جاء في الحديث الآخر في الهم إنما تركها من جراي أي من أجلي ، فالعزم أولى بذلك قاله الزرقاني في شرح اللقاني(603)، فإن فعلها كتبت عليه سيئة(أ) ثانية قاله في المعيار بعد نحو عشرة(ب) أوراق من نوازل الجهاد، وحاصله(ج) أنه إن هم وفعل كتبت عليه/ (325)/ سيئتان ،

أ-ساقط من "ز".

ب-في "ط": عشر.

ج-في "أ" و"ب": والحاصل.

(602) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الطلاق باب إذا قال لامرأته وهو مكره هي أختي فلا شيء عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم قال إبراهيم لسارة هذه أختي وذلك في ذات الله عز وجل 2020/5 رقم 4968 ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لن تستقر 116/1 رقم 127 والترمذي في السنن كتاب الطلاق باب ما جاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امرأته 489/3 رقم 1183 وقال حديث حسن صحيح والنسائي في السنن كتاب الطلاق باب من طلق في نفسه 156/6 رقم 3433.

(603) شرح الزرقاني على اللقاني الملزمة 8 : ص: 5 .

وإن لم يفعل خوفا من الله كتب له حسنة ولغير خوفه كتبت عليه سيئة والله أعلم. وظاهر المصنف أيضا أنهم يكتبون المباح ، القلشاني "وهو ظاهر ما يلفظ من قول الآية"[604]، ولذلك قال الحسن وقتادة[605] : "يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك"، وفي التتائي : "قال مالك: يكتبون كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبون المباح ، وكذا الخلاف في الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر"[606]، قال علي[ب] الأجهوري :وفائدة كتب المباح رجاء الكف عنه[ج] فإنه يعرض على الله تعالى وعرض مثل ذلك عليه لا يليق فإذا استحضر ذلك ربما كف عنه"[607]. تنبيه : قال أبو طالب المكي :"روي أنه إذا كان الليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: تعال ألاقيك وأطرح أنا حسنة وأنت عشرا حتى يصعد صاحب السيئات ولا سيئة معه، فإنه إنما[د] يوثر الويل لمن غلب آحاده أعشاره فالآحاد الحسنات والأعشار السيئات والمعنى أن من عمل حسنة واحدة وعشر سيئات لم تغلب آحاده أعشاره، قالوا فالويل له إن لم يعف الله تعالى عنه "نقله علي الأجهوري[608]، وفي

أ-في "أ": صمم.
ب-ساقط من "اهـ".
ج-ساقط من "ج".
د- ساقط من "ب".

(604) تحرير المقالة 64/1.
(605) هو قتادة بن عزيز حافظ العصر وقدوة المفسرين كان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ وهو حجة بالإجماع ، توفي سنة 118 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 351/8 وطبقان القراء 25/2 ووفيات الأعين 854.
(606) تنوير المقالة ص : 58.
(607) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 167.
(608) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 168.

التتائي: "وإن عمل سيئة وحسنة فالحسنة تذهب السيئة ولا تذهب السيئة الحسنة"[609].

قوله: **ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم**[610]، صرح بهذا لرفع ما قد يتوهم من أنه تعالى قد يخفى عليه شيء من أفعال[أ] العباد تعالى الله عن ذلك فتكون فائدة كتابة الحفظة حينئذ التذكرة والتوثيق وإنما يذكر من يجوز عليه الإغفال وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال وذلك على الله تعالى محال، وقد أشار تعالى إلى استحالة ذلك بقوله ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ بعد قوله ﴿علمها عند ربي في كتاب﴾[611]، فكلام المصنف نظير هذه الآية قال تعالى ﴿وما تكون في شأن ...﴾[612] الآية، وقد [تقدمت[ب] أدلة][ج] إحاطة علمه تعالى بكل شيء، وإنما فائدة توكيلهم إقامة الحجة لهم أو عليهم فإن الإنسان إذا علم أن معه من رسل الله وأمنائه من يحصي عمله عليه ويكتبه ليشهد له به في القيامة على رؤوس الأشهاد أو عليه إذا جحد كان ذلك باعثا له على المبادرة إلى /(326) الأعمال الصالحة وزاجرا له عن الوقوع في المعاصي، فهو لطف من الله تعالى بالعبد ورحمة، وأيضا فإن النفوس الضعيفة تستشعر أن الشيء المقيد المحفوظ بالكتابة لا يسقط، ولهذا يقول الكافر ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب ...﴾[613] الآية، نحو هذا في

أ-في "د" و"ع": أعمال.
ب-في "ز" و"ع": دلت.
ج-ساقط من "ز".

(609) تنوير المقالة للتتائي ص : 58.
(610) متن الرسالة ص : 10.
(611) سورة طه آية 51.
(612) سورة يونس آية 61.
(613) سورة الكهف آية 48.

أبي الحسن[614] والقلشاني[615] فلا يقال صاحب الغفلة إذا لم يتيقظ لعلمه[أ] بأن الله تعالى مطلع ورقيب عليه لا ينزجر بالحفظة . تتمة، في بعض كتب التفسير في قوله تعالى ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾[616]، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وكل بالمومنين ستون ملكا ومائة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك ، للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قطعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين"، [انتهى من كنز الأسرار[617]][ب]. وفي التتائي : "اختلف هل هو عليه غير هذين الملكين ، فقيل عليه عشرة ملك عن يمينه وملك عن شماله وملك أمامه وملك خلفه وملك فوقه وملك تحته وملك على بصره وملك على أنفه وملك يرفعه إذا تواضع وملك يضعه إذا تجبر[ج]، وقيل في ابن آدم ثلاثمائة وستون عرقا على كل عرق ملك وفي العروق الساكن والمتحرك ، فلو سكن المتحرك أو تحرك الساكن تأذى لذلك"[618].

قوله: **وأن ملك الموت يقبض الأرواح**[619]، هذا أيضا مما يجب اعتقاده لقوله تعالى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾[620]، وجمع بين

أ–في "أ": بعلمه.
ب–ساقط من "اهـ".
ج–في "ز": تجرأ.

---

(614) الفواكه الدواني لأحمد بن غنيم النفراوي 100/1.
(615) تحرير المقالة للقلشاني 64/1.
(616) سورة الطارق آية 4.
(617) كنز الأسرار الورقة 35.
(618) تنوير المقالة للتتائي ص : 58 –59 .
(619) متن الرسالة ص : 10 .
(620) سورة السجدة آية 11.

هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾،[621] وقوله تعالى ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾[622]، بأن إضافة القبض على الله تعالى لأنه الفاعل حقيقة ولملك الموت لمباشرته وللملائكة لأنهم أعوانه يعالجون الروح حتى تبلغ الحلقوم فيخرجها ملك الموت ، قال ابن عمر :" اسمه عزرائيل وقيل عبد الجبار"[623]، وقال بعضهم : ملك الموت اسمه عنياءل[أ] وليس اسمه عزرائيل لأنه لم يوجد هذا اللفظ في الكتاب ولا في السنة إلا أنه لم يذكر مسنده في الذي ذكر"، انتهى من شرح المراصد. وملك الموت أحد الملائكة الأربعة المدبرين أمر الدنيا فملك الموت موكل بقبض الأرواح وجبريل موكل بالرياح والجنود وصاحب الوحي والعلم والرياسة ، وميكائيل موكل بالقطر والنبات وإسرافيل ينزل بالأمر عليهم، ورد أن بين يديه /(327) اللوح المحفوظ فإذا أذن له في شيء من السماء أو من الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبينه فإذا كان الأمر من عمل جبريل أمره به، وإذا كان من عمل ميكائيل أمره به، وإذا كان من عمل ملك الموت أمره به، وخص ملك الموت بقبض الأرواح لما ورد في حديث الزهري وغيره "إن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام وأرسل جبريل ليأتيه من تراب الأرض فأتاها ليأخذ منها فاستعاذت بالله من ذلك فأعاذها فأرسل ميكائيل فكان كذلك فأرسل عزرائيل فاستعاذت فلم يعذها وأخذ منها ، فقال الرب تعالى : أما استعاذت بي منك ؟ قال نعم ، قال : فهلا رحمتها كما رحمها صاحباك ؟ قال يا رب طاعتك أولى من طاعتها ، قال عز وجل: اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض

أ-في "أ" و"ب": عنيائيل وفي "ز": عتيايل وفي "اهـ": عززياءيل .

(621) سورة الزمر آية 39.
(622) سورة الأنعام آية 62.
(623) شرح الأنفاسي على الرسالة ص : 62.

أرواحهم ، فبكى ، قال ما يبكيك ؟ قال يا رب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين وإنك لم تخلق خلقا أكره إليهم من الموت فإذا عرفوني بغضوني ، قال الله تعالى : إني سأجعل للموت عللا وأسبابا ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك ، فخلق[أ] الأوجاع وسائر الحتوف[ب]" ذكره القلشاني[624]، انتهى من شرح المراصد. وهذا صريح في أن اسمه عزرائيل ، وقوله يقبض الأرواح قيل أن ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه، وروي عن مجاهد أنه قال : "زويت لملك الموت الأرض وجعلت مثل طست يتناول منها حيث شاء"[625]، وذكر عياض في المدارك قال: "سأل بعض الرواة إبراهيم بن يزيد عن ملك الموت كيف يقبض الأرواح روحا بالهند وروحا بأقصى المغرب وأخرى بمصر وأخرى بالعراق في وقت واحد ، فقال له إبراهيم لما صعب عليك أمر هؤلاء الحرس والأعوان بين يديه حسبت أن أمر الخالق سبحانه وقدرته كذلك وسأمثل لك مثالا الشمس تطلع على جميع البلاد في وقت واحد فلو أمرت بقبض الأرواح جميعا لكانت تقدر، قال نعم، قال كذلك ملك الموت أعطي من القوة مثل هذه"[626]، نقله القلشاني.[627] وخرج الملا[628] في سيرته من حديث أبي

أ-في "ز": خلق.
ب-في "ز" و "اهـ": الخنوق.

(624) تحرير المقالة للقلشاني 1/64-65.
(625) الدر المنثور 3/30.
(626) ترتيب المدارك 4/425.
(627) تحرير المقالة للقلشاني 1/64.
(628) هو محمد بن محمد بن حمزة بن عوض المشهور بالديار الرومية بملا عرب الأنطاكي الحنفي ، فقيه واعظ صوفي مشارك في أنواع من العلوم كالسيرة والفقه ، من تصانيفه النهاية في فروع الفقه الحنفي وتهذيب الشمائل في السيرة النبوية وغيرها، توفي سنة 938 هج، ترجمته في الكواكب السائرة 2/54-56.

ذر رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم "لما أسري بي مررت على ملك جالس على سرير من نور وإحدى رجليه في المشرق وأخرى في المغرب وبين يديه لوح ينظر فيه والدنيا كلها بين عينيه والخلق بين ركبتيه، ويده تبلغ المشرق والمغرب ، فقلت يا جبريل من هذا ؟ قال/(328) : هذا عزرائيل تقدم فسلم عليه ، فتقدمت وسلمت عليه فقال : وعليك السلام يا محمد ما فعل ابن عمك علي ؟ فقلت وهل تعرف ابن عمي عليا ؟ فقال: وكيف لا أعرفه وقد وكلني[أ] الله بقبض أرواح الخلائق ما عدا روحك وروح ابن عمك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن الله يتوفاكما بمشيئته"، وفي كنز الأسرار[629] : "قال عطاء بن يسار : إذا كان ليلة النصف من شعبان رفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال له اقبض من في هذه الصحيفة ، فقال : فإن العبد ليغرس الغرس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في هذه الصحيفة وهو لايدري حكاه الغزالي.[630] وروي أن ملك الموت دخل على سليمان عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه ويديم النظر إليه ، فلما خرج قال الرجل من هذا ؟ قال له هذا ملك الموت ، قال رأيته ينظر إلي كأنه يريدني ، قال فما تريد؟ قال أريد أن تحملني الريح فتلقني بالهند ، فأمر الريح فحملته فألقته بالهند[ب] فجاء ملك الموت إلى سليمان عليه السلام ، فقال سليمان : أدمت النظر إلى رجل من جلسائي ، قال كنت أعجب منه أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك، ذكره الغزالي في الإحياء[631] وكذلك غيره ذكره ، وظاهر قوله الأرواح أنه

أ-في "ج": كلفني.
ب-في "أ": في الهند.

---

(629) كنز الأسرار الورقة 101.
(630) الإحياء للغزالي 497/4.
(631) الإحياء للغزالي 497/4.

يقبض أرواح الثقلين وغيرهم[أ]، وصححه غير واحد من الشروح ونسب القول بأنه إنما يقبض أرواح الثقلين كما في التتائي[632] أو بني آدم كما في القلشاني[633]، وغيره للمعتزلة وأن أعوانه تقبض أرواح غيرهم. ونقل الحطاب في حاشيته عن ابن هارون في شرح المدونة عد أن حكى عنه القولين ما نصه:" وعندي أن الأمرين جايزان في حكم الله تعالى وقضايه فإن جاء في الشرع ما يعين أحد المذهبين وجب المصير إليه وإلا وجب علينا الوقف "[634]. وفي الحبايك أخرج العقيلي[636] في الضعفاء وأبو الشيخ[636] في العظمة والديلمي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "آجال البهائم وخشاش الأرض كلها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحا قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء"[637]، قال شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي نفعنا الله بهما في جواب له في هذه المسألة :" فهذا إن صح يدل على التخصيص". وعلى الأول فإن أل في الأرواح للاستغراق وعلى الثاني للعهد والله أعلم.

أ-في "اهـ": غيره.

---

(632) تنوير المقالة للتتائي ص : 59 .

(633) تحرير المقالة للقلشاني 641.

(634) حاشية الحطاب على الرسالة ص : 9 .

(635) هو أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي الإمام الحافظ صاحب كتاب الضعفاء ، كان جليل القدر عظيم الحفظ كثير التأليف، توفي سنة 322 هج، ترجمته السير 15/236-239 والوافي بالوفيات 2914.

(636) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الإمام الحافظ محدث أصبهان، من مصنفاته كتاب العظمة وكتاب السنة وكتاب ثواب الأعمال وغيرها، ولد سنة 274 وتوفي سنة 369 هج، ترجمته في ذكر أخبار أصبهان 2/90 وطبقات المفسرين للداودي 1/140-241 والسير 16/276-280.

(637) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 1/418 رقم 1695 وأبو الشيخ في العظمة 5/1736.

تنبيه ، الذي يقبض روح غريق البحر وكذا من يقرأ دبر كل صلاة آية الكرسي/ (329) وكذلك أهل الجوع في الدنيا هو الباري سبحانه ، قال علي[أ] الأجهوري : "وقد نظمت ذلك فقلت:

إن الـذي يـقبض روح مـن قـرا بـعد صلاة فـرضه بـلا مـرا
آيـة الـكرسـي هو الـلـه المجيـد كـذا غـريق البحر فافهم يا رشيد
ومـن يـجوع في حـياتـه عـلـى وجه أتى ذا في حـديث معتـلا"[ب](638)

ويعني ما ذكره قبل هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أهل الجوع في الدنيا الذين يقبض الله أرواحهم هم الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أخفياء في الدنيا معروفون في السماء إذا رآهم الجاهل ظن بهم سقما وما بهم سقم إلا الخوف من الله سيظلون يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله"(639)، أخرجه الديلمي والطبراني في الكبير وفي إسناده بشر بن تميم متروك. وقال الشيخ أبو الحسن في حزبه الكبير :" وقول قبض أرواحنا بيدك والمراد بذلك حفظتها بالتجلي واستغراقها في الشهود واستهلاكها في الحب واستيصالها بالغيبة وسلب الشعور بالغير وفي ذلك غاية أمنيتها ومنيتها"(640). قوله بإذن ربه(641)، قال القلشاني :" قال القرطبي في التذكرة: روى جعفر بن محمد عن أبيه قال "نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رجل من الأنصار فقال عليه السلام ارفق بصاحبي هذا

أ-في "ز": الشيخ علي وساقط من "ط" .

ب-في "ز": معتلى.

(638) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 298.

(639) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 409/1 رقم 1654.

(640) الحزب الكبير للشاذلي من لطائف المنن ص: 156 .

(641) متن الرسالة ص: 10 .

فإنه مومن ، فقال ملك الموت: يا محمد طب نفسا وقر عينا فإني بكل مومن رفيق ، واعلم أن ما من أهل بيت مدر لا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتفحصهم في كل يوم خمس مرات حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، والله يا محمد لو أني أردت قبض بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها[642]"[643]، قال بعض الشارحين: إذن ربه عبارة عن تمكينه له في الفعل. تنبيه ، قال في بشرى الكئيب: "أخرج ابن أبي دنيا عن عائشة مرفوعا أن المومن إذا حضر ورأى ما أعد له جعل يتهم[أ] نفسه من الحرص على أن تخرج فهناك أحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضر ورأى ما أعد له جعل يتلع نفسه كراهة أن تخرج فهناك كره لقاء الله وكره الله لقاءه"[644]. وفي البخاري من حديث عبادة بن الصامت[645] رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه /(330) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت ، فقال ليس ذلك ولكن المومن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وإن الكافر إذا حضره بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه"[646]، وحاصله أن العبرة بما يكون عند الاحتضار من

أ-في "ز": يتوهم وفي "ط": يتهوع.

---

(642) التذكرة للقرطبي ص : 67 .

(643) تحرير المقالة للقلشاني 65/1.

(644) بشرى الكئيب للسيوطي ص: 337 .

(645) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم واسمه غنم الأنصاري الخزرجي أبو الوليد ، شهد العقبة الأولى والثانية وبدرا والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان ممن جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة 34 وقيل 45 هج، ترجمته في أسد الغابة 56/3-57 والإصابة 624/3.

(646) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه 2386/5 رقم 6142 ومسلم في الصحيح كتاب الذكر والدعاء باب من أحب لقاء الله=

محبة أو كراهة لا بما كان حالة الصحة ،وكأن عائشة قالت ذلك على ألسنة الضعفاء . وفي كنز الأسرار : "قال وكيع[647] في تفسير قوله تعالى ﴿تتنزل الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾[648] أن البشرى في ثلاث مواضع عند الموت وفي القبر وعند البعث ، وقال عطاء في تفسير قوله تعالى ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا ...﴾[649] الآية، أن ذلك عند الموت ، [ياتيهم الملك][أ] بالرحمة والبشارة[ب] من الله تعالى وتأتي أعداء الله بالغلظة والفظاظة"[650]. وفي بشرى الكئيب أخرج ابن أبي دنيا عن كعب أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت : أرني الصورة التي تقبض فيها المومن فأراه فرأى من النور والبهاء شيئا لا يعلمه إلا الله فقال لو لم ير المومن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه"[651]، زاد في الإحياء : "أنه طلب منه أن يريه صورته التي يقبض فيها الكافر فأراه فإذا هو رجل أسود قائم الشعر نتن الريح أسود الثياب يخرج من مناخره ومن

أ–كذا في كنز الأسرار وفي "ج": تاتيهم الملائكة.
ب–كذا في كنز الأسرار وفي "أ" و"ب" و"ج": والبشرى.

= أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه 2065/4 رقم 2683 والترمذي في السنن كتاب الجنائز باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله 379/3 رقم 1066 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له 1425/2 رقم 4264 والدارمي في السنن كتاب الرقاق باب في حب لقاء الله 402/2 رقم 2756.

(647) هو وكيع بن الجراح بن مليح أحد الأعلام وبحرا من بحور العلم سمع من هشام بن عروة وسليمان بن الأعمش وجماعة وعنه روى سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك ، ولد سنة 129 وتوفي سنة 196 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 123/11 وميزان الاعتدال 335/4 والسير 140/19-168.

(648) سورة فصلت آية 29.

(649) سورة يونس آية 64.

(650) كنز الأسرار الورقة 97.

(651) بشرى الكئيب للسيوطي ص : 337 .

فيه لهب النار فغشي عليه ثم قال له : لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه"[652]، وفي القرآن العظيم في وصف حال المومنين ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾[653] وفي وصف الفاجرين ﴿لو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾[654].

قوله: **وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**[655]، لا شك أن هذه الأمة أفضل الأمم على الإطلاق وقد ورد في خصوصيتها ومزاياها شيء كثير ، أخرج ابن جرير وابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أنا وأمتي يوم القيامة على قدم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أن يكون منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه"[656]. وروى أبو داود والطبراني/(331) في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعبه عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها [عذاب في الآخرة][أ] إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا"[657]، وهم المنادون بجانب طور سيناء يا أمة محمد سبقت لكم رحمتي غضبي أعطيتكم قبل

أ- ساقط من "ع".

(652) إحياء علوم الدين 493/4.
(653) سورة النحل آية 32.
(654) سورة الأنفال آية 51.
(655) متن الرسالة ص :10 .
(656) رواه ابن كثير في التفسير 192/1.
(657) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الفتن باب ما يرجى في القتل 105/4 رقم 4278 والحاكم في المستدرك 283/4 رقم 7649 والطبراني في المعجم الأوسط 5/1 رقم 1 والمعجم الكبير 298/3 رقم 3461 والبيهقي في شعب الايمان 148/7 رقم 9799.

أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني وأجبتكم قبل أن تدعوني ، وهو قوله تعالى ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا...﴾[658]. وأشار المصنف بقوله : وأن خير القرون إلى أن هذه الأمة المشرفة على مراتب وليست في مرتبة واحدة وأن هذا مما يجب اعتقاده. أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عمران بن حصين "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكونون من بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن"[659]، وفي رواية خير القرون قرني وفي رواية خير أمتي القرن الذي أنا فيهم[660]، وقد فهم من المصنف أن المراد بالقرن الأول الصحابة لأنهم هم الذين رأوه صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، وقد مدحهم الله في كتابه في قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[661]، قيل أنهم خطاب مشافهة أي أنتم ، وقيل المراد في الأزل . وقوله رأوا أخرج مخرج الغالب لأن الأعمى من أول الصحبة من الصحابة ، قال في جمع الجوامع :"الصحابي من اجتمع مومنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يره وإن لم يطل"[662]، قال الشيخ زروق في شرح الوغليسية :" قال

---

(658) سورة القصص آية 46.

(659) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها 2362/5 رقم 6064 ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم 1964/4 رقم 2535 والترمذي في السنن كتاب الشهادات باب ما جاء في الشهادة 548/4 رقم 2302 والنسائي في السنن كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر 177 رقم 3809 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم 214/4 رقم 4657 وابن ماجة في السنن كتاب الأحكام باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد 791/2 رقم 2362.

(660) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم 1963/4 رقم 2534.

(661) سورة آل عمران آية 110.

(662) جمع الجوامع للسبكي ص: 163 .

أبو زرعة الرازي رضي الله عنه : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا كلهم رأوه وروى عنه، ذكره ابن القطان في مراتب الصحابة وابن الأثير في جامع الأصول[663]"[664]. وزاد قوله وآمنوا لرفع توهم أن من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يومن به خير ممن يومن به في القرن الثاني وهكذا، وبهذا يندفع ما يقال أنه لا يتوهم أن أهل القرن الأول إذا لم يومنوا خير من الثاني وإن لم يومنوا فلا حاجة للتقييد[أ] بقوله وآمنوا به ، ويحتمل أن يكون لبيان الواقع انظر علي[ب] الأجهوري، والمراد بالذين يلون الصحابة التابعون ولذلك يقال التابعي[ج] هو من اجتمع بالصحابي ، وهل لا بد من إطالة الاجتماع به خلاف ما تقدم من الصحابي وهو قول الخطيب وعليه درج في جمع الجوامع[665]، قال المحلي :" والفرق أن الاجتماع به صلى الله عليه وسلم يوثر من النور القلبي أضعاف ما يوثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار، فالأعرابي الجلف بمجرد ما يجتمع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم (يصير)[666]، مومنا ينطق بالحكمة ببركة صحبته صلى الله عليه وسلم"[667] ، أو يكفي فيه أن يسمع من الصحابي أو يلقاه وهو قوله الحاكم، قال الكمال :" وعليه العمل عند أهل الحديث ورجحه ابن

أ–في "أ": للتقليد.

ب–في "ز": الشيخ علي.

ج–ساقط من "ز".

(663) تحدث ابن الأثير في جامع الأصول عن تعريف الصحابي وعدالته 134/1.

(664) شرح الوغليسية ص : 232 .

(665) جمع الجوامع ص : 163 .

(666) هذه الكلمة غير موجودة في النسخ المطبوعة.

(667)شرح المحلي على جمع الجوامع 167/2. والمثبت في النسخ المطبوعة : "ببركة طلعه" بدل صحبته.

الصلاح(668) وتبعه النووي(669)، والعراقي(أ)(670)، والذين يلون التابعين هذا قول أكثر العلماء ، وعلى هذه القرون مدار الدين وبهم الاقتداء لأن الطبقة الأولى حفظت والثانية جمعت والثالثة نظرت، وهم أهل المذهب المفتدى بهم . وقال المغيرة :" أفضل القرون الصحابة ثم أبناؤهم ثم أبناء أبنائهم" حكاه القلشاني(671)، وغيره. وفي معنى القرن أقوال، قال علي(ب) الأجهوري: "وفي شرح ملخص المقاصد ما نصه: وأفضلية القرن الثاني على الثالث بالنسبة إلى الجملة لا الآحاد.بمعنى أن جملة القرن الثاني أفضل من وأكثر خيرا وبركة من جملة القرن الثالث ، وقد يكون بعض آحاد الثالث أفضل من بعض آحاد الثاني بل ذلك كثير(672)"(673)، وأما القرن الأول وهم الصحابة فقيل فضله على من بعده بالنسبة إلى الجملة والآحاد ، وقيل بالنسبة للجملة فقط ولا يمتنع أن يكون بعض أو من بعدهم(ج) أفضل من بعض الصحابة ، والأول قول الجمهور واختاره القاضي في الإكمال قال: " لأن مزية الصحبة لا يوازيها عمل"(674)، والثاني قول أبي عمر بن عبد البر(675) وسكت المصنف على ما بعد القرن الثالث اقتصارا على ما ورد في

أ-في "أ": القرافي.
ب-في "ز": الشيخ علي.
ج-في "أ" و"ع": بعضهم.

(668) مقدمة ابن الصلاح ص : 187 .
(669) شرح النووي على صحيح مسلم 36/1.
(670) حاشية الكمال بن أبي شريف على شرح المحلي على جمع الجوامع ص : 410 .
(671) تحرير المقالة للقلشاني 66/1.
(672) شرح ملخص المقاصد ص : 183
(673) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 173.
(674) الإكمال للقاضي عياض 267/2.
(675) تحدث ابن عبد البر عن أفضلية القرون الثلاثة وفضل الصحابة خاصة في الاستيعاب 11-12/1.

حديث عمران بن حصين المتقدم ، قال ابن ناجي :" واختلف فيما بعد ذلك من القرون فقيل أنها سواء لا مزية لأحدها على الآخر قاله ابن رشد"[676]، وقال ابن العربي وغيره :"لا يزال التفاوت كذلك إلى قيام الساعة يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم والذي بعده أشر[أ] منه"، وروي "في كل عام ترذلون وإنما يسرع بخياركم" القلشاني[677]، والتحاكم في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" هل خرج مخرج الحصر للتفضيل أم لا. تنبيهان: الأول استشكل حديث لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم"[678] فإن بعض الأزمنة لا تكون في الشر كالتي قبلها و لم يكن في ذلك /(333) إلا زمن عمر بن عبد العزيز وهو زمان الحجاج[679] بيسير ، وأجيب بحمله على الأغلب ، فقد قال الحسن البصري :"لا بد للناس من تنفس"[680]، وأجاب بعضهم بأن المراد تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا وقال زيد بن وهب[681] سمعت عبد الله بن

أ–في "ج": شر.

---

(676) شرح ابن ناجي على الرسالة 67/1.

(677) تحرير المقالة 66/1.

(678) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الفتن باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه 2591/6 رقم 6657 والترمذي في السنن كتاب الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة 492/4 رقم 2206.

(679) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود أبو محمد الثقفي ، ولد سنة 40 وتوفي سنة 95 هج، انظر البداية والنهاية 105/9 وتاريخ الذهبي مجلد حوادث وفيات 81-100 هج وشذرات الذهب 106/1 وسير أعلام النبلاء 343/4.

(680) ذكره ابن حجر في فتح الباري 21/13 وفيه : لا بد للناس من تنفيس.

(681) هو زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي الإمام الحجة ، يعد من كبار التابعين فقد أسلم وارتحل لصحبة النبي صلى الله عليه وسلم فبلغته وفاته عليه السلام وهو في الطريق إليه، سكن الكوفة وصحب عليا بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي سنة 96 هج، ترجمته في الاستيعاب 559/2 وأسد الغابة 149/2 والسير 196/4.

مسعود يقول "لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة ، لست أعني رخاء العيش ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علما من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون"، وهذا أولى بالاتباع" قاله شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي في آخر تأليف له في الإمامة(682). الثاني لا يعارض ما تقدم من تفضيل القرن الأول ما روي من قول النبي صلى الله عليه وسلم "طوبى لمن رآني [وآمن بي وطوبى سبعا لمن لم يرني وآمن بي، وقوله" أشد الناس[أ] حبا لي ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني][ب] بماله وأهله"(683)، ولا ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل أحد خير منا ؟ فقال:" قوم يجيئون بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين فيومنون بما فيه ويومنون بي ويصدقون بما جئت به ويعملون بما فيه فهم خير منكم"(684)، لما ذكره الفاكهاني من أنه لا يلزم من تفضيلهم في جهة من الجهات تفضيلهم مطلقا(685). وورد عنه عليه السلام "مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره"(686)، قال ابن حجر :" وهو حديث حسن له طرق وقد

أ-في"ج": أناسا وفي "ط": ناسا.
ب-ساقط من "ز" و"هـ".

(682) الأجوبة الحسان في إمامة الخليفة والسلطان لعبد القادر الفاسي ص : 27.

(683) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بأهله وماله 2178/4 رقم 2832.

(684) أخرجه الحاكم في المستدرك 95/4 رقم 6992 وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، والدارمي في السنن كتاب الرقاق باب في فضل خر هذه الأمة 3982 رقم 2744 والطبراني في المعجم الكبير 23/4 رقم 3541.

(685) شرح الفاكهاني على الرسالة الورقة 36.

(686) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الأمثال باب مثل الصلوات الخمس 152/5 رقم 2869 وقال : وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وأبو يعلى في المسند 190/6 رقم 3475.

ينتهي إلى درجة الصحة "(687)، والجمع بينه وبين حديث "خير القرون قرني" أن معنى أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره في سعة الحال وكثرة الأموال واتساع الأرزاق فإن الله تعالى فتح عليهم في الأول أمصار(أ) الأرض وأباحهم أموال الأمم ومساكنهم ونساءهم وملكهم رقابهم ، وكذلك في آخر الأمر تتسع البركات وتتضاعف الخيرات كما ورد في الحديث عند نزول عيسى عليه السلام ، قاله السخاوي في شرح العقيلة لشيخه الشاطبي ونحوه في الجعبري فإنه قال : "ويجمع بينهما أنه يريد بالخير إن شاء الله خفض العيش وسعة الأرزاق ولا تلزم الأفضلية ويمتنع تأويله بخير القرون الماضية قرني وكل قرن يليه وإن كان كذلك بدليل كنتم خير أمة أخرجت للناس لرواية خير أمتي القرن الذي أنا فيهم ثم الذين/(334) يلونهم ولما فيهم من احتمال التسوية بين الصحابة ومن بعدهم"، انظر شرح المراصد ، وروى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه" يأتي أيام للعامل أجر خمسين قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم"(688)، قال ابن حجر :"هذا الحديث لا يدل على الأفضلية المطلقة وأيضا الأجر إنما يقع لفاعله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فازوا به من مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم فلا إذ أفضلية المشاهدة لا يعدلهم فيها(ب) أحد"(689)، وبمثل هذا يجاب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم "أي الخلق أشد إيمانا وأعظم؟ قالوا الملائكة ، قال ولم لا

أ-في "ز" و"د" و"هـ": أقطار.

ب-في "ز": فيه.

(687) فتح الباري 6/7.

(688) أخرجه الترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المائدة 257/5 رقم 3058 وقال : هذا حديث حسن غريب وأبو داود في السنن كتاب الملاحم باب الأمر والنهي 123/4 رقم 4341.

(689) فتح الباري 352/7-353.

وهم يشاهدون الأمر ، قالوا الأنبياء ، قال و لم لا والوحي ينزل عليهم ، قالوا نحن قال و لم لا وأنا بين أظهركم ، قالوا فمن يا رسول الله ؟ قال قوم يأتون آخر الزمان يسمعون الأشياء سماعا ويتهالكون عليها حبا واشتياقا وأنا إليهم لمشتاق للعامل منهم أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم أو قال سبعين، قالوا منا أو منهم ؟ قال منكم ، قالوا لم؟ قال لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون"، وفي الحديث أيضا "إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما به أمر هلك ثم يأتي زمان من عمل فيه بعشر ما به أمر نجا"(690) "وإن من ورائكم أياما(أ) الصبر(ب) فيها كالقبض على الجمر وأن العبادة في الهرج كهجرة إلي"(691)، وفي الحديث "في كل قرن من أمتي سابقون إلى يوم القيامة". وأما ما ذكره في جامع المعيار(692) عن سيدي قاسم العقباني(693) جوابا فليس بظاهر فانظره.

قوله: **وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين**(694)، القلشاني "اختلف العلماء في التفضيل بين

أ–في "أ": أيام.
ب–في "ز" و"د" الصبر الصبر وفي "ز": البصر البصر.

---

(690) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الفتن باب النهي عن سب الرياح 530/4 رقم 2267 .

(691) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الفتن باب فضل العبادة في الهرج 2268/4 رقم 2948 والترمذي في السنن كتاب الفتن باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه 489/4 رقم 2201 وقال حديث صحيح غريب وابن ماجة في السنن كتاب الفتن باب قوله تعالى ﴿عليكم أنفسكم﴾ 1330/2 رقم 4014.

(692) المعيار للونشريسي 11/13-4-151.

(693) هو قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني المالكي أبو القاسم، فقيه أصولي مفسر نحوي من تصانيفه شرح البرهانية في أصول الدين وتفسير سورتي الأنعام والفتح وغيرها، ولد سنة 768 وتوفي سنة 854 هج ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي 181/6 ونيل الابتهاج ص : 365 وتوشيح الديباج ص :169 .

(694) متن الرسالة ص : 10 .

الصحابة فمنهم من وقف ، قال مالك : أدركت جماعة من أهل بلدي لا يفضلون بين الصحابة ويقولون الكل فضلاء، والأكثر على التفضيل وعليه فأفضل الصحابة أهل الحديبية لآية ﴿لقد رضي الله عن المومنين﴾[695]، قيل أنزلت في أهل الحديبية وأفضلهم أهل بدر، خرج مسلم عنه عليه الصلاة السلام أنه قال ؛"اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[696]، وأفضل أهل بدر العشرة وأفضل العشرة الخلفاء الراشدون يعني الأربعة وهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، وقيل بالوقف فيما بين عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بمحبتهم بمنه، ومن العلماء من ذهب إلى أن مات في حياة النبي صلى الله عليه/(335) وسلم شهيدا أو غير شهيد أفضل ممن بقي بعده"[697]. وقد درج المصنف على قول الأكثر وهو ثبوت التفضيل فيهم ويدل عليه قوله تعالى ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل...﴾[698]، والله أعلم، وعلى أن الخلفاء أفضل ممن مات في حياته صلى الله عليه وسلم من الصحابة، وهل التفضيل قطعي ومال إليه الأشعري أو ظني ، قال القاضي: "لأن المسألة اجتهادية لو ترك أحد النظر فيها لم يأثم"، أي فليس التفضيل مما يجب علينا اعتقاده ، فمن غفل عن هذه المسألة لم يقدح ذلك في دينه، قال في الذخيرة :"نعم متى خطرت بالبال أو تحدث فيها باللسان وجب

(695) سورة الفتح آية 18.

(696) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا 1463/4 رقم 3762 ومسلم في السنن كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة 1941/4 رقم 2494 والترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب من سورة الممتحنة 409/5 رقم 3305 وأبو داود في السنن كتاب الجهاد باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلما 47/3 رقم 2650 والدارمي في السنن كتاب الرقاق باب في فضل أهل بدر 404/2 رقم 2761.

(697) تحرير المقالة للقلشاني 66/1.

(698) سورة الحديد آية 10.

الإنصاف وتوفية كل ذي حق حقه"(699). والخلفاء، قال التتائي(700) والشيخ علي الأجهوري(701) عن بعضهم :" جمع خليفة ، والخليفة هو كل من قام مقام غيره في خير ، وأما من قام مقام غيره في شر فهو خلف بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام ، قال تعالى ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾(702)، والراشدون جمع راشد وهو المسدد في نفسه(أ) الموفق في أمره ، الراشد أي الهادي لغيره والمهديون أي المتصفون في أنفسهم بالهدى المتمكنون في أسبابه ومعانيه ، وإنما وصفهم بصفة تخصهم في أنفسهم لأنها إذا تمكنت تعدت إلى غيرهم إذ لا يلزم من كون الإنسان مرشدا لغيره وهاديا له أن يكون في نفسه راشدا مهديا ، والوصفات قد ثبتا في حقهم من لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدم الوصف بالرشد لأنه أعم لأنه يصلح للدين والدنيا والهدى يخص الدين(ب). قوله أبو بكر اسمه عبد الله بن عثمان وقيل عتيق والصواب أن عتيقا لقبه ، ولي الخلافة بإجماع الصحابة ومن توقف منهم للتروي في النظر فقد لحق بهم في وقته فتم الإجماع على تقديمه، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ومات وسنه كسن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رضي الله عنه من اللين والتواضع على جانب عظيم ومع ذلك قام بالأمر أتم قيام فتح في دولته اليسيرة اليمامة وأطراف العراق وبعض مدن الشام ، ولما ارتدت العرب ومنعت الزكاة قال "والله

أ–في "أ": أثره نفسه.

ب–في "أ" و"ع": بالدين.

---

(699) الذخيرة للقرافي 233/13.

(700) تنوير المقالة للتتائي ص : 60 .

(701) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 175

(702) سورة مريم آية 59.

لأقتلن من فرق بين الزكاة والصلاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا[أ] كانوا يؤدونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها"[703]، قال عمر فقلت :/(336) تألف الناس وارفق بهم ، فقال أجبار في الجاهلية وخوان في الإسلام يا عمر ؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي، ثم خرج لقتالهم ، ولما خرج شاهرا سيفه راكبا على راحلته جاءه علي حتى أخذ بزمام راحلته وقال له: أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : شم سيفك لا تفجعنا بموتك[ب] فوالله لو أصبنا بك لا يكون للإسلام [بعدك نظام][ج] أبدا، ومعنى شم اغمد ، قالت عائشة رضي الله عنها : "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها[د]"، وقال أبو هريرة : "والله الذي لا إله إلا هو لولا استخلاف أبي بكر ما عبَد الله"، ثم قال الثانية والثالثة ، وقال أبو رجاء العطاردي : "دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول أنا فداؤك والله لولا أنت لهلكنا ، فقلت من المقبل ومن

أ–في "أ": عناقا.

ب–في "ط": بنفسك.

ج–في "أ": نظام بعدك.

د–في "ز": لهاضمها.

---

(703) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى ﴿واجعلنا للمتقين إماما 2657/6 رقم 6855 ومسلم في الصحيح كتاب الايمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة 51/1 رقم 20 والترمذي في السنن كتاب الايمان باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله 3/5 رقم 2607 وقال : هذا حديث حسن.

المقبل؟ قال عمر يقبل رأس أبي بكر من أجل قتال الردة"[704]، ولما مرض رضي الله عنه ترك التطبيب تسليما لأمر الله تعالى بعادة الصحابة رضي الله عنهم ، فقالوا لا ندعوا لك طبيبا ينظر إليك؟ قال نظر إلي ، قالوا وما قال لك؟ قال: قال إني فعال لما أريد . وكان أعلم الصحابة بالله تعالى وأرسخهم قدما في دينه ، أخرج الملا في سيرته عن سيدنا[أ] عمر رضي الله عنه قال: كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وأبو بكر يتكلمان في علم التوحيد فأجلس بينهما كأني زنجي لا أعلم ما يقولان[ب]". وانظر ثباته يوم الحديبية وموافقته لجواب النبي صلى الله عليه وسلم حرفا حرفا وثباته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واستشهاده بقوله تعالى ﴿وما محمد إلا رسول ...﴾[705] الآية، وقول عائشة : "فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس فما تسمع بشرا إلا يتلوها"، فكان يجد العلم عند الحاجة رضي الله عنه . وكان سبب موته كمد لحقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يذيبه ، والكمد الحزن المكتوم، وقيل مات مسموما ، ولكونه أفضل الصحابة اختاره الله تعالى لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة وهو المراد بالصاحب في قوله تعالى ﴿إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه...﴾[706]، وهو أول السابقين إلى الإسلام وأقواهم تصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك سمي صديقا ، قال تعالى ﴿والذي جاء بالصدق﴾ ويعني محمدا صلى الله عليه وسلم/ (337) ﴿وصدق به﴾ يعني

أ-ساقط من "اهـ".

ب-في "أ" و"ب" و"ج": يقولون.

(704) صفة الصفوة /250. 1

(705) سورة آل عمران آية 144.

(706) سورة التوبة آية 40.

أبا بكر رضي الله عنه[707]. وقال ابن المبارك :" إنما سمي صديقا لأنه لم يكذب قط". ولذلك استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه في الصلاة وقال "إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته"[708]، وفي رواية "ولكن أخي وصاحبي لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه"[709]، وفي البخاري عن أبي الدرداء قال "كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال : إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أثم أبو بكر ؟ قالوا لا ، فأتى إلى النبي صلى الله عليه فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا[أ] على ركبتيه فقال يا رسول الله أنا كنت أظلم مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين ، فما أوذي بعدها"، وحض النبي صلى الله عليه وسلم يوما على الصدقة فقال عمر لأسبقن أبا بكر في هذا اليوم فجاء بشطر ماله

أ–في "ط": فجثى.

---

(707) سورة الزمر آية 32.

(708) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المناقب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا 1338/3 رقم 3456 ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق 1854/4 رقم 2382 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق 606/5 رقم 3655.

(709) صحيح البخاري كتاب المناقب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر قاله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم 1337/3 رقم 3454.

فوجد أبا بكر قد جاء بجميع ماله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ما تركت لنفسك وعيالك؟ قال الشطر، وقال لأبي بكر ما تركت لنفسك وعيالك ؟ قال تركت لهم الله ورسوله، [فقال النبي][أ] صلى الله عليه وسلم : فضل ما بين صدقتكما كفضل ما بين كلمتيكما". وانظر رحمك الله فضل البكريين بين المسلمين حيث ترك لهم أبوهم الله ورسوله ، وقال صلى الله عليه وسلم "لو كشف الغطاء عن أبي بكر ما ازداد يقينا، وقال "ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام وإنما فضلكم بشيء وقر في قلبه". وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن فضائل عمر رضي الله عنه ، فقال: "لو لبثت فيكم ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ما وفيت بفضائل عمر، فإنه حسنة من حسنات أبي بكر"[710].

قوله: **ثم عمر**[711]، كنيته أبو حفص ولقبه الفاروق ولي الخلافة باستخلاف أبي بكر الصديق وأجمعت الصحابة على خلافته وكانت مدة خلافته عشرة أعوام وستة أشهر وخمس ليال ، وقيل ثلاثة عشر يوما وسنه كسن أبي بكر ، طعنه العلج أبو لؤلؤة واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا ، قيل /(338) نصرانيا وكان طعنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة.سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وصلى عليه صهيب ودفن يوم الأحد هلال المحرم ، ولما طعن وهو في صلاة الغداة قال الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، وكان سبب ذلك أنه لقي عمر رضي الله عنه يوما فقال : يا أمير المومنين إن المغيرة أثقل علي

أ–في "ج": وقال.

---

(710) أخرجه الطبراني في الأوسط 1592 رقم 1570.
(711) متن الرسالة ص.10 :

فكلمه ليخفف عني، وكان يستقل منه المغيرة أربعة دراهم لأنه كان يصنع الأرحاء، فقال له عمر اتق الله وأحسن إلى مولاك، فغضب أبو لؤلؤة وقال: يا عجباه قد وسع الناس عدله غيري وأضمر على قتله واصطنع له خنجرا له رأسان وسمه وتحين عمر رضي الله عنه فطعنه وهو في صلاة الغداة ، فقال عمر قتلني الكلب من طعنه ، فصار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، مات سبعة وقيل تسعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما علم أنه مأخوذ نحر نفسه ، فقال عمر رضي الله عنه : قاتله الله لقد أمرته معروفا .
ولما ولي الخلافة عمر رضي الله عنه هابه الناس هيبة عظيمة حتى تركوا الجلوس بالأفنية ، فلما بلغه تهيب الناس له جمعهم وخطب خطبته فيها: "اعلموا أن تلك الشدة تضاعفت ولكنها إنما تكون على أهل[أ] الظلم والتعدي على المسلمين ، وأما أهل السلامة فأنا ألين لهم من بعضهم ولست أدع أحدا يظلم أحدا ويتعدى حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يومن بالحق . وكانت درته أهيب من سيف الحجاج وهابته ملوك فارس والروم وغيرهم ، ومع هذا كله بقي على حاله كما كان قيل الولاية في لباسه وزيه وأفعاله وتواضعه وصبره على العيش الخشن وخبز الشعير والثوب الخام المرفوع والقناعة باليسير منفردا في حضره وسفره من غير حرس ولا حجاب ، لم تغيره الإمرة و لم يجاف أحدا في الحق ، لا يطمع الشريف في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله ولا يخاف في الله لومة لائم وهو أول من دون الدواوين ومصر الأمصار وفتح الله على يديه الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة وكان يضع الشدة في مواضعها واللين في مواضعه، فكان أبا العيال حتى يمشي إلى المغيبات اللاتي[ب] غاب عنهن أزواجهن

أ-ساقط من "اهـ".
ب-في "أ": التي.

ويقول ألكن حاجة ؟ فإني أكره أن تخرجن في البيع والشراء ، فيرسلن معه بجواريهن فيدخل السوق ووراءه من جواري النساء[أ] وغلمانهن ما لا يحصى فيشتري لهن من حوائجهن ، ومن كانت /(339) ليس عندها شيء اشترى لها من عنده . وروي أن طلحة رضي الله عنه خرج في ليلة مظلمة فرأى عمر رضي الله عنه قد دخل بيتا ثم خرج، فلما أصبح طلحة رضي الله عنه ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال طلحة ما بال الرجل يأتيك ؟ فقالت : إنه يتعاهدني منذ كذا بما يصلحني ويخرج عني الأذى ، تعني القذر". ولما توفي أظلمت الأرض فجعل الصبي يقول والأبتاه أقامت القيامة ؟ فيقول: لا ولكن مات عمر. وفي البخاري قال صلى الله عليه وسلم "لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر"[712]، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل"[713]، وقد قال بعض الصحابة : "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"[714]، وفي الجامع الصغير:" أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر"[715]، وجاء " إنه لا ملك في السماء إلا وهو يوقره ولا شيطان في الأرض إلا وهو يفر منه"، ووافق ربه في أشياء كثيرة ، وكرامته

أ-في "ط": الناس.

---

(712) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب أبو حفص القرشي العدوي رضي الله عنه 1349/3 رقم 3486.

(713) أخرجه الحاكم في المستدرك 93/3 رقم 4501 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه 617/5 رقم 3682 وأبو داود في السنن كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في تدوين العطاء 138/3 رقم 2961.

(714) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب القرشي العدوي رضي الله عنه 1348/3 رقم 3481.

(715) رواه القرطبي في التفسير 268/1.

في قصة سارية(716)، مشهورة روى البيهقي في الدلايل وغيره عن ابن عمر قال: "وجه عمر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية وجهزه إلى بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب ناهوند وهو يحاصرها وكثرت[أ] جموع الأعداء وكاد المسلمون ينهزمون ، فصعد عمر المنبر ثم خطب وجعل ينادي بأعلى صوته في أثناء خطبته : يا سارية الجبل ثلاثا، وأسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين صوته وقالوا : هذا صوت أمير المومنين فأسندوا ظهورهم إلى الجبل فهزم الله العدو وفتح الله على المسلمين"(717)، قال اليافعي :" فكان في ذلك[ب] كرامتان ما كشف له عن حال سارية وأصحابه المسلمين وحال العدو وبلوغ صوته إلى سارية في بلاد بعيدة"(718). قال تاج الدين السبكي في الطبقات :"وسمعت الشيخ الإمام الوالد[ج] يزيد في القصة أن عليا رضي الله عنه كان حاضرا فقيل له ما هذا الذي يقول أمي المومنين وأين سارية منا الآن؟ فقال علي : دعوه فما دخل في أمر إلا وخرج منه ، ثم تبين الحال"(719)، وحكى إمام الحرمين في الشامل أن الأرض زلزلت في زمن عمر فحمد الله وأثنى عليه والأرض ترجف وترتج ثم ضربها بالدرة وقال : أقري ألم أعدل عليك؟ فاستقرت من وقتها". وقصته في جريان النيل

أ–في "هـ": كثر.
ب–في "هـ": ذاك.
ج–في"أ": الولي.
د–في "ز" و"ج" و"هـ": يزيد.

(716) هو سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن عبد بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو الذي ناداه عمر بن الخطاب "يا سارية الجبل، ترجمته في أسد الغابة 154/2 والإصابة 3/4 .
(717) رواه البيهقي في الاعتقاد 162/1 .
(718) روض الرياحين لليافعي الورقة 16.
(719) طبقات الشافعية لابن السبكي 65/2.

بكتابه[أ] مشهورة. وفي الصحيح أنه عليه السلام رأى أنه شرب لبنا حتى كان اللبن يخرج من أظافره وأعطى/ (340) فضلة ذلك اللبن لعمر رضي الله عنه، وأنه صلى الله عليه وسلم أول ذلك بالعلم"[720]، ولما حضرته الوفاة قال لابنه عبد الله ورأسه في حجره: ضع خدي بالأرض، [فقال يا أبتاه إن خدك من الأرض[ب] لقريب، فقال: ضع خدي بالأرض لا أم لك، فوضع خده بالأرض][ج]، ثم قال ويل لعمر إن لم يغفر الله لعمر ثلاث مرات، فقام رجل من القوم، فقال: تقدم والله يا أمير المومنين على ما يسرك وتقر به عينك، قال: وما يدريك ويحك؟ فقام ابن عباس فقال: وما يدريه وقد عشت حميدا وذهبت فقيدا وعملت بالحق، فقال عمر رضي الله عنه: أتعرفون ما يقول ابن عباس؟ قالوا نعم، قال: لو احتجت إلى شهادتكم عند ربي كنتم تشهدون لي بما قال ابن عباس؟ قالوا نعم، فرفع يديه وقال الله أكبر الله أكبر." [وفي البخاري" جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المومنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورتبتك في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فأعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفافا لا علي ولا ليس"[721]، وفي البخاري أيضا: "لما طعن عمر جعل يألم

أ-زيادة من "هـ".
ب-في "أ"بالأرض.
ج-ساقط من "ج".

(720) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب العلم باب فضل العلم 106/1 رقم 81 ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه 1859/4 رقم 2391 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه 619/5 رقم 3687 والدارمي في السنن كتاب الرؤيا باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم 171/2 رقم 2154.
(721) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفن رضي الله عنه 1354/3 رقم 3497.

فقـال له ابن عباس وكأنه يجزعه [يا أمير المومنين][أ] ولا كان ذلك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر وأحسنت[ب] [صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت صحابته فأحسنت صحبتهم ولين][ج] فارقتهم لتفارقهم وهم عنك راضون ، قال ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فإن ذلك [من الله من به علي][د]، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإن ذلك من الله من به علي، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك ومن أجل أصحابك ، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه"[722]، قوله يألم أي يتوجع لأجل ما يستقبله من لقاء الله ، يجزعه يزيل عنه الجزع وطلاع الأرض ماؤها][هـ]. وقوله : **ثم عثمان**، هو ابن عفان يلقب ذاالنورين لأنه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم ، وقيل لأنه إذا دخل الجنة برقت[و] له برقتين[ز] ، وقيل لأنه يختم القرآن في الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور، وقال عبد الله بن عمر : "وفيه نزل قوله تعالى ﴿أمن هو قانت أناء الليل ...﴾[723]"[724] الآية، [وطال ما][ح] ختم القرآن

أ–ساقط من "ع".

ب–في "هـ": احتسنت.

ج–ساقط من "هـ".

د–في "ج": من من الله به علي.

هـ–ساقط من "ط".

و–في "د": فرقت.

ز–في "د": فرقتين .

ح–ساقط من "هـ".

---

(722) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب أبو حفص القرشي العدوي رضي الله عنه 1350/3 رقم 4385.

(723) سورة الزمر آية 10.

(724) الدر المنثور 605/5.

في ركعة ، ويكنى أبا عمر وأبا عبد الله والأول أشهر ، وكان من السابقين إلى الإسلام صلى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين وهو أول من هاجر إلى الحبشة فارا بدينه ومعه زوجته رقية ، وهو من البدريين ومن أهل بيعة الرضوان و لم يحضهما لإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأولى في التخلف لتمريض ابنته عليه السلام، وقال له "لك أجر رجل شهد بدرا و"همه"، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه لمكة في الثانية وقال بيده اليمنى" هذه يد عثمان"[725]، وكانت له شفقة ورحمة فلما ولي الخلافة زاد تواضعه ورقته وشفقته ورحمته في رعيته، وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويأكل الخل والزيت . وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "عثمان أحيا أمتي وأكرمها"، وكان صلى الله عليه وسلم يتحدث يوما مع أبي بكر وعمر وهو كاشف عن فخذيه أو ساقيه، فلما دخل عثمان جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه ، فقيل له في ذلك فقال : ألا نستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة" وفي رواية أنه قال "إن عثمان رجل حيي فلو أذنت له على تلك الحال خشيت ألا تقضى حاجته"[726]. وكانت له أفعال عظيمة في البر، جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا بأحلاسها وأقتابها وأتم الألف بخمسين فرسا، وعن حذيفة بن اليمان قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

(725) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه 1352/3 رقم 3495 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه 629/5 رقم 3706.

(726) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه 1866/4 رقم 2401.

عثمان في تجهيز جيش العسرة فبعث عثمان إليه /(341) صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقلب يديه ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كاين إلى يوم القيامة"، وفي رواية ما يضر عثمان ما فعل بعد اليوم، واشترى بير رومة بخمسة وثلاثين ألفا وسبلها[727]، زولي الخلافة باتفاق أهل الحل والعقد بعد دفن عمر بثلاثة أيام ، وذلك أنه لما طعن عمر رضي الله عنه سقي لبنا فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت، فقيل له استخلف يا أمير المومنين ، قال : ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر والرهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن[أ] ، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء، فلما فرغ من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي ، فقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن ، وقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلكم في نفسه، فسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلوا عن أفضلكم[ب] ؟ قالا : نعم،

أ-في "هـ": عبد الرحمن بن عوف.

ب-في "ط": أفضلهم.

(727) أخرجه الحاكم في المستدرك 110/3 رقم 4553 وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه والترمذي في السنن كتاب المناقب باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه 625/5 رقم 3700 و 626/5 رقم 3701.

فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت ، والله عليك لين أمرتك لتعدلن ولين أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك ، فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه وبايعه علي وولج أهل الدار فبايعوه"، انظر البخاري(728). وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني[أ] عشر يوما ، وكانت في مدته فتوحات عظيمة ، ولما كثرت الخيرات والأموال بطرت الرعية فأخذوا ينقمون عليه لأنه كان له أموال عظيمة وألف مملوك وكان يولي أقاربه الولاية الجليلة ونفى أبا ذر إلى الربذة لأنه كان يزهد الناس في الدنيا ، ورد [الحكم بن أبي العاص][ب](729) وقد كان نفاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الربذة و لم يرده أبو بكر ولا عمر ، قيل وإنما رده عثمان بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم ، فتكلموا فيه إلى أن قالوا هذا ما يصلح للخلافة وهموا بعزله، فجاء ملك الأشتر النخعي في مائتي رجل من أهل الكوفة ومائة وخمسين من أهل البصرة وستمائة من أهل مصر كلهم مجتمعون على خلعه ، فلما جاءوا المدينة أرسل إليهم عثمان المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص يدعونهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم /(342) فردوهما أقبح رد و لم يسمعوا قولهما، فبعث عليا رضي الله عنه فردهم إلى ذلك وضمن لهم ما يعدهم عثمان،

أ–في"أ": اثنتا.
ب–في"أ": الحكم بن العاص.

(728) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه 1353/3 رقم 5654.
(729) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي عم عثمان بن عفان ، كان من مسلمة الفتح أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وطرده عنها حتى ولي عثمان فرده إلى المدينة ، وتوفي آخر خلافته، ترجمته في الاستيعاب 360-359/1 وأسد الغابة 515-514/1 والإصابة 104/2.

وكتبوا كتابا بإزاحة علتهم والسيرة فيهم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام ، فأخذوا عليه عهدا بذلك[أ] وأشهدوا على علي أنه ضمن ذلك، واقترح المصريون على عثمان عزل عبد الله بن أبي سرح وكان واليا[ب] عليهم بمصر وتولية محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك وولاه وافترق الجمع كل إلى بلده ، فلما وصل المصريون إلى أيلة وجدوا رجلا على نجيب لعثمان رضي الله عنه ومعه كتاب مختوم بختام عثمان مصطنع على لسانه وعنوانه من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح وفيه : إذا قدم محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقطع أيديهم وأرجلهم [من خلاف][ج] وارفعهم على جذوع النخل ، فرجع المصريون ورجع البصريون والكوفيون لما بلغهم ذلك وأخبروه بالخبر فحلف عثمان أنه ما فعل ذلك ولا أمر به ، قالوا هذا يشهد عليك يوخذ خاتمك ونجيب من إبلك[د] وأنت لا تعلم ، ما أنت إلا مغلوب على أمرك ، ثم سألوه أن يعتزل فأجمعوا على إحصاره وحصروه في داره قيل أكثر من عشرين يوما ، وقيل تسعة وأربعين وقيل ثمانين يوما، ومنع من أن يصل إليه الماء، قال شداد بن أوس[730]: لما اشتد الحصار رأيت عليا خارجا من منزله معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهرا سيفه وأمامه الحسن وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم في نفر من المهاجرين والأنصار ، فحملوا على الناس وفرقوهم ثم دخلوا على

أ-في "هـ": بذاك.

ب-في "هـ": وليا.

ج-ساقط من"أ" و"ب" و"ط" و"هـ".

د-في "ج": اجلك.

(730) هو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر أبو عبد الرحمن، كان ممن آتاهم الله العلم والورع، نزل الشام بناحية فلسطين وبها توفي قيل سنة 58 وقيل 64 هج، ترجمته في الاستيعاب 695-694/2 وأسد الغابة 2-355-356 والإصابة 319/3.

عثمان، فقال له علي : السلام عليك يا أمير المومنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل والمدبر وإني والله لا أرى القوم إلا قاتلوك فمرنا فلنقاتل ، فقال عثمان: أنشد الله رجلا رأى لله عز وجل عليه حقا وأقر أن لي عليه حقا أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم أو يهريق دمه في، فأعاد علي رضي الله عنه فأجابه بمثل ما أجابه ، فرأيت عليا خارجا من الباب وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا قد بذلنا المجهود ، ثم دخل المسجد فاقتحم رؤوس الشر على عثمان رضي الله عنه الدار والمصحف بين يديه وضربه نيار[أ] بن عياض وسواد بن حمران[ب] بسيفيهما وذبحوه وهو شيخ كبير ، فنضح الدم على قوله تعالى ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[731] . وقتل رضي الله عنه وهو ابن ثمانين سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، وقيل عمره ثمان وثمانون سنة وقيل ثلاثة وثمانون سنة وقيل تسعون ، وكان /(343) ذلك أول وهن وبلاء تم على هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، وتفرقت الكلمة بعد قتله وماج الناس واقتتلوا حتى قتل من المسلمين تسعون. قتل رضي الله عنه شهيدا يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة، وقيل لثمان عشرة خلت منه بعد العصر ودفن بالبقيع سنة خمس وثلاثين، وقد أعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المصيبة ، روى ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب ودر وياقوت ، فقلت لمن هذا فقالوا: للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان ، وقال كيف أنت يا عثمان إذا لقيتك يوم القيامة وأوداجك تشخب دما ، فأقول من فعل بك ؟ فتقول بين خاذل

أ–في "هـ": قيار.
ب–في "ب" و"ج" و"ع": صمران.

(731) سورة البقرة آية 136.

وآمر فبينما نحن كذلك إذ ينادي مناد من تحت العرش عثمان قد حكم في أصحابه"، وكان قتله سببا في فتح أبواب الفتن وما وقع من الحروب إنا لله وإنا إليه راجعون . روى الديلمي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن لله سيفا مغمودا في غمده ما دام عثمان حيا فإذا قتل جرد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة"(732).

قوله : **ثم علي**(733)، هو ابن أبي طالب رضي الله عنه يكنى أبا الحسن وكناه المصطفى صلى الله عليه وسلم أبا تراب وكان أحب ما ينادى به إليه، بويع له بالخلافة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان بخمسة أيام، وحضر بيعته جماعة من الأعيان طلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم وغيرهم من الأعيان ، وتخلف عن بيعته نفر فلم يكرههم ، وقال قوم قعدوا عن الحق و لم يقوموا مع الباطل ، وممن تخلف عن لبيعته معاوية ومن معه بالشام إلى أن كان منهم بصفين ما كان، وصار إلى العراق وخرج عليه الخوارج فكفروه وكل من معه واجتمعوا على قتاله وشقوا عصى المسلمين ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل ، فخرج بمن معه ورام رجوعهم فأبوا إلا القتال فقاتلهم بالنهراوان فقتلهم واستأصل جمهورهم و لم ينج منهم إلا القليل ، وأخباره في الشجاعة معروفة(أ) كثيرة ، ومما يوثر من شجاعته أنه كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط، والقد قطع السيف طولا والقط قطعه عرضا . وقتل رضي الله عنه شهيدا وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك(ب) ، ففي الحديث أن رسول الله صلى الله

أ–ساقط من "ب"و"ط" و"ع" و"هـ".
ب–في "هـ": بذاك.

(732) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 188/1 رقم 705.
(733) متن الرسالة ص :10 .

عليه وسلم قال لعلي "يا علي أتدري من أشقى الأولين ؟ قال : الله ورسوله أعلم، قال : عاقر ناقة صالح ، أتدري من أشقى الآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : الذي يضربك على هذه فيبل/(344) منها هذه وأخذ بلحيته"(734)، فكان علي رضي الله عنه يقول : والله لوددت لو انبعث أشقاها ، فضربه ابن ملجم الخارجي بالكوفة سنة أربعين ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين على الصحيح المشهور ، وسبب ذلك على ما في ابن خلكان(735)، وغيره أنه اجتمع قوم من الخوارج فتذاكروا أصحاب النهراوان وترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ، فتحالف عبد الرحمن بن ملجم والبرمك بن عبد الله وعمر بن بكر التميمي على أن ياتي كل منهم واحدا من علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، فقال ابن ملجم وهو أشقى الآخرين[أ] أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرمك: وأنا أكفيكم معاوية ، وقال عمر[ب] بن بكر : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، ثم سموا سيوفهم وتواعدوا لسبع عشرة ليلة من رمضان فدخل ابن ملجم الكوفة ثم أقبل حتى جلس مقابل السدة[ج] التي يخرج علي منها للصلاة، فلما خرج لصلاة الفجر ضربه ابن ملجم على صلعته، فقال علي: قتلت ورب الكعبة شأنكم، فحمل ابن ملجم على الناس بسيفه فأفرجوا له، وتلقاه المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بقطيفة ،

أ–في "ج": الأولين.
ب–ساقط من"أ" و"ب" و"د".
ج–في "هـ": السراة.

(734) رواه القرطبي في التفسير 78/20 وأخرجه بلفظ آخر الحاكم في المستدرك 122/3 رقم 4590.
(735) وفيات الأعيان لابن خلكان 217/7-218.

فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وجلس على صدره ، وأقام علي رضي الله عنه يومين ومات ، وقتل الحسن بن علي رضي الله عنهما عبد الرحمن بن ملجم، فاجتمع الناس وأحرقوا جثته ، وأما البرمك فإنه ضرب معاوية فأصاب أوراكه وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع عنه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك ، فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه، فرحل إلى البصرة وأقام بها حتى بلغ زياد بن أمية أنه ولد له، فقال أيولد له وأمير المومنين لا يولد له، فقتله ، قالوا: وأمر معاوية رضي الله عنه باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت. وأمّا ابن بكر فإنه رصد عمرو بن العاص رضي الله عنه فاشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة فصلى بالناس رجل من بني سهم يقال له خارجة ، فضربه ابن بكر فقتله، فأخذ ابن بكر فلما دخل به على عمرو بن العاص[أ] رضي الله عنه ورآهم يخاطبونه بالإمارة قال : أو ما قتلت عمرا ؟ قيل له إنما قتلت خارجة ، فقال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فقتله عمرو رضي الله عنه. وعلي رضي الله عنه أول إمام[ب] خفي قبره ، وقيل إن عليا أوصى أن يخفى قبره، وكان رضي الله عنه شديد الشفقة على الرعية متواضعا ورعا ذا قوة في الدين ، وكان قوته من[ج] الشعير يأخذ منه قبضة فيضعها في القدح ثم يصب عليها الماء فيشربه /(345) قال ضرار الضبي :"أشهد لقد سمعت عليا وقد أرخى الليل ستوره يبكي ويقول : يا دنيا غري غيري لا حاجة لي فيك ، إلي تعرضت أم إلي تشوقت ، هيهات بنتك[د] ثلاثا لا رجعة لي

أ-في"أ" و"ب" و"ج": عمرو.
ب-في "ج": أيام.
ج-في"أ": في.
د-في"أ": بثتك وفي "ع": ثبتك .

فيك ، فعمرك قصير وخطرك حقير ، أواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق". قيل وفيه نزل قوله تعالى ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ...﴾[736] الآية، وكان تصدق وهو راكع بخاتمه ،[وقوله تعالى ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾[737]، وكان له أربعة دنانير تصدق بدينار ليلا وبدينار نهارا وبدينار سرا وبدينار علانية][أ] ، وقوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه ...﴾[738] الآية، وقد قيل في قوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ يعني البخل والطمع ﴿ويطهركم تطهيرا﴾[739]، يعني بالسخاء والإيثار. وكتب رضي الله عنه إلى سلمان رضي الله عنه : "إنما مثل الحياة الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها ، فأعرض عنها وعن ما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ، ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها [وكن أسر][ب] ما تكون فيها واحذر ما تكره منها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه"[740]. أسلم وهو ابن سبع أو تسع أو عشر أو خمسة عشر على الخلاف ، ويقال أنه أول من أسم وأول من صلى وشهد المشاهد كلها إلا تبوك فإنه صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أقام بعده ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ثم لحق به ، وزجه عليه السلام

أ–ساقط من "ع".
ب–ساقط من "ب" و"هـ".

---

(736) سورة المائدة آية 57.
(737) سورة البقرة آية 274.
(738) سورة الإنسان آية 8.
(739) سورة الأحزاب آية 33.
(740) نهج البلاغة 556/4.

ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وبعث معها خميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء وجرتين وشهد له بالجنة . وفي البخاري عن سهل ابن سعد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر "لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه"، فقاموا(أ) يرجون(ب) لذلك أيهم يعطاها ، فغدوا كلهم يرجوا أن يعطاها، فقال : أين علي ؟ فقال : يشتكي عينيه، قال : فأرسلوا إليه فأوتي به فلما جاء بصق في عينيه فبرئ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: "قاتلهم(ج) حتى يكونوا مثلنا"، فقال: "انفر على رسلك حتى تنزل بهم بساحتهم ثم ادعهم(د) إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"، وفي رواية "رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله"[741] وفي رواية بالواو لا بأو. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "لو أن السماوات وضعت في كفة وإيمان علي [رضي الله عنه](هـ) وضع في كفة لرجح إيمان علي"[742]. وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تذكر ، وقد بلغت في

أ-في"أ": فباتوا.
ب-في "ط": يدوكون.
ج-في"أ": تقاتلوهم.
د-في"أ": ادعوهم.
هـ-زيادة من "ط".

(741) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم 1086/3 رقم 2812 وباب فضل من أسلم على يديه رجل 1096/3 رقم 2847 ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب 1872/4 رقم 2406 – 2407، والترمذي في السنن كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه 638/5 رقم 3724.
(742) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 363/3 رقم 5100.

الشهرة والكثرة مبلغا لم تبلغه فضايل أحد من الصحابة ، وقد جمعها الحافظ أبو عبد الله الذهبي في مجلد ، وحديث "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"[(743)] متواتر جاء عن نيف وعشرين صحابيا ، واستوعبها الحافظ ابن عساكر في نحو عشرين ورقة ، قال عليه السلام "أنا مدينة العلم وعلي بابها[(744)] وقد نقل عنه في كل علم العجب العجاب حتى افتتنت به طوائف من المبتدعة وادعى بعضهم فيه ما ادعت النصارى في عيسى عليه السلام، وحكي عنه أنه قال "لو أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضع[(أ)] على الفاتحة وقر سبعين بعيرا لفعلت"[(745)]. وتأمل[(ب)] فتواه في رجلين لأحدهما ثلاثة أرغفة وللآخر خمسة هجم عليهما ثالث فقدما له ما معهما واستوعبوا ثلاثتهم ذلك أكلا ، فلما قام عنهما أجازهما بثمانية دراهم فقال صاحب الثلاثة : هي بيننا نصفين، وقال الآخر : بل بيننا على عدد أرغفة كل واحد فحلف الأول أن لا يأخذ إلا ما أعطاه صميم الحق، فقال بديهة إذا ليس لك إلا درهم واحد، فقال : كيف ؟ قال: أكلتم ثلاثتكم ثمانية أرغفة وقدر ما أكل كل منكم غير معلوم فتحملون على السواء، وثمانية على ثلاثتكم تباينها فتضرب فيها فتصير

أ-في "د": أصنع.
ب-في "هـ": تاويل.

---

(743) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب 1359/3 رقم 3503 ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب 1870/4 رقم 2404 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه 638/5 رقم 3724 وابن ماجة في السنن المقدمة باب فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه 42/1 رقم 115.

(744) أخرجه الحاكم في المستدرك 137/3-138 رقم 4637-4638-4639 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(745) فيض القدير 52/1.

قال ﴿للفقراء المهاجرين﴾ إلى قوله ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان﴾[750]، وقد تقدم قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[751]، وقوله ﴿لا يستوي منكم من أنفق ...﴾[752] الآية، وها هنا سؤال وهو أنا لا نشك أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله العافية وكذلك الخلفاء الراشدون وكذلك غيرهم من أئمة[أ] الدين والعلماء العاملين ونقطع ونجزم بأن الله تعالى لم يرد سؤالهم و لم يخيبهم فيما سألوا و لم يردهم فيما طلبوا فيقول القائل فأين هذه العافية التي سألوها وأعطوها مع أن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل ؟ والجواب والله سبحانه الموفق للصواب : إن العلماء أطبقوا وأجمعوا على أن تفسير العافية أن لا يكل الله تعالى العبد إلى نفسه، وأن يتولاه ولا يخذله، وأن لا يحرمه توفيقه، وأن لا يهمله وأن يحفظه ويرعاه في أي حال كان ، وفي حزب الشاذلي رضي الله عنه "ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من عندك أنك على كل شيء قدير"[753]، وكان بالشيخ أي أبي العباس المرسي رضي الله عنه أمراض متعددة فقال له رجل : عافاك الله يا سيدي ، فسكت عنه و لم يجبه ، فقال ذلك الرجل : يعافيك يا سيدي ، فقال الشيخ : وأنا ما سألت الله العافية، قد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية ، ثم قال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية، وإن الخلفاء الراشدين سألوا الله العافية

أ-في "أ": الأئمة.

(749) سورة التوبة آية 101.
(750) سورة الحشر آية 8-9.
(751) سورة آل عمران آية 110.
(752) سورة الحديد آية 10.
(753) الحزب الكبير للشاذلي من كتاب لطائف المنن ص : 155.

وذكر له ما وقع من أن النبي صلى الله عليه وسلم مات مسموما وأن أبا بكر كذلك، وأن عمر مات مطعونا وأن عثمان مات مذبوحا وأن عليا مات مقتولا ، ثم قال له : فإذا سألت الله العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها لك عافية"(754). ولا شك أن البلاء الذي يكون معه الرضى من الله عافية في الحقيقة وكذلك الذي يحوش العبد إلى الله ويوقفه/(348) ببابه على الاضطرار عافية أيضا على الحقيقة ، وقد قالوا : بلاء يلجيك خير لك[أ] من نعمة تقصيك عنه والله أعلم. ولا يخرج نزول البلاء عن هذه الأقسام والله تعالى أعلم . **تنبيه** : لم يتكلم المصنف على التفضيل بين الصحابيات، وقد اختلف هل الأفضل خديجة أو عائشة ، وهل الأفضل مريم بنت عمران على القول بأنها ليست بنبية أم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم. وقد تعرض لذلك الشيخ تقي الدين السبكي في فتاويه الحلبيات وشفى الغليل، واقتطف الشيخ جلال الدين السيوطي كلامه ما هو المقصود وكأنهما مالا إلى تفضيل فاطمة على الكل وخديجة على عائشة، ونقل الأدلة في ذلك[ب] يطول فليطالع في محله. وقال الشيخ زكرياء ما حاصله :"الذي أعتقده الآن أن جهة التفضيل مختلفة ففاطمة أفضل من جهة البضعة، وخديجة أمها أفضل من جهة الموازرة والنصرة والمواساة ، وعائشة أفضل من جهة العلم". وفي الخصائص النبوية للسيوطي :" ذكر الإمام علم الدين العراقي(755) أن فاطمة وأخاها إبراهيم

أ-ساقط من"أ" و"ج" و"ط" و"هـ".

ب-في "هـ": ذاك.

---

(754) لطائف المنن ص : 219 .

(755) هو عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري علم الدين العراقي ، ولد سنة 623 هج، اعتنى بالعلوم الشرعية أخذ عنه ابن السبكي وأبو حيان وجماعة، توفي سنة 704 هج، ترجمته في حسن المحاضرة 421/1 والدرر الكامنة 399/2-401.

أفضل من الخلفاء الأربعة باتفاق"، ونقل عن مالك أنه قال:"لا أفضل على بضعة النبي أحدا". قال العارف بالله تعالى[أ] سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي "وفي الاتفاق[ب] نظر". قال سيدي عبد القادر الفاسي : "وأما من حيث المعارف والأسرار الربانية فأبو بكر أفضل ، ثم هم على الترتيب وأما من حيث البضعة ففاطمة أفضل"[756] ، فكأنه يريد فضل فاطمة أشرف من حيث الجوهر والجسم والسر المتوارد عليه والله أعلم"، انظر شرح المراصد.

قوله: **وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر**[757] ذكر جميع الصحابة بأحسن الذكر مأمور به لما فيه من امتثال الأمر بتعظيمهم ، وأما ذكرهم بالقبيح فممنوع بالإجماع لما فيه من نفي فضلهم ، وأما ذكرهم بما ليس فيه بقبيح ولا حسن وهو المباح فظاهر كلامه يقتضي النهي عنه ، نقل ذلك علي[ج] الأجهوري عن بعضهم.[758] وفي الخبر "إذا ذكر الصحابي فأمسكوا"، فقيل معناه [لا يذكروا][د] إلا بأحسن ذكر ، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم وحض على محبتهم وحذر من إذايتهم فقال عليه السلام" الله الله في أصحابي لا تتخذوهم[هـ] غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي[و] أحبهم ومن أبغضهم فببغضي[ز] أبغضهم ومَن/ (349) آذاهم فقد

أ-ساقط من "ب".
ب-في"أ": بالاتفاق.
ج-في "ع": الشيخ علي.
د-في"أ": ألا يذكروا وفي "هـ": لا يذكرون.
هـ-في "هـ": تتخذونهم.
و-في"أ": بحبي.
ز-في"أ": ببغضي.

(756) أجوبة عبد القادر الفاسي الورقة 60.
(757) متن الرسالة ص : 10.
(758) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 177.

آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ياخذه"(759)، وقال عليه السلام "من أحب أصحابي وأزواجي وأهل بيتي و لم يطعن في أحد منهم وخرج من الدنيا على محبتهم كان معي في درجتي يوم القيامة"(760)، وقال بعض العلماء المحققين : واعلم أن محبة الصحابة رضي الله عنهم واجبة على الجملة والتفصيل لوجوه ثلاثة ، الأول لحسن أخلاقهم وجميل أفعالهم وعظيم نصيحتهم للأمة وشفقتهم على الدين والشريعة وأدائهم الأمانة وبسط العدل بين الأمة بالاستقامة ، فمن طالع كتب السير وتأمل أمرهم في مغازيهم وبرازهم وملاحمتهم للكفار مع قلة عددهم وعددهم[أ] وكثرة المشركين عددا وعددا رأى من شجاعتهم وجميل خصالهم ما يبهر العقول، ولقد جيش المشركون الجيوش وجمعوا العساكر وحزبوا الأحزاب ، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ، كيف وكل ما تراه من بلاد الإسلام وقراهم وأمصارهم شرقا وغربا وجوفا وقبلة إنما فتح على أيديهم بقهر سيوفهم وعظيم إيمانهم ومعرفتهم الكاملة التي حصلت لهم من النور المحمدي ، وكل ما حصل بأيدي المسلمين من مجابي[ب] الأموال من القناطير المقنطرة إنما ذلك بسببهم، وكذلك كل ما تراه من علم نافع وفرض وسنة وفضيلة ونافلة فهم الذين حملو[ج] المؤنة في حفظه على أتم وجوهه وأكملها ، كل هذا في زمن قليل وعدد يسير رضي الله

أ–في "ج": عدهم.
ب–في "ج" و"ع": مفاخر.
ج–في"أ" و"د": حصلوا.

(759) أخرجه الترمذي في السنن كتاب المناقب باب في فضل من بايع تحت الشجرة 696/5 رقم 3862 والبيهقي في شعب الايمان 191/2 رقم 1511 وابن أبي شيبة في المصنف 179/7 رقم 35134.

(760) رواه أبو جعفر الطبري في الرياض النضرة 192/1 رقم 31.

عنهم وأرضاهم . الثاني لحسن صحبتهم لنبي الرحمة وخير الأمة وجميل عشرتهم معه في كل وقت وساعة ، وعظيم حرمتهم له في كل أمر له بالسمع والطاعة وبذل الأنفس والأموال له عند كل نازلة واحتمالهم المشقة في خدمته عند المقاتلة مع أهل الكفر والضلال، فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ، ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم[أ] نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا يسقط منه شعرة إلا ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر إلا ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده[761] ، وما يحدون إليه النظر تعظيما له ، حتى قال عروة بن مسعود[762]: "جئت[ب] كسرى في ملكه[ج] وقيصر في ملكه فما رأيت أحدا يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمدا"[763]. وفي أخبار الإسرائيليين أن رجلا عصى الله تعالى مائتي سنة فلما مات /(350) أخذه بنو إسرائيل ورموه على المزبلة ، فأوحى الله لموسى عليه السلام أن اغسله وكفنه وصل عليه وفي جميع بني إسرائيل ففعل موسى فعجبت بنو إسرائيل من ذلك وقالوا لموسى : لم يكن في بني إسرائيل أكثر[د] معاصي ولا أعتى على الله منه ، قال: قد علمت

أ- في "ج" و"هـ" يتمخط.

ب- في "ب"، جئنا.

ج- في "ب" و"هـ": ملك.

د- ساقط من "د" و"ع".

---

(761) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط 976/2 رقم 2581.

(762) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب أبو مسعود ، شهد صلح الحديبية ، كان سيدا مطاعا في قومه فلما رجع إليهم ودعاهم للإسلام رموه بالسهام فأصابه سهم فقتله، ترجمته في الاستيعاب 1066/3-1067 وأسد الغابة 528/3-530 والإصابة 4924.

(763) رواه البيهقي في شعب الإيمان 199/2 رقم 1525.

ولكن الله أمرني بذلك[أ] ، قالوا: فاسأل[ب] الله عنه ، فأوحى إليه: قد صدقوا في حديثه إلا أنه يوما من الأيام فتح التوراة فنظر إلى اسم محمد مكتوبا فيها فقبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوب مائتي سنة ، فانظر رحمة الله لهذا بهذا الفعل فكيف بمن آمن بالنبي عليه السلام ووازره واتبعه وأطاعه وبذل النفس والمال دونه ، وتأمل قضية المرأة الأنصارية التي قتل بأُحُد أبوها وأخوها وزوجها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ما فعل برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا : خيرا هو بحمد الله كما تحبين ، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعد جلل". وقضاياهم في شدة محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة. الثالث لمحبة الله تعالى لهم ونزول القرآن برضاه عنهم واختياره إياهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رضى النبي عليه السلام عنهم وصالح دعائه لهم وشدة سروره بهم وعظيم مدحه لهم، قال عليه السلام كما في الصحيح "لا تسبوا أصحابي، والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[764]. بشارة : في صحيح البخاري عن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: "متى الساعة ؟ قال: وما أعددت لها ؟ قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت،

أ-في "هـ": بذاك.

ب-فسئل.

(764) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا 1343/3 ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنه 1967/4 رقم 2541 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب في فضل من بايع تحت الشجرة 695/5 رقم 3861 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم 214/4 رقم 4658 وابن ماجة في السنن المقدمة باب فضل أهل بدر 57/1 رقم 161.

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت مع من أحببت ، قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم"[765]. ومن هذا الباب محبة العلماء والأولياء وآل البيت لما لهم من التعلق به صلى الله عليه وسلم، ولأن محب المحبين ملحق بالمحبين . وقد رأى بعضهم في النوم ملائكة يكتبون أسماء المحبين فقال لهم: بالله عليكم هل كتبتموني معهم ؟ قالوا: لا، قال فبالله عليكم اكتبوني ممن يحب المحبين، فكتبوه فإذا بالنداء : إن الله قد غفر لمحبيه ولمحبي محبيه، وقد أحسن القائل:

تعلق بأذيال الذين تفرغوا   لخدمة هذا المصطفى كأبي بكر /(351)

والقائل:

يا ساداتي وموالي   وخير وال وآل   مالي سواكم حصون
من حادثات الليالي[أ]   أنا الفقير إليكم   أنا غبار النعال
وكل من كان منكم   في السهل أو في الجبال   فرجله فوق رأسي
وحبه رأس مالي   فقابلوا بقبول[ب]   وحسنوا سوء الحال
وغير خاف عليكم   أني من الخير خال   حاشاكم أن تظنوا
بقصدي من سؤال[ج]   وفيضكم في ازدياد   وجودهم في توال

أ–في "أ": البال.
ب–في "أ" و"ب" و"ج": بقبولي.
ج–في "هـ": سؤالي.

(765) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه 1349/3 رقم 3485 ومسلم في الصحيح كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب 2032/4 رقم 2639.

قوله: **والإمساك عما شجر بينهم**(766)، هذا مستغنى عنه بما قبله كما في علي(أ) الأجهوري(767)، ويعني أن من الواجبات الكف والسكوت عما وقع من النزاع فيه بين علي ومعاوية في وقعة صفين ، وهو اسم موضع أو ماء بالشام و لم يقاتل علي فيها حتى قتل عمار بن ياسر(768)، فجرد ذا الفقار(ب) وقتل في ذلك ألفا وستمائة، وفي وقعة الجمل بالعراق بين علي والزبير وطلحة وغير ذلك ، لأنهم أعرف وأقوى علما ودينا ممن بعدهم ولذلك لما سأل أهل البصرة عبد الله بن عمر عن أمر عثمان وعن أمر علي قال:"تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم"(769) وقال الإمام مالك أو الشافعي أو عمر بن عبد العزيز أو ميمون بن مهران رضي الله عنهم :" تلك دماء لم نخضب بها أيدينا فلا نخضب بها ألسنتنا" (770). روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال :" مثل أصحاب محمد مثل العين ودواء العين ترك مسها"(771). وسئل الحسن عن حرب علي ومعاوية فقال :" شغلني عنه ذكر الهاوية"(772) ، وإذا كان مثل هؤلاء السادات مع قوة علمهم ورسوخ قدمهم في الدين وقرب عهدهم بما كان

أ-في "ع": الشيخ علي.
ب-في"أ" و"د" و"ع": القفار.

---

(766) متن الرسالة ص :10 .

(767) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 177.

(768) هو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي ثم المذحجي الصحابي الجليل ، شهد بدرا وأحدا والخندق ، وقد قال له الرسول صلى الله عليه وسلم "أبشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية"، استعمله عمر على الكوفة وصحب عليا وقتل يوم اليمامة، ترجمته في الاستيعاب 1135/3 -1141 وأسد الغابة 626/3-632 والإصابة 575/4.

(769) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 223/7 دون إسناده لابن عمر.

(770) أورده ابن ناجي في شرح الرسالة 69/1.

(771) شرح الرسالة لزروق 69/1.

(772) شرح الرسالة لزروق 69/1.

لا يخوضون في ذلك ولا يذكرونه فغيرهم[أ] ممن قل علمه ورقت ديانته أحق وأولى بهذا ، لاسيما والناقلون لذلك لا يتثبتون في النقل بل ينقلون الغث والسمين، فالصواب الإعراض عن ذلك واعتقاد أن جميع ما وقع بينهم فاجتهاد وأن الأجر ثابت لِجميعهم، وإن الطاعن عليهم فإنما يتوصل للطعن على النبوءة بذلك وهو كافر كما قال ابن فروك[373] لعدالة جميعهم لحديث "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[774]، ولحديث "خير أمتي قرني" رواه الشيخان، وأما قول المحلي :"ومن طرأ له منهم قادح كسرقة أو زنى عمل بمقتضاه"[775]، فقد أخذه من قول القرافي : "والصحابة عدول إلا عند قيام العارض فمع قيام أسباب الرد لا تثبت العدالة ، غير أنها هي الأصل فيهم من غير عصمة، وغيرهم الأصل فيهم عدم العدالة حتى تثبت العدالة عملا بالغالب في الفريقين"[776] ، وفيه نظر فإن تنوير سرايرهم وحسن طويتهم مانع لهم من الإصرار وإن جرى عليهم الذنب بحكم القضاء والقدر فلا يقدح في مناصبهم ولا يعارض حسن الظن بهم قاله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي ونقله في شرح المراصد.

قوله: **وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب**[777]، ومن ذلك اعتقاد أن الصحابة أحق الناس بأن يطلب لهم أحسن التأويلات في وقايعهم وأن يعتقد أن ذلك لم يكن لأجل الدنيا لأن

أ-في "هـ": بعيدهم.

---

(773) شرح زروق على الرسالة 99/1.
(774) رواه الديلمي في نوادر الأصول 62/3 وابن حجر في لسان الميزان 137/2.
(775) شرح المحلي على جمع الجوامع 275/3.
(776) نحوه في شرح تنقيح الفصول للقرافي ص : 360 و380.
(777) متن الرسالة ص : 10.

الدين هو الذي كان عندهم فوق الرؤوس والدنيا[أ] إنما كانت تحت أقدامهم، فلم يكن تنازعهم في رياستها ونيل حظوظها وشهواتها ، قال في الإحياء :" اعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله ورسوله عليهم ، وما جرى بين معاوية وعلي كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة إذا ظن على أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب [أمر الإمامة][ب] في بدايتها ، فرأى التأخير أصوب ، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأيمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب ، وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطية علي رضي الله عنه ذو تحصيل أصلا"[778]. وفي أبي الحسن[779] التتائي[780] وغيرهما :" اتفق أهل الحق أن عليا رضي الله عنه اجتهد وأصاب فله أجران وأن معاوية رضي الله عنه اجتهد وأخطأ فله أجر واحد. **تنبيهان**، الأول: قال ابن حجر:" روى حديث "تقتل عمار الفئة الباغية"[781] جماعة من الصحابة ، ثم قال بعد عدهم : وغالب طرقه[ج] صحيحة أو حسنة وفيه فضيلة لعلي ظاهرة ولعمار ، فإن قيل كيف قتله بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من

أ–في "هـ": الدنية .

ب–في"أ" و"ع": الأمر.

ج–في "ج" و"هـ": طرقهم.

---

(778) إحياء علوم الدين 37/1.

(779) كفاية الطالب الرباني 151/1.

(780) تنوير المقالة ص : 60.

(781) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد باب مسح الغبار عن الناس في السبيل 1035/3 رقم 2657 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه 669/5 رقم 3800.

الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار ؟ الجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم ، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام ، ولذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة ، عمار إذ ذاك، وهم كانوا يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم ظهر لهم أن الإمام الواجب الطاعة هو معاوية رضي الله عنه"[782]. الثاني: قيل ما ذكره المصنف يناقض ما قبله لأن التماس أحسن المخارج فرع ثبوت /(353) الخوض الذي نهى عنه، وأجيب بأن الإمساك لجمهور الناس وعامتهم والتماس المخارج للعلماء ، وبأن المراد بالإمساك الكف عن تتابع[أ] الوقايع في الحروب والإعراض عن ما نقله جملة[ب] المؤرخين في ذلك[ج] والتماس المخرج الحسن يكون فيما نقل منها واشتهر، قاله القلشاني[783]، وقال التتائي : "وقد يقال أنه يحب الإمساك فلا يتكلم في شيء مما كان بينهم ، فإن وقع ونزل وتكلم فيه التمس لهم أحسن المخارج وتيقن فيهم أحسن المذاهب فلا تناقض"[784].

قوله: **والطاعة لأئمة المسلمين وولاة أمورهم وعلمائهم**[785] ، قال غير واحد من الشروح[د] أن قوله والطاعة مبتدأ وخبره محذوف وتقديره واجبة أو من

أ-في "هـ": تتبع.
ب-في "أ" و"ب" و"ع": جهلة.
ج-في "هـ": ذاك.
د-في "ج": الشراح.

---

(782) فتح الباري 112/2.
(783) تحرير المقالة للقلشاني 34/1.
(784) تنوير المقالة ص: 61.
(785) متن الرسالة ص : 10.

واجب أمور الديانات ، وأشار المصنف بقوله **من ولاة أمورهم وعلمائهم** إلى ما قيل في تفسير أولي الأمر من قوله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[786]، فقد قال بعض المفسرين : أولوا الأمر هم العلماء العاملون بعلمهم لقوله تعالى ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾[787] ولقوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[788]، وهذا بالنسبة للمقلد ، وأما المجتهد فلا يقلد غيره ، قال ابن عرفة :" انقطع الاجتهاد بموت عز الدين بن عبد السلام"[789]، قال حلولو : " واختلف هل للإنسان إذا التزم مذهبا معينا أن يخرج عنه على ثلاثة مذاهب ، أحدها أنه لا يجوز له ذلك واختاره الإمام المازري والغزالي[790]، الثاني أنه يجوز وصححه الرافعي، الثالث أنه لا يجوز في بعض المسائل ويجوز في بعض، قال : والبعض الذي لا يجوز فيه هو الذي عمل به آخذا [مما تقدم، واختار عز الدين القرافي جواز الانتقال وأن المذاهب كلها مسالك إلى الجنة"[791]، والجواز مطلقا هو أصح الأقوال الثلاثة وقد استوفى الكلام على هذه المسألة شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد المسناوي أدام الله تعالى مجده في تأليف له في أحكام الاستنابة في الوظائف[792] ونقل ما للأئمة في ذلك كم الكلام، فانظر الفاتحة والخاتمة منه، وقال بعضهم أولوا الأمر هم أمراء الحق وهم الحكام العاملون بأمر الله تعالى وأمر السنة الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وجمع المصنف بين التفسيرين لأنه لا بد من طاعة العلماء والأمراء وبذلك تحصل حراسة الدين وسياسة الدنيا ،

(786) سورة النساء آية 59.
(787) سورة النساء آية 82.
(788) سورة الأنبياء آية 7.
(789) أشار إلى معناه في المختصر الورقة 483.
(790) إحياء علوم الدين 56/1.
(791) الذخيرة للقرافي 140/1.
(792) أحكام الاستنابة في الوظائف ص : 333 و ص : 348.

ولوجوب طاعة أولي الأمر شروط منها ما اتفق عليه ومنها ما اختلف فيه، وقد أشار لها في المراصد بقوله:

شروطه التي[أ] اتفاقاً ذكروا حر وكلف وعدل ذكر /(354)
وقرشي سالم الإدراك والنطق يحكي ذاك كل حاك
وزد على ذلك للجمهور وصف الشجاعة مع التدبير
والاجتهاد في الفروع والأصول وبسط تفريع الإمامة يطول[793]،

ولشيخ شيوخنا العارف بالله سيدي عبد القادر الفاسي تأليف في الإمامة أجاد فيه وذكر التفاريع التي أشار لها في المراصد فانظره إن شئت. قال الشيخ سيدي يوسف بن عمر: "فمن توفرت فيه الشروط المعتبرة وجبت طاعته ظاهرا وباطنا، ومن أطاعه بظاهره دون باطنه فهو عاص ثم قال وأما ولاة الجور فلا تجب طاعتهم إلا أن يخاف منهم القتال والنزاع فتجب طاعتهم"[794]، وهذا إذا لم يأمروا بمعصية إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال الضرير:

ولا تحل طاعة الإمام [في أمره[ب] بالظلم والحرام][ج]

وثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يومر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"، رواه مسلم[795]. القلشاني:" وكان بعض الخلفاء يقول أطيعوني ما عدلت

أ-في و"ب": الذي.
ب-في "ع": إمرة.
ج-في "هـ": في أمره بالجور والحرام.

---

(793) المراصد ص: 344.
(794) شرح الرسالة ليوسف بن عمر ص: 65.
(795) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية 3/1469 رقم 1839.

وإن خالفت فلا طاعة لي عليكم ، وعن أبي حازم أنه قال : لما قال مسلمة ابن عبد الملك ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله تعالى ﴿وأولي الأمر منكم﴾(796)؟ فقال أليست قد نزعت عنكم الطاعة إذا خالفتم الحق لقوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء ...﴾(797)؟"(798) الآية. قال الطيبي : "أعاد الفعل في قوله الرسول إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة و لم يعده في أولي الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته ، ثم بين ذلك بقوله ﴿ فإن تنازعتم في شيء﴾(799) كأنه قيل : فإن لم يعملوا بالحق فلا تطيعوهم وردوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله والرسول"(800) ولما بايع الناس أبا بكر رضي الله عنه البيعة العامة التي كانت [الغد من](أ) يوم السقيفة ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم غني عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم(ب) الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم بالبلاء(ج) ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله وإلا فلا طاعة لي عليكم/(355) قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"(801)، وقال عمر رضي الله

أ-ساقط من "هـ".

ب-في "ب" و"ع": خذلهم وفي "هـ": حزمهم.

ج-في "ب": البلاء وفي "ج" و"هـ": عمهم الله بالبلاء .

---

(796) سورة النساء آية 58.

(797) سورة النساء آية 58.

(798) تحرير المقالة للقلشاني 64/1.

(799) سورة النساء آية 58.

(800) نحوه في حاشية الطيبي على الكشاف 571/1.

(801) رواه الطبراني في المعجم الأوسط 267/8 رقم 8597.

عنه :" من رأى في اعوجاجا – أي عن الحق – فليذكرني ذلك، فقام إليه بلال أو سلمان أو هما أو غيرهما من الصحابة فقالوا له : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا ، فقال: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا رأى في اعوجاجا قومني بسيفه"، وقال عمر رضي الله عنه لسويد بن غفلة(802): " يا سويد بن غفلة لعلك لا تلقاني بعد اليوم فعليك بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا مخرما ، إن شتمك فاصبر وإن ضربك فاصبر وإن أخذ مالك فاصبر وإن راودك على دينك فقل : طاعة مني دمي دون ديني ولا تخرج يدا من طاعة الله، قال سيدي زروق في النصيحة الكافية : "وهذه وصية جامعة لما تضمنته الأحاديث المتظاهرة ، وقد أوصى الله تعالى إلى بعض أنبياءه: أنا الله الذي لا إله إلا أنا ملك الملوك ، قلوب الملوك بيدي][أ] فلا تشغلوا أنفسكم بسبهم وادعوني أعطفهم عليكم"(803). وأشار بقوله ولا تخرج يدا من طاعة الله إلى أنه لا يجوز الخروج عليهم بالفسق والجور وهو الذي تدل عليه الأحاديث وهو مذهب الجمهور. قال القلشاني: "وعنه صلى الله عليه وسلم "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنوكم ، قلنا : يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة"(804)، وعنه عليه السلام أنه قال "ستكون بعدي أثرة

أ–ساقط من"أ".

---

(802) هو سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر الإمام القدوة أبو أمية الجعفي الكوفي، قيل له صحبة و لم يصح بل أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، روى عن أبي بكر وعمر وجماعة من الصحابة توفي سنة 81 هج، ترجمته في السير 69/4 وتهذيب التهذيب 278/4-279.

(803) النصيحة الكافية لزروق الورقة 110.

(804) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم 1481/3 رقم 1855 والدارمي في السنن كتاب الرقاق باب في الطاعة ولزوم الجماعة 417/2 رقم 7972 ، وقد رواه القلشاني في شرحه للرسالة 67/1.

وكذلك إظهار الخلل في كلام الغير لينسب بذلك شرف العلم لنفسه والجهل لغيره ، قال الشافعي :" ما ذاكرت أحدا وقصدت إحجامه وإنما أذاكره لإظهار الحق وإن كان محقا لما اقترن به من اعتقاد السوء في الحديث "من ترك الجدال محقا بنى الله له قصرا في الجنة"، وقد قال الشافعي "ما ناظرت أحدا إلا أريد أن يظهر الحق من عنده". وكذلك مناظرة أهل البدع وعلى هذا النوع حمل القاضي عبد الوهاب كلام الشيخ، روي عن مالك أنه قال :"إن أهل بلدنا يكرهون الجدال والبحث والنظر إلا فيما عنه عمل دون ما سبيله الايمان والاعتقاد بأنهم لا يرون فيه جدالا ولا مناظرة"[845]، قال القاضي عبد الوهاب :" لأن في مناظرة أهل الأهواء بسطا معهم وتأمينهم[أ] وإظهار بدعتهم وإعلان ضلالتهم وهو ضد ما يجب من هجرانهم ومعاقبتهم وإخفايهم وترك مواصلتهم والسلام عليهم ، وقد يقع للجهال والولدان شبهة تشوش عليهم الصحيح ولذلك يقال لا تمكن زائغ القلب من دينك". قال الشيخ زروق :"لأن الكلام مع أهل الأهواء ومنازعتهم ضرر في الغالب ولا نقع فيه[ب] إلا للنادر والنادر لا حكم له"[846]، ولذلك قال عبد الله بن عمر :" أما أنا فعلى بينة من ربي فإن كنت شاكا فاذهب إلى شاك مثلك فناظره"[847]. وكان عمر يضرب من يتعاطى علم المشكلات التي لا يعلم تأويلها إلا الله كتشابه القرآن وأحاديث الصفات وكذلك مخاصمة من غلب على الظن أنه لا ينفع معه الجدال ، إلا أن هذا لا يستفاد مما تقدم من عباراتهم والله أعلم. وهذه الأنواع من

أ–في "ط": تأبينهم وفي "هـ": تأنيسهم.
ب– ساقط من"ج" و"هـ".

---

(845) شرح القلشاني على الرسالة الورقة 35.
(846) شرح زروق على الرسالة 70/1
(847) أورده ابن حزم في الإحكام 27/1 دون إسناده لعبد الله بن عمر.

من فتنة تدوم"[810]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله تعالى بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فلهم الوزر وعليكم الصبر"[811]،وقال سهل رحمه الله : "من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه سلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه [من غير][أ] دعوة فهو جاهل"[812]، وسئل أي الناس خير؟ فقال: السلطان، فقال: كنا نرى أن شر الناس السلطان ، فقال : مهلا إن لله سبحانه[ب] في كل يوم نظرتين إلى سلامة أموال المسلمين ونظر إلى سلامة أبكارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له ذنوبه[ج]، وكان يقول : الخشبات[د] السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون .

وقولنا إذا لم يأمروا بمعصية ظاهر مع الطوع ، وأما مع الإكراه فيجوز على تفصيل في ذلك. قال ابن رشد : "الإكراه على الأفعال التي يتعلق بها حق المخلوق كالقتل والغصب لا يصح بإجماع ، وإنما يصح فيما لم يتعلق به حق المخلوق من الأقوال باتفاق ومن الأفعال على خلاف"، نقله الحطاب في آخر باب القضاء وتعقب ما حكاه من الإجماع فقال: "بل فيه الخلاف حسبما نقله في التوضيح[813]، وابن عرفة وغيره[814]، ونقل في باب الطلاق عن التوضيح :" إن الصحيح جواز شرب الخمر وأكل الخنزير إذا أكره

أ-في"أ": بغير.
ب-ساقط من "ج".
ج-في"أ": لذنوبه.
د-في "ج": الخشبة.

(810) فيض القدير 455/2.
(811) رواه البيهقي في شعب الايمان 15/6 رقم 7368.
(812) فيض القدير 455/2.
(813) التوضيح ص : 752 .
(814) مواهب الجليل 147/6.

عليه"[815]. وقال في المختصر : " وأما الكفر وسبه عليه السلام وقذف المسلم فإنما يجوز للقتل"، وقال قبل هذا أن الإكراه على الطلاق لا يلزم به طلاق، وقد علمت بها حكم الأقوال التي لا يتعلق بها حق المخلوق والتي يتعلق بها حقه ، وأن الإكراه يصح فيهما معا والمشهور متعاكس فلا يصح الإكراه في الأول ويصح في الثاني فتأمل ذلك والله أعلم. تنبيه: قال في شرح المراصد :"قال السيوطي : أمر الإمام تابع فإن أمر بواجب وجبت طاعته فيه وإن أمر بمندوب ندبت طاعته و لم تجب وإن أمر بمباح لم يجب ولم يندب أو بمكروه كرهت طاعته فيه أو بحرام حرمت طاعته، ومن الجهال الآن من يظن أن طاعة السلطان واجبة في كل شيء يأمر به وهذا جهل يؤدي /(357) إلى الكفر فإن من رأى أن تقديم أمر السلطان على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الشرع كفر، ومن رأى أن أمر السلطان بحرام أو مكروه يحله فضلا عن أن يوجبه فقد كفر". وما قاله السيوطي رحمه الله وسلمه شارح المراصد من أن أمر الإمام تابع وأنه لا تجب طاعته إلا في الواجب دون المندوب والمباح مخالف لما يذكره أيمتنا من أنه تجب طاعته في المندوب والمباح وكذا المكروه على ما لابن عرفة، خلافا لما اختاره القرطبي[816]، من أنه لا تجب طاعته في المكروه وليس في ذلك تقديم أمر السلطان على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لأن وجوب طاعته فيما ليس بمعصية بأمر الشارع صلى الله عليه وسلم ، فتأمل ذلك والله أعلم.

قوله : **واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم**[817]، أي اتباع طريقتهم وموافقتهم في علمهم من الواجبات فهو مبتدأ محذوف الخبر أي

---

(815) نحوه في مواهب الجليل 318/6.

(816) تفسير القرطبي 259/5.

(817) متن الرسالة ص : 10-11 .

لأن[أ] الله تعالى توعد بالعذاب من[ب] خافهم واتبع غير سبيلهم ، فقال تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾[818]، فيجب اتباعهم ، والسلف المتقدمون وسلف الرجل آباؤه ، والصالح من صلحت أقواله وأفعاله وأحواله ، فهو القائم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق الناس والمراد به هنا الجنس ولذا صح إفراده ، انظر القلشاني[819] والتتائي[820]. والمراد بالسلف الصالح هنا الصحابة فيجب علينا اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وفيما تأولوه وفيما استنبطوه باجتهادهم ، قال المصنف في آخر الكتاب : **وفي اتباع السلف الصالح النجاة وهم القدوة في تأويل ما تأولوه واستخراج ما استنبطوه ، وإذا اختلفوا في الفروع والحوادث لم يخرج عن جماعتهم**[821].

أي إذا اختلف الصحابة في مسألة فليس للمجتهد أن يخرج عما قالوه ولو أدى اجتهاده لذلك فلا بد أن يوافق بعضهم فيما ذهب إليه مالك[ج] ومن وافقه من وجوب تقليد المجتهد للصحابة في أقوالهم وأفعالهم الناشئة عن اجتهادهم، قال النخعي :" لو رأيتهم يتوضئون إلى الكوعين وأنا أحفظه إلى المرفقين لتبعتهم وتركت

أ-في"أ": أن.
ب-في"ب" و"ج": لمن.
ج-ساقط من"أ".

(816) تفسير القرطبي 259/5.
(817) متن الرسالة ص : 10-11 .
(818) سورة النساء آية 114.
(819) تحرير المقالة للقلشاني 70/1.
(820) تنوير المقالة للتتائي ص :61 .
(821) متن الرسالة ص :153 .

حفظي[أ] لقوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول ...﴾[822] الآية، ولذلك كان مالك يعمل بما اجتمع أهل المدينة على العمل به وبما استقر عليه قول أكثرهم مما وقع فيه الاختلاف بل[ب] كلام النخعي هذا يفيد أن عملهم يقدم على ظاهر القرآن وهذا أخص من قول مالك بتقديم عمل أهل المدينة /(358) على خبر الآحاد وذهب غيرهما إلى عدم جواز تقليدهم فيها ، وأما تقليد المجتهد لهم فيما أخذوه منه صلى الله عليه وسلم فلا خلاف في اتباعهم فيه، وأما تقليد غير المجتهد لهم فهذا لا نزاع فيه كتقليده لبقية المجتهدين وقصر الخلاف على ما ذكره القرافي في التنقيح : "وأما قول الصحابي فهو حجة عند مالك والشافعي في قوله القديم مطلقا لقوله عليه السلام "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، ومنهم من قال إن خالف القياس فهم حجة وإلا فلا ، ومنهم من قال : قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حجة دون غيرهما ، وقيل قول الخلفاء الأربعة إذا اتفقوا"[823]. وقوله إن خالف القياس الخ وجهه أنه إذا[ج] خالف القياس بمقتضى أنه إذا عمل أما إذا لم يخالف القياس أمكن أن يكون باجتهاد فيكون كقول غير الصحابي ولم يذهب أحد إلى تقليد المجتهد للتابعين في اجتهادهم ، فإن حمل كلام المصنف على ما يشمل التابعين كما فعل بعض الشارحين وجب أن يراد بأتباع التابعين أتباعهم فيما نقلوه عن الصحابة لا فيما ذكروه من اجتهاد واستنباط وكذا إن حمل على ما يعم القرون الثلاثة كما يشير كلام السنوسي في شرح القصيد في قوله :

أ-في "هـ": حفظ.

ب-في "هـ": فإن.

ج-في "أ" و"ع": إن.

---

(822) سورة النساء آية 114.

(823) شرح تنقيح الفصول للقرافي ص : 445.

يقفوا الصحابة في هدى وفي سنن　　　لأنهم قدوة في القول والعمل

ونصه :"بعد كلام وتعيين المصنف هنا الصحابة للاتباع لا ينافي ما نقلناه فيما سبق من أن المراد بالسلف الصالح علماء القرون الثلاثة المشهود لهم بالمزية[أ] والفضل لأن من اقتفى آثار التابعين وتابع التابعين فقد اقتفى آثار الصحابة إذ هم أعرف الناس بأحواله صلى الله عليه وسلم"[824]، انتهى ملخصا من علي[ب] الأجهوري[825]، قلت والظاهر أن المراد بالسلف الصالح هنا وفي آخر الكتاب أهل القرون الثلاثة ، ويحصل اتباع السلف الصالح للمقلد ولو كان عالما باتباع إمامه الذي قلده . "واعلم أنه ليس للمقلد أن يتعلق بمذاهب أعيان الصحابة بل عليه أن يتبع مذاهب الأيمة الذين سبروا[ج] ونظروا وبوبوا ، لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يعتنوا بتهذيب مسايل[د] الاجتهاد وإيضاح طرق النظر بخلاف من بعدهم"، قاله إمام الحرمين ونسبه لإجماع المحققين، وقال ابن الصلاح[826] ما معناه أن التقليد يتعين لهؤلاء الأيمة الأربعة دون غيرهم لأن مذاهبهم انتشرت (359)/ وانبسطت حتى ظهر فيها تقييد مطلقها وتخصيص عامها وشروط

أ–في "أ"و"د": الخيرية.
ب–في "ع": الشيخ علي.
ج–في "أ": صبروا وفي "ب": سروا .
د–في "ع": شأن.

(824) شرح الجزائرية ص : 214.
(825) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 179.
(826) هو تقي الدين أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن بن عفان بن موسى الموصلي المعروف بابن الصلاح، محدث مفسر فقيه أصولي، ولد سنة 577 هج وقد برع في مذهب الشافعي وكان ذا جلال ووقار وفصاحة وعلم نافع، من مصنفاته كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح ومعرفة المؤتلف والمختلف وغيرها ، توفي سنة 643 هج، ترجمته في السير 140/23-144 ووفيات الأعيان 243/2

فروعها فإن أطلقوا حكما في موضع وجد مكملا في موضع آخر ، وأما غيرهم فتنقل عنهم الفتاوى مجردة فلعل لها مكملا أو مقيدا أو مخصصا لو انضبط كلام قائله لظهر فيصير في تقليده على غير ثقة بخلاف هؤلاء الأربعة، قالوا وهذا توجيه حسن فيه ما ليس في كلام إمام الحرمين ، وقال ابن برهان :" من منع تقليد الصحابة فلأن مذاهبهم لم تكثر فروعها حتى يمكن للمقلد الاكتفاء بها طول عمره"، انظر الحطاب[827]. وقد سأل ابن العربي الغزالي عمن قلد الشافعي مثلا وكان مذهبه مخالفا لأحد الخلفاء الأربعة أو غيرهم من الصحابة فهل له اتباع الصحابة لأنهم أبعد عن الخطأ ولقوله صلى الله عليه وسلم "فاقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر"[828]، فأجاب بأنه يجب عليه أن يظن بالشافعي أنه لم يخالف الصحابي إلا لدليل أقوى من مذهب الصحابي وهو محال وهذا سبب ترجيح مذهب المتأخرين على المتقدمين مع العلم بفضلهم ، انظر تمامه في الحطاب[829]، فقول علي[أ] الأجهوري:" وأما تقليد غير المجتهد لهم فلا نزاع فيه"[830]، فيعني به والله أعلم من كان في عصرهم من المقلدين أما من بعد الأيمة الأربعة فيتعين عليه تقليد خصوص الأيمة الأربعة لما تقدم، وقوله : ليس للمجتهد أن يخرج عما قالوه ولو أدى اجتهاده لذلك بعيد لكثرة الصحابة وتفوقهم في البلاد فكيف يحاط بمذاهبهم في النوازل[ب] ومخالف لما قاله ابن عبد السلام ،

أ-في "ع": الشيخ علي.
ب-في"أ": بالنوازل.

---

(827) مواهب الجليل 30/1.
(828) أخرجه الحاكم في المستدرك 73/2 رقم 2369 والترمذي في السنن كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما 609/5 رقم 3662.
(829) مواهب الجليل 30/1-31.
(830) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 179.

قال(أ) الحطاب : "ذكر البرزلي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه سئل عمن صح عنده مذهب أبي بكر وغيره من علماء الصحابة في شيء فهل يعدل إلى غيره أم لا ، فأجاب بأنه إذا صح عن عصر الصحابة مذهب في حكم من الأحكام فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل أوضح من دليله ولا يجب على المجتهدين تقليد الصحابة في مسايل الخلاف بل لا يجوز ذلك في وضوح أدلتهم"(831)، وقف على قوله إلا بدليل الخ وما ذكره من كلام التنقيح ، ليس في ما قاله تصريح كما أن قول المصنف: **وإذا اختلفوا في الفروع**(832) الخ، ليس بصريح في ذلك ، فالحاصل الذي يظهر أن مراد المصنف أنه يتعين علينا اتباع الأيمة المجتهدين ولا يجوز لنا الخروج(ب) عن مذاهبهم(ج) ، وتقدم أن الأصح جواز الانتقال من مذهب إلى مذهب وأن في ذلك ثلاثة أقوال ، وأما كون المجتهد يجب عليه تقليد الصحابة في اجتهادهم [فهذا ليس](د) بصريح (360)/ في كلام المصنف ولا فيما تقدم من كلام التنقيح ولم نقف على من صرح به فالله أعلم بصحته .

قوله: والاستغفار لهم(833)، أي من الواجبات قاله الجزولي وابن عمر(834)، قيل لقوله تعالى ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾(835)، ولأنهم وضحوا لنا السبيل فما من أحد من

أ- في "هـ": فقال.
ب- في "آ" و"هـ": أن نخرج.
ج- في "ب" و"ج" و"هـ": مذهبهم.
د- في "ب" و"ج" و"هـ": فليس.

---

(831) مواهب الجليل 31/1.
(832) متن الرسالة ص : 153 .
(833) متن الرسالة ص.11 :
(834) شرح ابن عمر على الرسالة ص : 65 — 66 .
(835) سورة الحشر آية 10.

المومنين إلا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى لأنهم الذين حملوا إلينا الأحكام، وبينوا الحلال والحرام، وفتحوا الأقاليم والبلاد، وقهروا أهل الشرك والعناد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم "من أسدى إليكم معروفا فكافئوه الحديث"[836]، على أن هذا لا يختص بالصحابة بل يعم كل من سبقنا بالإيمان ، والظاهر كما في علي الأجهوري أن الاستغفار لهم مما يجب في العمر مرة واحدة وأنه بنية كالتهليل والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.[837]

قوله: **وترك المراء والجدال في الدين**[838]، أي من الواجبات أيضا لحديث "ما ضل قوم بعد هداهم إلا أوتوا الجدال"، وفي رواية " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال"[839]، وفي الجامع الكبير من رواية البيهقي رحمه الله "من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليعرف به وجوه الناس إليه فهو في النار"[840]، وقال مالك : الجدال ليس من الدين في شيء[841]، والمراء لغة الاستخراج ، قال ابن الأنباري: " مارى فلان فلانا إذا استخرج ما عنده من الكلام ، [مأخوذ من قولهم مريت الناقة والشاة إذا مسحت ضرعها لتدر ". والجدال لغة مأخوذ من الجدل][أ]

أ–ساقط من "هـ".

(836) أخرجه الحاكم في المستدرك 73/2 رقم 2369، وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب الرجل يستعيذ من الرجل 328/4 رقم 5109.

(837) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 180.

(838) متن الرسالة ص.11 :

(839) أخرجه الحاكم في المستدرك 486/2 رقم 3674، والترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الزخرف 378/5 رقم 3253، وابن ماجة في السنن المقدمة باب اجتناب البدع والجدل 19/1 رقم 48.

(840) أخرجه ابن ماجة في السنن المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به 93/1 رقم 253، والدارمي في السنن المقدمة باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله 116/1 رقم 374.

(841) ترتيب المدارك للقاضي عياض 39/2.

وهو الفتل ومنه الجديلة وهي القطعة من الحبل المحكم فتله ، ومنه الأجدل للصغر لقوته ، وقيل يرجع لمعنى الاستخراج فيتفقان ، قال الجوهري : "المراء الجدال، وأما اصطلاحا فهو تفاوض وتخاوض يجري بين متنازعين فصاعدا ، وإنما يحرم إذا لم يكن لرد باطل أو إثبات حق، بل لإظهار الغلبة وإلجام الغير وإظهار الفضل والشرف عند الناس والمباهاة واستمالة قلوب الناس، لما ينشأ عنه من المفاسد كالكبر والعجب والحسد والحقد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه والكذب والفرح بمساءة المناظر والاستكبار عن الحق ونحو ذلك كما يفهم من عباراتهم ، قال أبو الحسن :"المراء جحد الحق بعد ظهوره ودفعه بالباطل ، والجدال هو مناظرة أهل البدع"(842)، وقال بعض الشارحين : الجدال هو دفع الحق بالباطل ، والمراء هو قصد الظهور في المناظرة بحق كان أو بباطل ، وقال علي[أ] الأجهوري بعد أن نقل كلام هذا البعض :" ثم إنه يفسر المراء بجحد الحق بعد ظهوره بعد تفاوض يجري بين المتجادلين ، وبذلك يحصل التغاير بينهما و لم أر من تنزل (361)/ لذلك"(843)، وحكى التتائي في ترادفهما قولين(844)، وقد استفيد من هذا أن حكم الجدال تابع لقصد صاحبه ، وأن الذي يجب تركه من ذلك أنواع جحد الحق بعد ظهوره تعنتا وعنادا، وما أحسن قول بعضهم:

وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت — في جو[ب] باطنك العلوم الشرد
فاحذر مذاكرة الجهول فإنما — تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

أ–في "ع": الشيخ علي.
ب–في"آ": جواب.

(842) كفاية الطالب الرباني 155/1.
(843) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 181.
(844) تنوير المقالة للتتائي ص : 61 .

وكذلك إظهار الخلل في كلام الغير لينسب بذلك شرف العلم لنفسه والجهل لغيره ، قال الشافعي :" ما ذاكرت أحدا وقصدت إحجامه وإنما أذاكره لإظهار الحق وإن كان محقا لما اقترن به من اعتقاد السوء في الحديث "من ترك الجدال محقا بنى الله له قصرا في الجنة"، وقد قال الشافعي "ما ناظرت أحدا إلا أريد أن يظهر الحق من عنده". وكذلك مناظرة أهل البدع وعلى هذا النوع حمل القاضي عبد الوهاب كلام الشيخ، روي عن مالك أنه قال :"إن أهل بلدنا يكرهون الجدال والبحث والنظر إلا فيما عنه عمل دون ما سبيله الايمان والاعتقاد بأنهم لا يرون فيه جدالا ولا مناظرة"(845)، قال القاضي عبد الوهاب :" لأن في مناظرة أهل الأهواء بسطا معهم وتأمينهم(أ) وإظهار بدعتهم وإعلان ضلالتهم وهو ضد ما يجب من هجرانهم ومعاقبتهم وإخفايهم وترك مواصلتهم والسلام عليهم ، وقد يقع للجهال والولدان شبهة تشوش عليهم الصحيح ولذلك يقال لا تمكن زائغ القلب من دينك". قال الشيخ زروق :"لأن الكلام مع أهل الأهواء ومنازعتهم ضرر في الغالب ولا نقع فيه(ب) إلا للنادر والنادر لا حكم له"(846)، ولذلك قال عبد الله بن عمر :" أما أنا فعلى بينة من ربي فإن كنت شاكا فاذهب إلى شاك مثلك فناظره"(847). وكان عمر يضرب من يتعاطى علم المشكلات التي لا يعلم تأويلها إلا الله كتشابه القرآن وأحاديث الصفات وكذلك مخاصمة من غلب على الظن أنه لا ينفع معه الجدال ، إلا أن هذا لا يستفاد مما تقدم من عباراتهم والله أعلم. وهذه الأنواع من

أ-في "ط": تأبينهم وفي "هـ": تأنيسهم.
ب- ساقط من"ج" و"هـ".

---

(845) شرح القلشاني على الرسالة الورقة 35.
(846) شرح زروق على الرسالة 70/1
(847) أورده ابن حزم في الإحكام 27/1 دون إسناده لعبد الله بن عمر.

الجدال هي المنهي عنها وهي مراد المصنف، وأما ما كان بغير ذلك فليس بمنهي عنه قال الغزالي: "وهو عبارة عن تفاوض يجري بين متنازعين فصاعدا لتحقيق حق أو باطل أو تغليب ظن ، فهو تارة يكون لأحد أمور ثلاثة وذلك إذا كان في المسائل التي تكون قطعية [وظنية كفقه ونحوه ، وتارة يكون لأحد أمرين فقط تحقيق حق أو إبطال باطل ، وذلك إذا كان في المسائل القطعية][أ] فقط كالكلام والهندسة ودليل مشروعيته الكتاب ، فقد حكى الله فيه مناظرة الأنبياء مع أممهم قصة نوح مع/ (362) قومه حتى قالوا ﴿يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾(848)"(849)، القلشاني : وفي القرآن العظيم ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن ...﴾(850) الآية، ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ...﴾(851) الآية، ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني ...﴾(852) الآية، وقال تعالى ﴿وتلك حجتنا...﴾(853). وقد أقام عليه السلام بمكة عشر سنين يدعوهم إلى الله تعالى ويبين لهم البراهين الساطعة والآيات القاطعة ويحتج عليهم ويقرعهم ويوبخهم ويتلو عليهم ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾(854)"(855)، والسنة في الصحيح "تحاج آدم وموسى "، ومن ذلك قوله في حديث "لا عدوى فمن أعدى الأول"(856)،

أ-ساقط من "هـ".

---

(848) سورة هود آية 32.
(849) نحوه في الإحياء 56/1.
(850) سورة النحل آية 125.
(851) سورة البقرة آية 257.
(852) سورة مريم آية 42.
(853) سورة الأنعام آية 84.
(854) سورة البقرة آية 110.
(855) تحرير المقالة للقلشاني 70/1.
(856) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الطب باب لا عدوى 2177/5 رقم 5438 ومسلم في الصحيح كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة 1742/4 رقم 2220 والترمذي في السنن=

والإجماع قال ابن القصار :" أجمع الصحابة على جوازه وفعله ومضى على ذلك السلف ومن تبعهم من الخلف"، القلشاني : "ولهذا قال الشيخ في الدين أي ما يكون في منه للدين ولإظهار كلمته[أ] فهو الذي أتت به الشريعة وثبت نقله عن علماء الأمة"[857]. قال بعضهم :" والقول الجامع في ذلك أن الجدال إن استلزم مفسدة فهو المذموم الممنوع شرعا وإن لم يستلزم مفسدة فإن لم يستلزم مصلحة أيضا فهو المباح وتركه أولى وإن استلزم مصلحة فهو مندوب إليه وقد يجب ذل بحسب الأشخاص والأزمان". وقال في ملخص المقاصد وشرحها ما حاصله أن الجدال تعرض له الأحكام الخمسة ، فالتحريم والكراهة تابعان للمفسدة فإن قويت المفسدة حرم وإلا كره، والوجوب والندب والإباحة تابعة للمصلحة ، فإن قويت وجب أو ندب وإلا فيباح كالتمرين.[858] قال علي الأجهوري :"وانظر جعل المباح من جملة ما يكون لمصلحة وهو خلاف ما تقدم عن بعضهم"[859]. تنبيه : اتفق الشيوخ على رد قول المصنف في آخر الكتاب الهجران الجائز هجران البدعة لما هنا ، فيكون معنى الجواز الوجوب قاله ابن عمر.[860] وانظر آداب المناظرة وفايدتها في التتائي[861]، وغيره.

أ-في"ج": همته.

= كتاب القدر باب ما جاء لا عدوى ولا هامة ولا صفر 450/4 رقم 2143 وأبو داود في السنن كتاب الطب باب في الطيرة 17/4 رقم 3911وابن ماجة في السنن المقدمة باب في القدر 34/1 رقم 86.

(857) تحرير المقالة 701.

(858) نحوه في شرح محصل المقاصد للسنوسي ص3–2 : وشرح المقاصد للتفتزاني ص: 7 –7 .

(859) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 167.

(860) شرح الرسالة لابن عمر ص : 66.

(861) تنوير المقالة ص :62 .

وقوله: **وترك كل ما أحدثه المحدثون**(862)،أي واجب كأنه يقول التمسك بالكتاب والسنة وسائر أصول الشريعة واجب ، وترك كل[أ] بدعة واجب فيكون كلامه حضا على الاعتصام بالكتاب[ب] والسنة والاقتداء بالسلف الصالح ، فهو من باب قوله في ما مر **واتباع السلف الصالح**(863) واقتفاء آثارهم، وقوله **ولا قول ولا عمل إلا بموافقة السنة**(864)، وفي الحديث "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(865)، وعنه عليه الصلاة والسلام "خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل/ (363) بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"(866)، وقد أنشد بعضهم وكان مالك يكثر إنشاده:

وخير أمور الدين ما كان سنة … وشر الأمور المحدثات البدايع(867)

وقد اختلف العلماء هنا، منهم من لا يطلق اسم البدعة إلا على المحدثات التي لا يشهد لها أصل من أصول الشريعة فلا تكون البدعة عنده إلا

أ–ساقط من"أ" و"هـ".
ب–في"أ": الكتب.

(862) متن الرسالة ص : 11 .
(863) متن الرسالة ص : 153 .
(864) متن الرسالة ص : 10 .
(865) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود 959/2 رقم 2550 ومسلم في الصحيح كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور 1343/3 رقم 1718 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في لزوم السنة 200/4 رقم 4606.
(866) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم 2655/3 رقم 6849 ومسلم في الصحيح كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة 592/2 رقم 867 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب لزوم السنة 2004 رقم 4607 والدارمي في السنن المقدمة باب اتباع السنة 57/1 رقم 95.
(867) شرح الرسالة لزروق 61/1.

مذمومة منهيا عنها لقوله في الحديث "وكل بدعة ضلالة الخ"، ومن العلماء من يطلق اسم البدعة على ما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم قائلا لأن[أ] البدعة بهذا المعنى تعرض له الأحكام الخمسة ، ولنذكر الآن من نصوصهم في ذلك ، قال الشيخ زروق :" قال علماؤنا : البدعة إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه ، وهذا قول من يرى أن البدع لا تدخل العادات وإلا فقوله في الدين زيادة والأول أصح [868]، وهو قول المحققين لحديث" كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"، "ولا يصح أن يكون ما عدى المحرم والمكروه من الأحكام الخمسة ضلالة ، وعلى كل حال فما وافق السنة كمال في أي باب كان والخير كله في الاتباع"، ملفقا من محلين، وما جعله الأصح ونسبه للمحققين هو الذي اقتصر عليه في عدة المريد[869]، وقال في كتاب البدع المسمى النصح بالأنفع ، واختلف في جريها في العادات وفيما يرد له حكم خاص كالأكل والشرب واللباس ونحوه ، فقيل تجري فيه لقول أنس رضي الله عنه : أول ما أحدث الناس الأشنان والشبع أو كما قال، وقيل لا تجري في ذلك ، وإطلاق أنس رضي الله عنه باعتبار الصور الواقعة فقط ، وعلى الأول يجري ما نقل عن المذهب في العمايم ونحوها كما ذكره في المدخل وغيره والله أعلم. قال : ولا ينبغي أن يختلف فيما أحدث من ذلك[ب] مع ادعاء[ج] أنه من الدين لأنه زيادة حكم فيه والله أعلم." ثم البدع ثلاثة أنواع بدع صريحة وهي التي ترفع ما كان مشروعا أو تزاحمه ، وبدع إضافية وهي ما أضيف إلى ثابت

أ–في "أ": ان.

ب–في "هـ": ذاك.

ج–في "أ": الدعاء.

---

(868) شرح زروق على الرسالة 1/70-71.

(869) عدة المريد للشيخ زروق ص : 249 .

شرعا بإدخال كيفية ليست منه ، وبدع خلافية وهي التي تتجاذبها الأصول فيتبع كل إمام أصله فيها ، وتفصيل ذلك يطول ، وقد ألف الناس في ذلك طويلا وعريضا"، انتهى من الشيخ زروق في شرحه.(870) وعلى جريانها في العادات درج القرافي(871) وابن عبد السلام (872) وغيرهما ممن[أ] قال أن البدع[ب] تعتريها الأحكام الخمسة فتكون واجبة كعلم النحو وأصول الفقه والكلام، ومحرمة كمذاهب المبتدعة والمكوس وغيرها[ج]، ومندوبة كإحداث المدارس والكلام في دقايق التصوف وصلاة التراويح ، ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتخصيص/ (364) بعض الأيام ببعض العبادات ، ومنه الزيادة في المندوبات المحدودات كما ورد في التسبيح عقب الفريضة ثلاثا وثلاثين ، ومنها الزيادة على صاع في زكاة الفطر ، لأن في الزيادة استظهارا على الشارع وقلة أدب [معه، بل شأن العظماء إذا حدوا شيئا وقف عنده[د]، وعند الخروج عنه قلة أدب][هـ] ، ومباحة كالتوسع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس والمساكن، وقد نظم الإمام ابن غازي رحمه الله هذه الأقسام الخمسة ممثلا لها في قوله:

كن تابعا ووافق من اتبع   وقسمن بخمسة هذي البدع
واجبة كمثل كتب العلم   ونقط مصحف لأجل الفهم

أ-في "هـ": فمن.
ب-في "ب" و"ج": البدعة.
ج-في "د": غيرهما.
د-في "ب" و"ع": عنه.
هـ-ساقط من"أ".

---

(870) شرح الرسالة لزروق 71/1.
(871) الذخيرة 235/13.
(872) قواعد الأحكام لابن عبد السلام 195/2.

ومستحبة كمثل الكانس والجسر[أ] والمحراب والمدارس
ثم مباحة كمثل المنخل وذات كره كخوان الماكل
ثم حرام كاغتسال بالفتات وكاسيات عاريات حائلات

والفتات أجزاء الطعام ، والاغتسال بها دلك البدن كما يفعله بعض جهلة النساء[ب] لتحسين البشرة ، وقد شرح[ج] شيخ شيوخنا سيدي محمد ميارة في لامية الزقاق[873] جميع هذه الأمثلة[874] فانظره. قال القرافي بعد أن قسمها إلى هذه الأقسام :" فالبدعة إذا عرضت تعرض على قواعد الشرع وأدلته ، فأي شيء تناولها من الأدلة والقواعد ألحقت به من إيجاب أو تحريم أو غيرهما، وإن نظر إليها من حيث الجملة فالنظر إلى كونها بدعة مع قطع النظر عما يتقاضاها كرهت ، فإن الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع"[875]، ولبعض السلف الصالح يسمى أبا العباس الأبياني من أهل الأندلس :"ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة : اتبع ولا تبتدع اتضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع"، فالبدعة عند هؤلاء ما لم يقع في زمانه صلى الله عليه وسلم سواء دل الشرع على حرمته أو وجوبه أو ندبه أو كراهته أو إباحته ، وهذا أقرب لمعناها لغة لأنها في اللغة ما فعل على غير مثال سبق، ومنه قوله تعالى ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾[876]، وقوله

أ-في "ج": الحبس.
ب-في "أ": الناس.
ج-في "ب": ذكر.

(873) هو علي بن القاسم بن محمد التجيبي المعروف بالزقاق ، كان عالما بالفقه مشاركا في فنون من العلم كثير التقييد من مصنفاته لامية في علم القضاء والمنهج المنتخب وغيرها، توفي سنة 912 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 343 وسلوة الأنفاس 84/2.
(874) شرح لامية الزقاق لميارة ص : 201-202 .
(875) الذخيرة للقرافي 235/13.
(876) سورة الأحقاف آية 8.

تعالى ﴿بديع السماوات والأرض﴾[877]، وعند الأولين لا تكون البدعة إلا محرمة أو مكروهة ، والكراهة مصروفة للعمل بها ، وأما إحداثها فحرام لأنه افتيات على الشارع وتقدم بين يديه وتغيير لأحكامه ، قال في عدة المريد : "قال المحققون : وإنما قسمها بعضهم لأقسام الشريعة اعتبارا بمطلق الأحداث ومن حيث اللغة"[878]، وأما من حيث الشرع فقد نص (365)/ غير واحد أن الاستنباط وما استنبط منه ليس بدعة ، قال القاضي أبو محمد: "لا يلزم على هذا قول من قال من الجهال لا يفتى في فرع لم يفت فيه من تقدم ولا يستدل بدليل لم يستدلوا به ، وزعموا أن تصنيف الكتب وترتيب طرق النظر من الأمور المحدثة ، وهذا كله جهل من قايله فإن هذا كله مذهبهم وطريقتهم وكذلك استدلالنا على الأحكام بطريق الأدلة فإذا سلكنا نحن هذا الطريق كنا بالنسبة إلى الاتباع أولى منا بالنسبة إلى الإحداث والابتداع لأنا سلكنا الطريقة التي سلكوها وأمرونا بسلوكها ، ولأن ربيعة ومالكا صنفا الكتب وفرعا التفريعات ونبها على طرق الاحتجاج وكذلك غيرهما ممن عاصرهما". وقال الشعراني :" قال العلماء: لا يسمى بدعة إلا ما لم يكن مندرجا[أ] تحت أصل"[879]، وقال أبو الحسن[880] والتتائي :" ما ذكره الشيخ هنا لا يعارض ما يأتي في الأقضية : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور لأن ما هناك محمول على ما استند إلى كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس ، وما هنا محمول على ما لم يستند إلى واحد منهما"[881]. وفي شرح أبي داود للسيوطي على قوله في

أ-ساقط من"أ".

(877) سورة البقرة آية 116 وسورة الأنعام آية 102.
(878) عدة المريد ص : 249.
(879) نحوه في العهود المحمدية 26/1.
(880) كفاية الطالب الرباني 157/1.
(881) تنوير المقالة للتتائي ص : 62 .

الحديث "فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "قال الخطابي[أ]: هذا خاص في بعض الأمور دون بعض من كل شيء أحدث على غير مثال أصل من أصول الدين وعلى غير عبارته وقياسه، وأما ما كان منها مبنيا على قواعد الأصول ومردود إليها فليس ببدعة ولا ضلالة". وفي علي الأجهوري :"قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في اختصار القواعد : البدعة في اللغة إحداث سنة لم تكن في الصدر الأول وتكون في الخير والشر ، وأما في الاصطلاح فهي خاصة بالحادث المذموم فقط"[882] وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول :" المحدثات ضربان أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه هي البدعة الضالة ، الثاني ما أحدث من الخير ولا خلاف فيه"[883]، ما نقله علي[ب] الأجهوري ونحوه لابن تيمية ، وقد نقل كلامه في شرح الزقاقية [884] فانظره. والحاصل أن البدعة لغة ما لم يقع في زمانه [صلى الله عليه وسلم][ج]، وتنقسم إلى حسن وغيره ، وشرعا إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه، وهي الضلالة فلا تكون إلا مذمومة ، فليس كل محدثة لغة ضلالة شرعا، ومثل هذا يقال في قول المصنف : **كل ما أحدثه المحدثون**[885]، وليس على إطلاقه بدليل أن من المحدث الذي هو واجب تدوين العلم وقد فعله المصنف كغيره، وقد مثلوا للمباح بأمر عادي على رأي أن البدعة في العادات أيضا ولم يمنع نحو ذلك المصنف ولا دل عليه قوة كلامه ولا سيما وهو يقول

أ-في"أ" و"ب":الخطيبي وفي"ج": الخصابي وفي "هـ": الخطبي.
ب-في "ع": الشيخ علي.
ج-في"ب" و"ج" و"د" و"هـ": عليه السلام.

(882) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 184.
(883) تهذيب الأسماء لأبي زكرياء بن حزام 213.
(884) شرح لامية الزقاق للشيخ ميارة ص : 202 .
(885) متن الرسالة ص : 11.

قبله: وترك المراء والجدال في الدين ، فقوله/ (366) وترك كل ما أحدثه المحدثون أي في الدين وليس ما فيه منفعة شرعية من اللاحق بواجب، ونحوه لجامع[أ] بينهما عنده من البدع التي يتناولها التحذير[ب] في كلامه ، فلم يبق إلا المكروه وقد تناوله الترك في كلامه والمندوب وهو كثير في كلامه مما لم يكن بعينه في الصدر الأول ، وعلى هذا فليس المصنف بقائل أن كل ما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم بدعة تجتنب، خلافا لشهاب الدين القرافي حيث نسب ذلك للمصنف أخذا من قوله: وترك كل ما أحدثه المحدثون ، ونصه: "وفي الفرق الثاني والخمسين والمائتين : اعلم أن الأصحاب فيما رأيت متفقون على إنكار البدع نص على ذلك ابن أبي زيد وغيره، والحق التفصيل وإنها خمسة أقسام"[886]، قاله في شرح المراصد بمعناه . قلت : وكيف يكون المصنف قائلا بأن كل ما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم بدعة تجتنب وهو يقول في آخر الكتاب : **وفي اتباع السلف الصالح النجاة وهم القدوة في تأويل ما تأولوه واستخراج ما استنبطوه**[887] [من أصل][ج] على ما تأوله السلف الصالح واستنبطوه فتعين حمل كلامه هنا على البدعة التي لم تستند لأصل من أصول الشريعة والله سبحانه أعلم ، ثم ختم المصنف هذا الباب بمثل ما ختم[د] به الخطبة وجميع الكتاب، فقال : **وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا**، وقد تقدم الكلام على ذلك والله أعلم.[888]

أ-في"ج": بجامع وفي "هـ": الجامع.

ب-في"أ": لتحرير.

ج-في"أ": ما حال.

د-في"أ" و"ب": خطب.

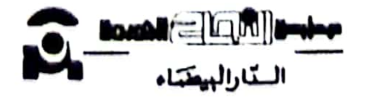
(886) الفروق للقرافي 2024.

(887) متن الرسالة ص : 153 .

(888) متن الرسالة ص : 11 .

قال مقيده محمد بن قاسم جسوس عفا الله تعالى عنه : هذا آخر ما قصدت جمعه نفع الله به بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين صلوات الله وسلامه عدد ما في علم رب العالمين ، ووافق الفراغ من تبييضه عشية الثالث عشر من ربيع الأول من سنة خمس وعشرين ومائة وألف، والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

فهرس الموضوعات


الدار البيضاء